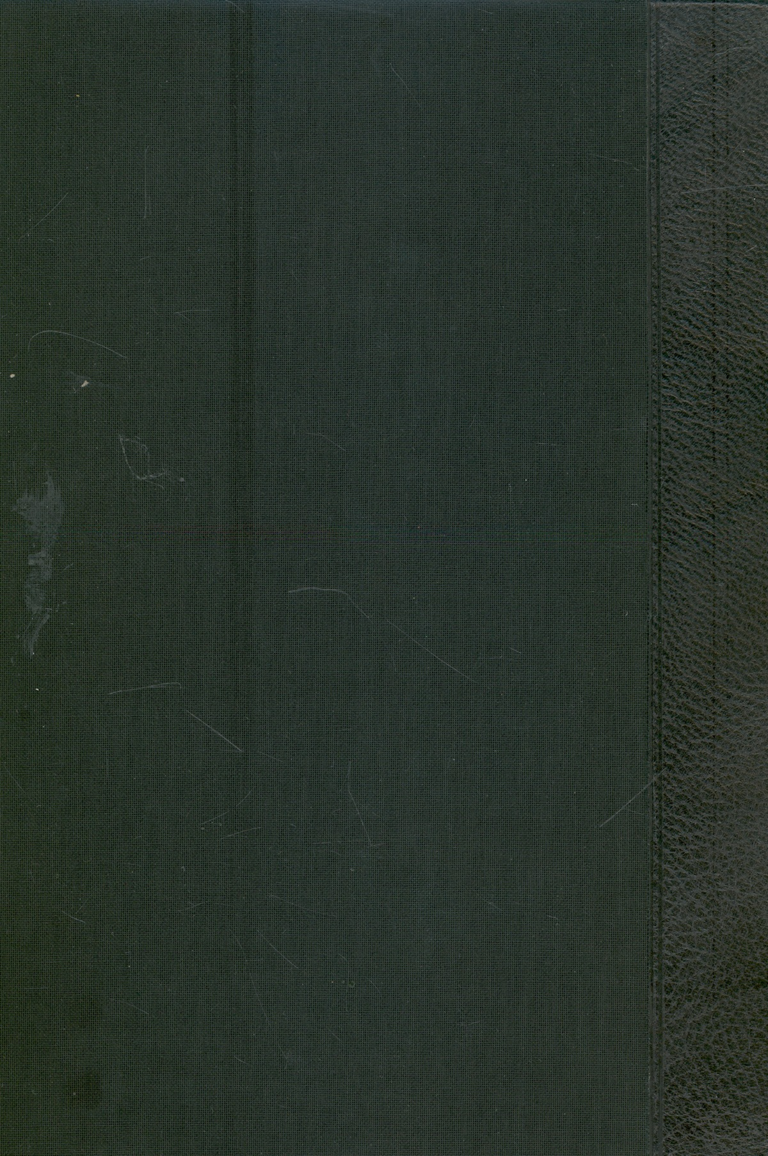


السيد سابق



الناشر

دار الكتب الحديثة

١٤ شارع الجمهورية تليفون ٩١٦١٠٧

السيد سابق



العقائد الإسلامية

دار الكتب الحديثة
١٤ شارع الجمهورية تليفون ٩١٦٦١٠٢

الطبعـة الثالثـة

١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م

مطبعة
دار التراث العربي
ت ٩٣٦١٤٥

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم المؤتمر الاسلامى

ان ما ينعم به البشر من نعـم مادية وروحيـة يرجع الى هؤلاء الأبطال من الرجال الذين ملأ الايمان قلوبهم ، وغمر اليقين نفوسهم ، فاستعذبوا الجهاد ، وقدموا التضحيات من أجل انتصار الحق ، وفى سبيل ترقية الحياة ودفعها قدما الى الأمام .

ولقد كان من الممكن أن تتضاعف هذه النعم ، وتترادف هذه الآلاء لو بقيت العقيدة كما هى فى سموها وصفائها وقدسيتها ، وبقى لها هؤلاء المخلصون الأفذاذ .

لكن العقيدة خالطها — بوجه عام — من الأفكار البشرية ما خرج بها عن بساطتها واشراقها ، وذهب بجمالها وجلالها .

فكان من أثر ذلك أن ضعفت فى ذاتها ، وأصبحت مجرد أفكار ومجموعة آراء لا تمثل الاعتقاد الحق ، ولا تصل الى أعماق النفس ، ولا توجه التوجيه النافع فى الحياة ، ولا تعين على السلوك النظيف الذى يمثل الرشد الانسانى ، والرقى الروحى .

ثم كان التقـدم المادى فى كل ناحية من نواحى الحيـاة ، وكان تأثيره على العقول والقلوب بالغا ، فلم تستطع العقيدة الدينية — وأمرها على ما وصفنا — أن تصمد أمام العلم ، أو تقف أمام الاكتشافات التى تترى كل يوم .

فأصيبت العقيدة بهزة عنيفة ، وأزمة حادة كادت تقضى عليهـا ، وبالرغم من ارتفاع أصوات تنادى بالعـودة الى الدين ، والتشبث بالعقائد الموروثة عن أنبياء الله ورسله ، قبل أن يعم الظلام المـادى كل ناحية من نواحى الحياة ويطغى الضلال طغيانا لا قبل لأحد بمقاومته ، ان هـذه الأصوات لم تبلغ مداها ، ولم تحقق أهدافها ، لأنها لا تملك من الاقناع ولا من القوة ولا من الوسائل ، ما تستطيع به أن يكون لها

صوت قوى مسموع واستجابة محققة ، ولأن الرواسب التى علقت بتلك العقائد لم تجعل منهـا القيمة الذاتية التى تمكن لها فى عقول الناس وقلوبهم .

وكان أن مضى العلم فى طريقه يحقق للناس الرفاهية المـادية ، ويوفر لهم الرخاء ويستخرج قوى الكون ، وما أودع فيه من خيرات وبركات .

ومع سعى العلم السعى الحثيث فى هذا السبيل ، لم يستطع أن يوفر للناس الأمن والسلام ، ولا المودة والمحبة ، ولا الرحمة والحنان ، ولا التعاون والايثار ، ولا تهذيب النفس ، ولا تقويم الخلق ، فكان أن أصيبت الانسانية بنكسة خطيرة من جـراء سعة العقل وضيق القلب .

ان الأمم مع غزارة علمها وسعة عقلها ـ فى عصرنا هذا ـ لا تزال فى دور الطفولة الخلقية ، وان ذلك خطر على النفس الانسانية بل على البشرية كلها .

لهذا كان من الضرورى العمـل على تغيير جوهرى فى النفس الانسانية عن طريق غرس العقيدة الصحيحة التى لم تتأثر بالأفكار البشرية ولم تعبث بها الآراء ولا الأهواء .

ومن فضل الله أن هـذه العقيدة لا تزال كما هى فى صفائهـا ، ونقائها ، وبساطتها وقدسيتها .

فقد تكفل بتجليتها الحقة الكتاب العزيز . الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والسنة الصحيحة التى ثبتت ثبوتا لا تتطرق اليه الأوهام ولا الظنون .

ومن مزايا هذه العقيدة الثابتة : أنها ميراث رسل الله جميعا ، وأنها العقيدة الجامعة التى ربطت بين المؤمنين بدين الله الواحد ، الذى لا يختلف فى الزمان ، ولا فى المكان وأنها العقيدة الايجابية التى توجه الى شرف الحياة ومجدها .

الا أنها تحتاج الى جهد كبير فى التبشير بها ، وابرازها وتبليغها للناس ، كى تأخذ مكانها من القلوب والعقول ، وكى تسيطر على الحياة ، وعلى المجتمع الانسانى .

ولما كانت رسالة المؤتمر الاسلامى هى الرسالة التى تعمل على تبديد الظلام واشاعة النور ، وتثقيف العقول ، وتطهير القلوب ، وتقويم السلوك ، والتوجيه الى المثل العليا والقيم الصالحة — فقد رأى أن يقدم للناس كتاب « العقائد الاسلامية » للأستاذ « السيد سابق » ، واسهاما من المؤتمر فى تحقيق رسالته .

وقد حاول المؤلف فى كتابه هذا أن يبرز فيه العقائد الاسلامية كما جاءت فى كتب الله ، وكما دعا اليها الأنبياء والرسل ، خالصة من الشوائب التى خالطتها ، ومنزهة عن الأهواء التى عبثت بها عبر السنين والقرون .

ولم يدخر المؤلف وسعا فى تبسيط عرض هذه الحقائق وتقريبها من العقول مستعينا — كلما أمكن — بما اكتشفه العلم ، واهتدى اليه العقل ، مما يدعم العقائد الدينية .

وبهذا يلتقى الوحى الربانى ، والعقل الانسانى معا على ترقية الحياة ، وابلاغ الانسان أسمى ما يمكن أن يصل اليه من الكمال المادى والأدبى .

والمؤتمر الاسلامى ، اذ يقدم هذا الكتاب كجزء من رسالته يسأل الله لمؤلفه المزيد من العلم النافع ، والعمل الصالح .

كما يسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، وأن يعم به النفع ويكتب له القبول . وهو حسبنا ونعم الوكيل .



« الله نور السموات والأرض ، مثـــل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار ، نور على نور ، يهدى الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس ، والله بكل شىء عليم » .

(قرآن كريم)

مقدمة

* الاسلام ايمان وعمل
* مفهوم الايمان
* وحدة العقيدة
* لمــاذا كانت العقيدة واحدة وخالدة
* منهج الرسل فى الدعوة الى الايمان
* الانحراف عن منهج الرسل وأثره
* ضرورة العودة الى تجديد دعوة الايمان

الاسلام ايمان وعمل :

الاسلام هو دين الله الذى أوحاه الى محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وهو ايمان وعمل :

والايمـان يمثـل العقيدة ، والأصول التى تقوم عليهـا شرائع الاسلام ، وعنها تنبثق فروعه •

والعمل يمثل الشريعة ، والفروع التى تعتبر للايمان والعقيدة •

والايمان والعمل ، أو العقيدة والشريعة كلاهما مرتبط بالآخر ارتباط الثمار بالأشجار ، أو ارتباط المسببات بالأسباب ، والنتائج بالمقدمات •

ومن أجل هذا الترابط الوثيق يأتى العمل مقترنا بالايمان فى أكثر آيات القرآن الكريم •

« وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار » (١) •

« من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حيـاة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » (٢) •

« ان الذين آمنـوا وعملوا الصـالحات سـيجعل لهم الـرحمن ودا » (٣) •

مفهوم الايمان أو العقيدة (٤) :

ومفهوم الايمان أو العقيدة ينتظم ستة أمور :

أولا : المعرفة بالله ، والمعرفة بأسمائه الحسنى وصفاته العليـا ، والمعرفة بدلائل وجوده ، ومظاهر عظمته فى الكون والطبيعة •

---

(١) سورة البقرة : ٢٥ • (٢) سورة النحل : ٩٧ •

(٣) سورة مريم : ٩٦ •

(٤) العقيدة هى التصديق بالشىء والجزم به دون شك أو ريبة • فهى بمعنى الايمان ، يقال : اعتقد فى كذا أى آمن به • والايمان بمعنى التصديق • يقال : آمن بالشىء أى صدق به تصديقا لا ريب فيه ولا شك معه •

ثانيـــا : المعرفة بعالم ما وراء الطبيعة ، أو العالم غير المنظور ، وما فيه من قوى الخير التى تتمثــل فى الملائكة ، وقوى الشر التى تتمثل فى ابليس وجنوده من الشياطين ، والمعرفة بما فى هذا العالم أيضا من جن وأرواح •

ثالثـــا : المعرفة بكتب الله التى أنزلها لتحديد معالم الحق والبــاطل ، والخير والشر ، والحلال والحرام ، والحسن والقبيح •

رابعـــا : المعرفة بأنبياء الله ورسله الذين إختــارهم ليكونوا أعــلام الهدى ، وقادة الخلق الى الحق •

خامسا : المعرفة باليـــوم الآخر ، وما فيه من بعث وجــزاء ، وثواب وعقاب وجنة ونار •

سادسا : المعرفة بالقدر الذى يسير عليه نظام الكون فى الخلق والتدبير •

وحدة العقيــدة :

وهذا المفهوم للايمان ، هو العقيدة التى أنزل الله بها كتبه ، وأرسل بها رسله ، وجعلها وصيته فى الأولين والآخرين •

فهى عقيدة واحدة ، لا تتبدل بتبدل الزمان أو المكان ، ولا تتغير بتغير الأفراد أو الأقوام •

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينــا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه »(١) •

وما شرعه الله لنا من الدين ، ووصانا به كما وصى رسله السابقين ـ هو أصول العقائد وقواعد الايمان ، لا فروع الدين ، ولا شرائعــه العملية ، فان لكل أمة من التشريعات العملية ما يتناسب مع ظروفها ، وأحوالها ، ومستواها الفكرى والروحى •

« لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » (٢) •

(١) سورة الشورى : ١٣ •　　　(٢) سورة المائدة : ٤٨ -

لماذا كانت العقيدة واحدة وخالدة :

وانما جعل الله هذه العقيدة عامة للبشر ، وخالدة على الدهر ، لما لها من الأثر البين ، والنفع الظاهر فى حياة الأفراد والجماعات •

فالمعرفة بالله من شأنها أن تفجر المشاعر النبيلة ، وتوقظ حواس الخير ، وتربى ملكة المراقبة ، وتبعث على طلب معالى الأمور وأشرافها ، وتنأى بالمرء عن محقرات الأعمال وسفسافها •

والمعرفة بالملائكة تدعو الى التشبه بهم والتعاون معهم على الحق والخير • كما تدعو الى الوعى الكامل واليقظة التامة • فلا يصدر من الانسان الا ما هو حسن • ولا يتصرف الا لغاية كريمة •

والمعرفة بالكتب الالهية • انما هى عرفان بالمنهج الرشيد الذى رسمه الله للانسان كى يصل بالسير عليه الى كماله المادى والأدبى •

والمعرفة بالرسل : انما يقصد بها ترسم خطاهم ، والتخلق بأخلاقهم ، والتأسى بهم ، باعتبار أنهم يمثلون القيم الصالحة ، والحياة النظيفة التى أرادها الله للناس •

والمعرفة باليوم الآخر : هى أقوى باعث على فعل الخير ، وترك الشر •

والمعرفة بالقدر : تزود المرء بقوى وطاقات تتحدى كل العقاب والصعاب ، وتصغر دونها الأحداث الجسام •

وهكذا يبدو بجلاء أن العقيدة انما يقصد بها تهذيب السلوك ، وتزكية النفوس وتوجيهها نحو المثل الأعلى — فضلا عن أنها حقائق ثابتة وهى تعد من أعلى المعارف الانسانية ان لم تكن أعلاها على الاطلاق •

وتهذيب سلوك الأفراد عن طريق غرس العقيدة الدينية هو أسلوب من أعظم الأساليب التربوية •

حيث ان للدين سلطانا على القلوب والنفوس ، وتأثيرا على المشاعر والأحاسيس ، ولا يكاد يدانيه فى سلطانه وتأثيره شىء آخر من الوسائل التى ابتكرها العلماء ، والحكماء ، ورجال التربية •

فغرس العقيدة فى النفوس ، هو أمثل طريقة لايجاد عناصر صالحة تستطيع أن تقوم بدورها كاملا فى الحيــاة ، وتسهم بنصيب كبير فى تزويدها بما هو أنفع وأرشد •

اذ أن هذا اللون من التربية يضفى على الحيــاة ثوب الجمــال والكمال ، ويظللها بظلال المحبة والسلام •

ومتى سادت المحبة ارتفعت الخصومة ، وانقطع النزاع ، وحل الوفاق محل الشقاق ، وتقارب الناس ، وتآلفوا ، وسعى الفــرد لخير الجماعة ، وحرصت الجماعة على اصلاح الفرد واسعاده •

ومن ثم تظهر الحكمة واضحة من جعل الايمان عاما خالدا ، وفى أن الله لم يخل جيلا من الأجيال ، ولا أمة من الأمم ، من رسول يدعو الى هذا الايمان وتعميق جذور هذه العقيدة •

وكثيرا ما كانت تأتى هذه الدعوة بعد فساد الضمير الانسانى ، وبعد أن تتحطم كل القيم العليا ، ويظهر أن الانسان أشد ما يكون حاجة الى معجزة تعيده الى فطرته السليمة ، ليصلح لعمارة الأرض ، وليقوى على حمل أمانة الحياة •

ان هذه العقيدة هى الروح لكل فرد ، بها يحيا الحياة الطيبة ، وبفقــدها يموت الموت الروحى ، وهى النــور الذى اذا عمى عنه الانسان ، ضل فى مسارب الحياة ، وتاه فى أودية الضلال •

« أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى النــاس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها »(١) •

ان العقيدة مصدر العواطف النبيلة ، ومغرس المشاعر الطيبة ، ومنبت الأحاسيس الشريفة ، فما من فضيلة الا تصدر عنها ، ولا صالحة الا ترد اليها •

والقرآن الكريم حينما يتحدث عن الصالحات ، انما يذكر العقيدة فى طليعة أعمال البر ، كأصل تتفرع عنه ، وكأساس تقوم عليه • يقول الله سبحانه :

---

(١) سورة الأنعام : ١٢٢ •

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المـال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا • والصابرين فى البأساء والضراء وحين البـأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون »(١) •

منهج الرسل فى غرس هذه العقيدة :

وكانت الرسل تعرض على الناس هذه العقيدة ، عرضا كله السهولة والبساطة والمنطق • فتلفت أنظارهم الى ملكوت السموات والأرض • وتوقظ عقولهم الى التفكير فى آيات الله • وتنبه فطرهم الى ما غرس فيها من شعور بالتدين ، واحساس بعالم وراء هذا العالم المـادى •

وعلى هذا السنن مضى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يغرس هذه العقيدة فى نفوس أمته لافتا الأنظار ، وموجها الأفكار ، وموقظا العقول ، ومنبها الفطر • ومتعهدا هذا الغراس بالتربية والتنمية حتى بلغ الغاية من النجـاح ، واستطاع أن ينقل الأمة من الوثنية والشرك الى عقيدة التوحيد • ويملأ قلوبها بالايمان واليقين • كما استطاع أن يجعل من أصحابه قادة فى الاصلاح وأئمة فى الخير ، وأن يخلق جيلا يعـتز بالايمان • ويعتصم بالحق • فكان هذا الجيل كالشمس للدنيا والعافية للنـاس !

وقد شهد الله لهذا الجيل بالتفوق والامتياز ، فقال :

« كنتم خير أمة أخرجت للنـاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »(٢) •

ولقد بلغ الايمـان ببعض هؤلاء الصحابة الى درجة قال فيها : لو كشف عنى الحجاب لمـا ازددت يقينا •

---

(١) سورة البقرة : ١٧٧ •　　(٢) سورة آل عمران : ١١٠ •

وفى حديث الحارث بن مالك الأنصارى رضى الله عنه ما يعطينا الصورة المشرقة لهذا الايمان •

فقد مر حارثة برسول الله صلوات الله عليه فقال له الرسول :

(كيف أصبحت يا حارثة ؟

قال : أصبحت مؤمنا حقا •

قال : انظر ماذا تقول • فان لكل شىء حقيقة ، فما حقيقة ايمانك ؟

قال : عزفت نفسى عن الدنيا • فأسهرت ليلى • وأظمأت نهارى • وكأنى أنظر الى عرش ربى بارزا • وكأنى أنظر الى أهل الجنة يتزاورون فيها • وكأنى أنظر الى أهل النار يتضاغون (١) فيها •

فقال : عرفت يا حارثة • فالزم)(٢) •

الانحراف عن منهج الرسل وأثره :

ومنذ قامت دولة التوحيد على يدى خاتم أنبياء الله ورسله ، بقيت العقيدة تستمد قدسيتها من وحى الله وتعاليم السماء ، وتعتمد أول ما تعتمـد على الكتاب والسـنة ، وتتجه فى الدرجة الأولى الى تربية الملكات ، واعلاء الغرائز وتهذيب السلوك ، كى ترفع الانسان الى السمو اللائق بكرامته ، وتجعل منه قوة ايجابية فى الحياة •

ثم كانت الخلافات السياسية ، والاتصال بالمذاهب الفكرية والمذاهب الدينية الأخرى • وتحكيم العقل فيما لا قدرة له عليه ــ سببا فى العدول عن منهج الأنبياء • كما كانت سببا فى تحول الايمان من بساطته وايجابيته وسموه الى قضايا فلسفية ، وأقيسة منطقية ، ومناقشات كلامية ، أقرب ما تكون الى المناقشات البيزنطية •

ولم يعد الايمان هو الايمان الذى تزكو به النفس ، أو يصلح به العمل ، أو ينهض به الفرد ، أو تحيا به الأمة •

ولقد كان من أثر الخلافات السياسية ، والعدول عن نهج الفطرة ، والتأثر بالمذاهب الفكرية الطارئة ، وتحكيم العقل ــ أن انقسم حملة

---

(١) يتضاغون : يصرخون •　　　(٢) رواه الطبرانى بسند ضعيف •

العقيدة الى مدارس مختلفة ، كل مدرسة منهـا تمثل لونا معينا من التفكير . وتستأثر هى وحدها بالحق دون غيرها فى زعمها ، ومن لم يدخل فى دائرة تعاليمها يعد فى نظرها خارجا عن الاسلام :

فمدرسة لأهل الحديث ، ومدرسة للاشاعرة ، ومدرسة للماتريدية . ومدرسه للمعتزلة ، ومدرسة للشيعة ، ومدرسة للجهمية — الى آخر هذه المدارس المختلفة المتعددة المذاهب والمتنوعة الآراء :

وكل يدعي وصـــلا بليلي وليلي لا تقر لهم بذاكا

اذا اشـتبكت دموع فى جفون تبين من بكى ممن تباكا

وأشهر الخلافات التى وسعت الهوة بين الأمة الواحدة ، هو ما وقع من خلاف بين الأشاعرة والمعتزلة .

وكان أهم الموضوعات التى ثار حولها الخلاف هى ما يأتى :

١ — هل الايمان تصديق فقط ، أو هو تصديق وعمل ؟

٢ — هل صفات الله الذاتية ثابتة ، أو منفية عنه ؟

٣ — هل الانسان مسير ، أو مخير ... ؟

٤ — هل يجب على الله فعل الصلاح أو الأصلح ، أو لا يجب ؟

٥ — هل الحسن والقبح يعرفان بالعقل أو الشرع ؟

٦ — هل يجب على الله أن يثيب الطائع ، ويعذب العاصى أو لا يجب ذلك ؟

٧ — هل يرى الله فى الآخرة . أو أن ذلك مستحيل ؟

٨ — ما حكم مرتكب الكبيرة التى لم يتب منها حتى مات ؟

الى آخر هذه المسائل التى كانت مثار فرقة بين المسلمين . والتى مزقت الأمة شيعا وأحزابا .

ولقد كان من نتائج هذا التنازع ، ومن آثار هذا الانقسام أن جنى المسلمون على أنفسهم جنايات خطيرة : فتزعزعت العقيدة فى النفوس ؛

واستتر الايمان فى القلوب ، فلم يعد للعقيدة السيطرة على سلوك الافراد ولم يبق للايمان السلطان على تصرفاتهم .

وتبع ضعف العقيدة اضعف النظام فى الفرد ، وفى الاسرة ، وفى المجتمع ، وفى الدولة ، وفى كل جانب من جوانب الحياة ، واخذ هذا الضعف يدب فى كل ناحية ، حتى اصبحت الامة عاجزة عن النهوض بتبعاتها ، والاضطلاع بمسئولياتها داخليا وخارجيا ، ولم تبق الامة كما ارادها الله ان تكون — صالحة لقيادة الامم وهداية الشعوب .

واذا كان سبب تخلف الأمة عن غاياتها الكبرى ، هو ضعف العقيدة كان من الضرورى — ونحن نعمل على اعادة مجد امتنا — أن نسعى جاهدين فى غرس العقيدة فى نفوسنا ، وأن نترسم الخطة التى رسمها الرسول صلى الله عليه وسلم فى تعهدها بالتربية والتنمية حتى تبلغ غايتها من القوة ، وتصل الى النهاية من اليقين الذى يدفعنا إلى مجد الحياة ، ويرفعنا الى أسمى درجات العز والشرف .

وهذا الكتاب ما هو الا محاولة من المحاولات التى تبرز جانب العقيدة ، وتوضح أثرها فى النفس وفى الحياة .

وقد اعتمدنا فى ذلك على المصدر الأساسى للاسلام من كتاب الله وسنة رسوله .

وأملنا فى الله عظيم ، ورجاؤنا كبير فى أن تلقى هذه الدراسات من الترحيب والقبول ما يمكن لها حتى تكون لنا العقيدة التى نسود بها فى الدنيا ، ونسعد بها فى الآخرة . والله الموفق وهو حسبنا ، ونعم الوكيل .

معرفة الله

* وســيلة المعرفة
* المعرفة عن طريق العقل
* التقليد حجاب العقل
* ميادين التفكير وغايته
* المعرفة عن طريق معرفة الأسماء والصفات
* اسم الله الأعظم

ان معرفه الله ، هى أسمى المعارف وأجلها ، وهى الأساس الذى تقوم عليه الحياة الروحية كلها .

فمنها تفرعت المعرفة بالأنبياء والرسل ، وما يتصل بهم من حيث عصمتهم ووظيفتهم ، وصفاتهم ، والحاجة الى رسالتهم ، وما يلحق بذلك من المعجزة والولاية ، والكرامة ، والكتب السماوية .

وعنها تشعبت المعرفة بعالم ماوراء الطبيعة : من الملائكة والجن والروح .

وعنها أنبثقت المعرفة بمصير هذه الحياة ، وما تنتهى اليه من الحياة البرزخية ، والحيـــاة الأخروية : من البعث ، والحساب ، والثواب والعقاب ، والجنة ، والنار .

وسيـــلة المعـــرفة :

والمعرفة بالله وسيلتان :

احداهما : العقل والنظر فيما خلق الله من أشياء .

وثانيتهما : معرفة أسماء الله وصفاته .

فبالعقل من جانب ، وبمعرفة الأسماء والصفات من جانب آخر ، يعرف الانسان ربه ، ويهتدى اليه .

ولنلق ضوءا على كل وسيلة من هاتين الوسيلتين :

المعرفة عن طريق العقل :

ان لكل عضو وظيفة ، ووظيفة العقل ، هى التأمل والنظر والتفكير ؛ واذا تعطلت هذه القوى بطل عمل العقل ، وعطل من أهم وظائفه ، وتبع ذلك توقف نشاط الحياة مما يتسبب عنه الجمود والموت والفناء . والاسلام أراد للعقل أن ينهض من عقاله ، ويفيق من سباته ، فدعا الى النظر والتفكير ، وعد ذلك من جوهر العبادة .

« قل انظروا ماذا فى السموات والأرض »(١) .

« قل انما أعظكم بواحـدة أن تقوموا لله مثنى وفـرادى ثم تتفكروا »(٢) .

والذين يجحدون نعمة العقل ، ولا يستعملونه فيما خلق من أجله ، ويغفلون عن آيات الله هم موضع التحقير والازدراء ، والله سبحانه يعتب عليهم فيقول :

« وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنهـا معرضون »(٣) .

« وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين »(٤) ،

وتعطيل العقـل عن وظيفته يهبط بالانسان الى مستوى أقل من مستوى الحيوان ، وهو الذى حال بين الأقدمين وبين النفوذ الى الحقائق فى الأنفس وفى الآفاق . يقول الله سبحانه :

« ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون »(٥) .

التقليد حجاب العقل :

والتقليد هو المـانع للعقل من الانطلاق والمعوق له عن التفكر ، ومن ثم فان الله يثنى على الذين يخلصون للحقـائق ، ويميزون بين الأشياء ، بعد البحث والتمحيص فيأخذون ما هو أحسن ، ويدعون غيره .

« فبشر عبادى . الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب » (٦) .

ويندد بالمقلدين الذين لا يفكرون الا بعقول غيرهم ويجمدون على القديم المـألوف ، ولو كان الجديد أهدى وأجدى لهم .

---

(١) سورة يونس : ١٠١ . (٢) سورة سبأ : ٤٦ .
(٣) سورة يوسف : ١٠٥ . (٤) سورة يس : ٤٦ .
(٥) سورة الأعراف : ١٧٩ . (٦) سورة الزمر : ١٧ ، ١٨ .

«واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون » (١) .

ميادين التفكير :

والاسلام حين دعا الى التفكير ، ورحب به ، انما أراد أن يكون ذلك فى دائرة نطاق العقل وحدود مداركه .

فدعا الى النظر فيما خلق الله من شيء ، فى السموات والأرض ، وفى الانسان نفسه ، وفى الجماعات البشرية ، ولم يحظر عليه الا التفكير فى ذات الله ، لأن ذات الله فوق الادراك .

(تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله فانكم لن تقدروا قدره) (٢)

والقرآن الكريم مليء بمئات الآيات الداعية الى النظر فى مجالات الكون الفسيحة وآفاقه الرحبة التى لا تحد بحد ، ولا تقف عند نهاية ،

«كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة»(٣)

وما أوسع الدنيا التى دعا الاسلام الى التفكير فيها ، وسعتها ليست بشيء فى جانب سعة الآخرة .

غاية التفكير :

ومن أجل الغايات التى يريدها الاسلام : من ايقاظ العقل ، واستعمال وظيفته فى التأمل والنظر والتفكير هى هداية الانسان الى قوانين الحياة ، وعلل الوجود وسنن الكون وحقائق الأشياء ، لتكون هذه هى المنارات التى تكشف له عن مبدع الكون وخالقه ، وتأخذه برفق الى هذه الحقيقة الكبرى : حقيقة المعرفة بالله .

ان معرفة الله انما هى نتاج عقل ذكى ملهم ، وثمرة تفكير عميق مشرق .

---

(١) سورة البقرة : ١٧٠ .

(٢) رواه أبو نعيم فى الحلية مرفوعا الى النبى بسند ضعيف ومعناه صحيح .

(٣) سورة البقرة : ٢١٩ ، ٢٢٠ .

وهذه هى احدى وسائل القرآن فى الدلالة على الله •

انه يوقظ العقل ، ويفتح أمامه كتاب الطبيعة ، ليتعرف منه ماالله من صفات كماله ، ونعوت جلاله ، ومظاهر عظمته ، وأدلة قدسه ، وشمول علمه ، ونفوذ قدرته ، وتفرده بالخلق والابداع •

لنصغ الى هذه الآيات فى وعى :

« قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى ، آلله خير أما يشركون • أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ، أاله مع الله بل هم قوم يعدلون • أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا ، أاله مع الله بل أكثرهم لايعلمون • أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض ، أاله مع الله قليلا ما تذكرون • أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته ، أاله مع الله تعالى الله عما يشركون • أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض ، أاله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين »(١) •

فأى برهان أسطع من هذا البرهان ، وأى حجة أبلغ من هذه الحجة •

واذا لم يخضع العقل لهذا البرهان • ويذعن لهذه الحجة ، فانه لا يخضع لبرهان ، ولا يذعن لحجة قط •

« ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور »(٢) •

وليس يصح فى الأذهان شىء اذا احتاج النهار الى دليل

المعرفة عن طريق معرفة الأسماء والصفات :

والوسيلة الأخرى التى اتخذها الاسلام لتعريف الناس بالله ، هى عرض أسماء الله الحسنى ، وصفاته العليا •

---

(١) سورة النمل : ٥٩ ـ ٦٤ •   (٢) سورة النور : ٤٠ •

فالأسماء والصفات هى الوسائل التى تعرف الله بها الى خلقه وهى النوافذ التى يطــل منها القلب على اللــه مباشرة ، وهى التى تحرك الوجدان ، وتفتح أمام الروح آفاقا فسيحة تشاهد فيها أنوار الله وجلاله.

وهذه الأسماء هى التى ذكرها الله سبحانه فى قوله :

« قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن ، أيا ما تدعــوا فله الأســماء الحسنى »(١) .

وهى التى أمرنا أن ندعوه بها .

« ولله الأسماء الحسنى فادعوه (٢) بها » (٣) .

وعددها تسعة وتسعون اسما . روى البخارى ومسلم والترمذى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(ان لله تسعة وتسعين اسما من حفظها دخل الجنة(٤) ، وان الله وتر يحب الوتر) .

وزاد الترمذى فى روايته :

هو اللــه الذى لا الــه الا هــو الرحمن . الــرحيم . الملك (٥). القــدوس . الســلام . المــؤمن . المهيمــن . العــزيز (٦) .

---

(١) سورة الاسراء : ١١٠ .

(٢) ادعوه : سموه واذكروه واعبدوه وتقربوا اليه بها .

(٣) سورة الأعراف : ١٨٠ .

(٤) حفظها ووعاها واستحضر معناها واستشعر فى نفسه آثارها .

(٥) الله : لفظ الجلالة علم على الذات الالهيــة المقدســة الواجبة الوجــود المستحقة لجميع المحامد . وأما بقية الأسماء فكل اسم منها يدل على صفة ، ولهذا صح أن تكون وصفا للفظ الجلالة وأن يخبر بها عنه ❋ الرحمن : المنعم بجلائل النعم ❋ الرحيم : المنعم بدقائقها . ❋ الملك : المتصرف فى ملكه كيفما يشاء .

(٦) القدوس : المطهر من العيوب والنقائص ❋ السلام : الأمان لخلقه ❋ المؤمن : المؤمن لخلقه من العذاب والمصدق وعده لهم ❋ المهيمن : المسيطر ❋ العزيز : الغالب .

الجبـــار • المتـــكبر • الخـــالق • البـــارىء • المصـــور (١) • الغفـــار • القهـــار • الوهاب • الـــرزاق • الفتاح • العليم (٢) • القـــابض • البـــاسط • الخـــافض • الـــرافع • المعـــز (٣) • المـــذل • الســـميع • البصـــير • الحـــكم • العـــدل • اللطيف (٤) • الخبيـــر • الحليم • العظيم • الغفـــور • الشـــكور • العلى (٥) •

---

(١) الجبار : المنفذ لأوامره والمصلح لشئون عباده ❋ المتكبر : المنفرد بصفات العظمة ❋ الخالق : الموجد للمخلوقات من غير أصل أو القـدر ❋ البارىء : الخالق لما فيه الروح والموجد لما له أصل ❋ المصور : المعطى لكل شىء صورة تميزه عن غيره ❋ والخالق الموجد للاشياء ايجادا أوليا ، أو المقدر ، والبارى المظهر لها ، والمصور الذى أعطاها الصورة المناسبة .

(٢) الغفار : كثير المغفرة وستر الذنوب ❋ القهار : القابض على كل شىء والقاهر لكل الخلائق ❋ الوهاب : كثير النعم دائم العطايا والمنن ❋ الرزاق : خالق الأرزاق وخالق أسبابها ❋ الفتاح : الذى يفتح خزائن رحمته لعباده ❋ العليم : العالم بكل شىء فلا يغيب عنه شىء .

(٣) القابض : قابض الأرواح ، أو مضيق الرزق على من يشاء من عباده ❋ الباسط : موسع الرزق على من يشاء ❋ الخافض : الذى يخفض من هو مستحق للخفض بالخزى والذل والعذاب ❋ الرافع : الذى يرفع من يستحق الرفعة من المتقين ❋ المعز : يعز من استمسك بدينه ويعطيه النصرة والغلبة .

(٤) المذل : الذى يذل أعداءه ❋ الحكم : الحاكم الذى لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه ❋ العدل : العادل الكامل فى عدالته ❋ اللطيف : العالم بخفايا الأمور ودقائقها .

(٥) الحليم : الذى لا يستفزه غضب ولا يتعجل بالعقوبة ❋ العظيم : البالغ أقصى مراتب العظمة لاتصافه بالجلال والجمال ❋ الغفور : كثير الغفران ❋ الشكور : الذى يعطى الكثير على العمل القليل ❋ العلى : الذى بلغ أعلى المراتب التى لا يتصورها العقل ، ولا يدركها الفهم .

الكبير • الحفيظ • المقيت • الحسيب • الجليل (١) •

الكريم • الرقيب • المجيب • الواسع • الحكيم (٢) •

الودود • المجيد • الباعث • الشهيد • الحق • الوكيل (٣) •

القوى • المتين • الولى • الحميد • المحصى • المبدئ (٤) •

المعيد • المحيى • المميت • الحى • القيوم • الواجد (٥) •

---

(١) الكبير : الذى لا تستطيع الحواس ولا العقول ادراكه * الحفيظ : الذى يحفظ الأشياء من الخلل والاضطراب ، ويحفظ أعمال العباد ، فلا يضيع منها شئ * المقيت : خالق الغذاء الروحى والمادى * الحسيب : الذى يكفى عباده ، أو الذى يحاسبهم يوم القيامة * الجليل : الذى له صفات الجلال لكمال صفاته •

(٢) الكريم : المعطى من غير سؤال ولا عوض * الرقيب : الذى يراقب الأشياء ويلاحظ * المجيب : الذى يستجيب للداعى اذا دعا * الواسع : الذى عمت رحمته كل شئ ، ووسع علمه كل شئ * الحكيم : صاحب الحكمة لكمال علمه واتقانه كل شئ •

(٣) الودود : المحب الخير لخلقه ، والمحسن اليهم فى كل الأحوال * المجيد : البالغ النهاية فى المجد والشرف * الباعث : أى باعث الرسل ، وباعث الهمم ، وباعث من فى القبور * الشهيد : العالم بكل مخلوق * الحق : الثابت الذى لا يتغير * الوكيل : القائم بأمور عباده وبسائر ما يحتاجون اليه •

(٤) القوى : صاحب القدرة التامة * المتين : الذى بلغ النهاية فى الشدة * الولى : المتولى أمر خلقه المحب لهم ونصره اياهم * الحميد : المحمود المستحق للثناء * المحصى : الذى لا يغيب عن علمه شئ * المبدئ : المظهر للاشياء من العدم •

(٥) المعيد : الذى يعيد الأشياء بعد عدمها * المحيى : خالق الحياة فى من يستحق * المميت : مسلب الحياة من الأحياء * الحى : صاحب الحياة الدائمة * القيوم : القائم بنفسه والمقيم لغيره بقيامه السموات والأرض * الواجد : الذى يجد كل ما أراده ، فلا يحتاج الى شئ لغناه المطلق •

الماجـد • الواحد الصـمد • القـادر المقتـدر • المقدم • المؤخر (١)•
الأول • الآخـر • الظـاهر • البـاطن • الـوالى • المتعـالى (٢)•
البـر • التواب • المنتقـم • العفـو • الرءوف • مالك الملك (٣) •
ذو الجـلال والاكـرام • المقسـط • الجـامع • الغنى (٤) •
المغنى • المـانع • الضـار • النـافع • النـور • الهـادى (٥) •
البـديع • البـاقى • الـوارث • الرشـيد • الصـبور (٦) •
جل جلاله •

---

(١) المـاجد : مثل المجيد * الصمد : الذى يقصد فى الحوائج * المقدم : الذى يقدم الأشياء بعضها على بعض فى الوجود ، وفى الشرف ، أو فى الزمان ، أو فى المكان •

(٢) الأول : القديم السابق على كل شىء * الآخر : الباقى بعد كل شىء * الظاهر : الذى أظهر وجوده بآياته * الباطن : الخفى بذاته فلا يعلم ذاته أحـد * الوالى : الذى تولى الأشياء وملكها * المتعالى : المنزه عن النقـائص •

(٣) البر : كثير البر عظيم الاحسان * التواب : الذى يوفق العصاة للتوبة • ويقبلها منهم * المنتقم : المعاقب لمن يستحق العقوبة * العفـو : الماحى لسـيئات من أناب اليـه * الرءوف : عظيم الرأفة والرحمة * مالك الملك : الذى تجرى الأمور فى السموات والأرض طبق مشيئته وارادته •

(٤) ذو الجلال والإكرام : صاحب الشرف والكمال ومفيض النعم والآلاء * المقسط : المنصف للمظلومين من الظالمين بعدله * الجامع : الذى يجمع شتات الحقائق المختلفة والذى يجمع الناس يوم الدين * الغنى : المستغنى عن كل ما عداه والمفتقر اليه كل ما سواه •

(٥) المغنى : المتفضل باغناء من شاء من خلقه * المـانع : الذى يمنع أسباب الهلاك * الضار : الذى ينزل عقابه بأعدائه * النافع : الذى عم خيره البلاد والعباد * النور : الظاهر بنفسه والمظهر لغيره * الهادى : الذى هدى وأرشد كل شىء الى ما يحفظ وجوده •

(٦) البديع : الذى لا نظير له * الباقى : الدائم الوجود * الوارث : الباقى بعد فناء الموجودات * الرشيد : المرشد لعباده ، والذى تجرى تصاريفه لغاياتها بمنتهى الحكمة والسداد * الصبور : الذى لا يتعجل بالعقوبة ، ولا يتعجل بشىء قبل أوانه •

وفى كتاب الدين الاسلامى : وأسـماء الله الحسنى الواردة فى القرآن هى :

١ ــ أسماء متعلقة بذاته تعالى وهى :

الواحد • الأحد • الحق • القدوس • الصمد • الغنى • الأول • الآخر • القيوم •

٢ ــ أسماء متعلقة بالتكوين وهى :

الخالق • البارىء • المصور • البديع •

٣ ــ أسماء متعلقة بصفتى الحب والرحمة فيما عدا رب • ورحمن • ورحيم وهى :

الرءوف • الودود • اللطيف • الحليم • العفـو • الشـكور • المؤمن • البار • رفيع الدرجات • الرزاق • الوهاب • الواسع •

٤ ــ أسماء متعلقة بعظمة الله وجلاله وهى :

العظيم • العزيز • العلى • المتعالى • القوى • القهار • الجبار • المتكبر • الكبير • الكريم • الحميد • المجيد • المتين • الظاهر • ذو الجلال والاكرام •

٥ ــ أسماء متعلقة بعلمه تعالى وهى :

العلى • الحكيم • السميع • الخبير • البصـير • الشـهيد • الرقيب • الباطن • المهيمن •

٦ ــ أسماء متعلقة بقدرته تعالى وتدبيره للأمور وهى :

القادر • الوكيل • الولى • الحافظ • الملك • المـالك • الفتاح • الحسيب • المنتقم • المقيت •

٧ ــ وهناك أسماء أخرى لم تذكر بالنص فى القرآن ولكنها أستمدت من أفعال أو صفات له تعالى وردت بالقرآن وهى :

القابض • الباسط • الرافع • المعز • المذل • المجيب • الباعث • المحصى • المبدىء • المعيــد • المحيى • المميت • مالك الملك • الجامع • المغنى • المعطى • المانع • الهادى • الباقى • الوارث •

٨ ـــ وهناك أسماء أخرى له تعالى مستمدة من المعـانى الواردة فى القرآن وهى :

النور • الصبور • الرشيد • المقسط • الوالى • الجليل • العدل • الخافض • الواجد • المقدم • المؤخر • الضار • النافع • ويتصل بذلك صفتا التكلم والارادة •

اســم الله الأعظم :

وكما أن لله هذه الأسماء ، فله اسم أعظم(١) اذا دعى به ، أجاب واذا سئل به أعطى ، جاء ذكره فيما يلى من أحاديث :

١ ـــ عن بريدة رضى الله عنه قال :

سمع النبى صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو ، وهو يقول : اللهم انى أسألك بأنى أشهد أنك أنت الله لا اله الا أنت الأحد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد •

قال • فقال : (والذى نفسى بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم • الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى) (٢) •

٢ ـــ وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : دخل النبى صلى الله عليه

---

(١) اختلف العلماء فى تعيين اسم الله الأعظم والراجح من أقوالهم أنه دعاء مؤلف من عدة أسماء من أسمائه سبحانه اذا دعا به الانسان مع توفر شروط الدعاء المطلوبة شرعا استجاب الله له • وليس هو سرا من الأسرار الذى يعطيه الله لبعض الأفراد فتنخرق لهم العادات ويحققون ما يعجز غيرهم عن تحقيقه ، ولا ينبغى أن نزيد شيئا فى كتاب الله وسنة رسوله •

(٢) رواه أبو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه وقال المنذرى : قال شيخنا أبو الحسن المقدسى هو اسناد لا مطعن فيه ولا أعلم أنه روى فى هذا حديث أجود منه • وقال الحافظ ابن حجر : هذا الحديث أرجح ما ورد فى هذا الباب من حيث السند • ويراجع فقه السنة ج ٢ •

وسلم المسجد ورجل قد صلى(١) وهو يدعو ويقول فى دعائه : اللهم لا الــه الا الله أنت المنــان • بديع السموات والأرض • ذو الجلال والاكرام (٢) •

فقال النبى صلى الله عليه وسلم :

(أتدرون بم دعا الله ؟ دعا الله باسمه الأعظم الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى)(٣) •

٣ — وعن أسماء بنت يزيد رضى الله عنها ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : اســم الله الأعظم فى هاتين الآيتين : « **والهكم اله واحد لا أله الا هو الرحمن الرحيم** »(٤) • وفاتحة آل عمران : « **آلم • الله لا اله الا هو الحى القيوم** » (٥) •

٤ — وعن ســعد بن مالك رضى اللــه عنه قال : سمعت رسول اللــه صلى الله عليه وسلم يقول : (هل أدلكم على اسم الله الأعظم ، الذى اذا دعى به أجاب ، واذا سئل به أعطى ؟ الدعوة التى دعا بها يونس حيث نادى فى الظلمات الثــلاث : « **لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين** » (٦) فقال رجل : يا رسول الله هل كانت ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) دخل النبى صلى الله عليه وسلم المسجد ورجل قد صلى قال النووى : قال الخطيب : هذا الرجل أبو عباس زيد بن الصامت الأنصارى الرزقى •

(٢) ذو الجلال والاكرام : أى ياذا العظمة والكبرياء وذا الاكرام لأوليائك •

(٣) رواه أبو داوود والترمذى والنسائى وابن ماجه •

(٤) سورة البقرة : ١٦٣ •

(٥) رواه أحمد والترمذى وأبو داوود وابن ماجه وقال الترمذى حديث حسن صحيح •

(٦) سورة الأنبياء : ٨٧ •

ألا تسمع قول الله عز وجل : « **ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين** »(١) .

فهذه الأسماء التي تفتح آفاقا واسعة من المعرفة بالله اذا فهمها الانسان ، وأدرك معناها ، وانفعلت بها نفسه ، واتخذها نبراسا ، فانها تكشف له عن أكبر حقيقة من حقائق هذا الوجود(٢) .

(١) رواه الحاكم — والآية من سورة الأنبياء : ٨٨ .

(٢) يظن بعض الناس أن لبعض أسماء الله خواص اذا واظب عليها الانسان حصل له الكثير من الخير والعجائب والخوارق، وهذا الظن ليس له سند من الدين .

الذات الإلهية

* استحالة ادراك الذات
* الطبيعة تؤكد وجود الخالق
* الفطرة دليل وجود الله
* دلالة الواقع والتجارب
* التأييد الالهى
* شـــواهد النقل
* لا سند للالحاد
* اعتراف العلماء المحدثين بوجود الله

ان حقيقة الذات الالهية لا يمكن للعقل معرفتهـا ، ولا يستطيع ادراك كنهها ، لأنها لا تحيط بهـا الفكرة ، والانسان لم يعط وسائل ادراكها بعد .

ان العقل البشرى مهما كان مبلغه من الذكاء وقوة الادراك قاصر غاية القصور وعاجز غايه العجز عن معرفة حقائق الأشياء .

فهو عاجز عن معرفة النفس الانسانية ، ومعرفة النفس لا تزال من أعقد مسائل شىء العلم والفلسفة .

وهو عاجز عن معـرفة حقيقة الضوء ، والضوء من أظهر الأشياء وأوضحها .

وعاجز عن معرفة حقيقة المـادة ، وحقيقة الذرات التى تتألف منها . والمـادة ألصق بالانسان .

ولا يزال العلم يقف عاجزا أمام كثير من حقائق الكون والطبيعة . لا يستطيع ان يقول فيها الكلمة الأخيرة .

قال العلامة الفلكى المشهور (كاميل فلامريون) فى كتابه (القوى الطبيعيه المجهولة) :

(نرانا نفكر ، ولكن ما هو الفكر ؟ لا يستطيع أحد أن يجيب على هذا السؤال . ونرانا نمشى ، ولكن ما هو العمل العضلى ؟ لا يعرف احد ذلك أرى ان ارادتى قوة غير مادية ، وأن جميع خصائص نفسى غير مادية ايضا ، ومع ذلك فمتى أردت أن أرفع ذراعى ، أرى أن ارادتي تحرك مادتى ، فكيف يحدث ذلك ، وما هو الوسيط الذى يتوسط للقوى العقلية فى انتاج نتيجة مادية ؟

لا يوجد من يستطيع أن يجيبنى عن هذا أيضا ، بل قل لى : كيف ينقل العصب البصرى صور الأشياء الى العقل ؟

وقل لى : كيف يدرك العقل هذا ؟

وأين مستقره ؟ وما هى طبيعة العمل المخى ؟.

قولوا لى أيها السادة (يريد الملحدين) ••• ولكن كفى كفى ! فانى أستطيع أن أسألكم عشر سنين ، ولا يستطيع أكبر رأس فيكم أن يجيب على أحقر أسئلتى) •

فاذا كان موقف العقل هكذا حيال النفس والضوء والمادة ، وما فى الكون المنظور وغير المنظور من أشياء ، فكيف يتطلع الى معرفة ذات البارى جل شأنه ، ويحاول ادراك كنهه !

ان ذات الله أكبر من أن تدركها العقول ، أو تحيط بها الأفكار وما أصدق قول الله سبحانه :

« لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير »(١) •

العجز عن معرفة حقيقة الأشياء لا ينفى وجودها :

وقصور العقل ، وعجزه عن ادراك حقيقة الأشياء لا ينفي وجودها •

فعجزه عن ادراك حقيقة النفس لا ينفى أنها موجودة ، وعجزه عن ادراك حقيقه الضوء لا ينفى وجود ضوء يعم الافاق ، وعجزه عن ادراك كنه الذرة لا ينفى أن ثمة ذرات تتكون منها المـادة ، وهكذا سائر الأشياء التى يقصر العقل عن ادراك حقيقتها ويعجز عن معرفة كنهها •

ومثل ذلك الذات الالهيـة اذا عجز الانسان عن ادراك حقيقتها ، فليس معنى ذلك أنها غير موجودة ، بل هى موجودة كأقوى ما يكون الوجـود •

ان وجوده سبحانه فى حكم البدهيات الأولية ، والمسلمات العقلية ، وما كان كذلك لا يطالب باقامة الدليل عليه ، الا المكابر ، كالأعمى الذى يطلب اقامة الدليل على وجود الشمس أثناء النهار ، ومع ذلك فنحن نسوق من الأدلة ما يهدى الى الحق ويكشف عن وجه الصواب •

الطبيعة تؤكد وجود الخالق :

ان وجود الله حقيقة لا شك فى أمرها ، ولا مجال لانكارها ، فهو

---

(١) سورة الأنعام : ١٠٣ •

ظاهر كالشمس باهر كفلق الصبح ، وكل ماڧ الكون شاهد على هذا الوجود الالهى ، ومواد الطبيعة وعناصرها تؤكد أن لها خالقا ومدبرا .

فالعالم العلوى ، وما فيه من شموس وأقمار ونجوم وكواكب ، والعالم الأرضى وما فيه من انسان وحيوان ونبات وجماد ، والترابط الوثيق ، والتوازن الدقيق ، الذى يؤلف بين هذه العوالم ، ويحكم أمرها — ما هو الا آية وجود الله ، ومظهر تفرده بالخلق ، ولا يتصور العقل أن توجد هذه الأشياء بدون موجد ، كما لا يتصور أن توجد الصنعة بدون صانع .

فاذا كان العقل يحيل أن تطير طائرة ڧ الهواء ، أو تغوص غواصة ڧ المـاء ، دون أن يكون فيه صانع للطائرة ، ومنشىء للغواصة ، فانه يجزم جزما قاطعا باستحالة وجود هذا الكون البديع ، هذه الطبيعة الجميلة من غير خالق خلقها، ومدبر دبر أمرها .

ان ثمة فروضا ثلاثة يمكن أن نفرضها ڧ تعليل الأصل الذى صدر عنه الكون ، وليس ثمة فرض وراء هذه الفروض .

الفرض الأول : أن يكون صدور هذا الكون من العدم .

الفرض الثانى : أن تكون الصدفة وحدها هي التي نشأ عنها هذا الكون البديع .

الفرض الثالث : أن يكون ثمة موجد أوجد هذا الكون ، وأنشأه .

ولنمض ڧ مناقشة كل فرض من هذه الفروض :

فالفرض الأول باطل من أساسه ، لأن المسببات مرتبطة بأسبابها ، والنتائج مرهونة بمقدماتها .

ولا يتصور العقل أن يوجد معلول بدون علة ، ولا مسبب دون أن يسبق بسبب ، ولا نتيجة من غير أن يكون لها مقدمات :

فصدور الكون من العدم معناه وجود المعلول بدون علة والمسبب دون سببه ، والنتيجة دون مقدماتها : أى أن الكون وجد من نفسه وصدر منقطعا عن سببه .

ووجود الأشياء من نفسها منقطعة عن أسبابها محال عقلا وواقعا ، لأن وجود الأشياء من نفسها مع انقطاعها عن أسبابها ترجيح لجانب الوجود على جانب العدم بدون مرجح ، وترجيح جانب الوجود على جانب العدم بدون مرجح محال .

اننا اذا قلنا : ان الكون وجد من نفسه منقطعا عن سببه كان ذلك مساويا لقولنا : بأن العدم سبب الوجود .

وهذا غاية فى البطلان ، لأن العدم لا يتصور أن يكون مصدرا للوجود ، ففاقد الشىء لا يعطيه ، وهذا هو ما أشارت اليه الآية الكريمة :

« أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون ، أم خلقوا السموات والأرض ، بل لا يوقنون »(١) .

أى هل وجدوا من غير خالق ؟! أم خلقوا أنفسهم ، فلا يحتاجون الى أحد يخلقهم ! ؟ وكل هذا مستحيل :

والفرض الثانى : وهو أعظم تهافتا من الفرض الأول ، فان الصدفة لا يمكن أن ينبثق عنها هذا النظام ، ولا أن يصدر عنها هذا الاحكام ، فهل الصدفة هى التى خلقت الذكر والأنثى ، وألفت بينهما هذا التأليف الجميل ؟ وهل هى التى خلقت الأرض ، وما فيها من انسان وحيوان ونبات وجماد ؟ وهل الصدفة هى التى علقت الأرض فى الهواء وسيرتها فى مدارها الذى لم تنحرف عنه قيد شعرة منذ ملايين السنين ؟ وهل الصدفة هى التى سيرت الكواكب والنجوم مع ضخامتها وكثرتها بهذه السرعة المذهلة دون أن تتصادم ؟ وهل الصدفة هى التى أوجدت العناصر التى يتألف منها الكون ، وهى التى تنسقها تنسيقا دقيقا صالحا للاستمرار والدوام الى المدى الذى أراده الله ؟

ان الذرة وهى أصغر الأشياء يحار العقل والعلم فى تركيبها المحكم وتناسقها العجيب ، وتآلف أجزائها بعضها مع بعض ، فهل هذا التركيب والتأليف والتناسق صدفة ؟ لنستمع الى كلمة العلم فى الذرة :

(تتألف المادة من ذرات لا يمكن رؤيتها بأقوى المجاهر (الميكروسكوب) ولكى نتصور حجم الذرة علينا أن نتصور أننا لو وضعنا

---

(١) سورة الطور : ٣٤ ، ٣٥ .

مائة مليون ذرة جنبا الى جنب لبلغ طولها بوصة تقريبا ، ومن ناحية أخرى يوجد فى قطرة من مياه البحر خمسون مليون ذرة من الذهب .

وتتألف الذرة من نواة تدور حولها كهارب سلبية (الكترونات) فى أفلاك مستديرة ، وبين الاثنين فراغ يشبه الفراغ بين الكواكب والشمس من حيث النسبة بين الحجم والأبعاد .

ويبلغ وزن أخف نواة ١٨٥٠ ضعف وزن الألكترون ، ولو رصت عشرون ألف نواة جنبا الى جنب لبلغ طول قطرها قطر الذرة ، أو بعبارة أخرى نسبة النواة الى الذرة كرأس الدبوس بالنسبة الى منزل متوسط الحجم .

وتدور الألكترونات حول النواة فى أفلاك كأفلاك الكواكب اذ تدور حول الشمس ، ولكن هذه الأفلاك أكثر حساسية وأقل تحديدا من أفلاك الكواكب ، ولو أن المادة المؤلفة من النوى الذرية مكدسة مع بعضها أى بدون الفراغ الموجود بين النواة والالكترونات لبلغ وزن قطعة نقدية فى حجم القرشين حوالى ٤٠ مليون طن .

وتتألف النواة من كهارب موجبة (بروتونات) يساوى عددهم عدد الكهارب السالبة (الألكترونات) التى تدور حول النواة — ويوجد الى جوار البروتونات كهارب أخرى متعادلة الشحنة تسمى نيوترونات ، ولو استطعنا أن نخلخل من هذه الرابطة التى تربط بين البروتونات والنيترونات ، أو بالأحرى لو استطعنا أن نهيىء السبل لهروب نيوترون واحد من مجموع النيوترونات التى تحيط بالبروتونات اذن لانطلقت طاقة كبرى كان اينشتين أول من قدرها بأنها تساوى الكتلة فى مربع سرعة الضوء مقدرا بالسنتيمتر فى الثانية) (١) .

فاذا انتقلنا من الذرة ، ورفعنا رؤوسنا الى الشمس رأينا العلم يقول :

« الشمس هى كرة متأججة بنار أشد وطيسا من كل نار على الأرض ، وهى أكبر من الأرض بأكثر من مليون مرة أما بعدها عنا فنحو ٩٢٫٥٠٠٫٠٠٠ ميل ، هذا وان هى الا نجمة ، وليست هى فى عداد النجوم الكبرى .

---

(١) مستقبلنا الذرى تأليف ادوارد تيللر والبرت لاتر — الطاقة الانفجارية .

وهناك مشكلة أخرى أعيا حلها النهائي عقول العلماء والفلكيين ، هي أن الشمس كما يؤخذ من علم طبقات الأرض لم تزل تشع نفس المقدار أو نحوه من الحرارة مدة ملايين من السنين ، فان كانت الحرارة الصادرة عنها نتيجة احتراقها ، فكيف لم تفن مادتها مع توالى العصور ؟ فلا شك أن طريقة الاحتراق الجارية فيها غير ما نعهد ونألف ، والا لكفاها ٦٠٠٠ سنة لتحترق ، وتنفد حرارتها .

(أما فضل الشمس علينا ، فليس أنها مصدر نورنا ونارنا فقط ، بل هي محور نظامنا السيارى ، ومصدر حياتنا أيضاً ، فهي التي تبخر مياه البر ، وترفعها غيوما فى الجو ، وتنزلها أمطارا على الأرض ، حيث تجرى جداول وأنهارا تروى زرعنا وتنمى أغراسنا ، وتثير الرياح ، وتهيج الأنواء ، فتطهر الهواء وتنقيه ، وتزجى السفن والمراكب فى عباب المحيط ، وهى التى تجر المركبات . وتدير الآلات البخارية ، وما الفحم الحجرى الا حرارة نورها المدخرة منذ قديم الأدهار ، لينتفع بها بنو العصور المتأخرة ، ولا حياة لولا الشمس ، لحيوان ، ولا لنبات ، فالحيوانات تنتعش بحرارتها ، والأطيار تغرد بأنوارها ، وتسبح تسبيحا ، وبحرارتها وأنوارها تبزغ النباتات ، وتنمو الأشجار ، وتزهو الأزهار ، وتنضج الأثمار فنحن مدينون للشمس بمأكلنا ومشربنا ، وهى علة وجودنا على هذه الأرض) .

فاذا تجاوزنا الشمس وجدنا أن :

(أقرب نجم الينا بعد الشمس يعادل بعده ٢٩٠ر٠٠٠ مرة بعد الشمس عنا) .

ويعتبر هذا شيئا ضئيلا جدا بالنسبة لنجوم المجرة التى أسماها القدماء (طريق التبانة) . بل تعتبر المجموعة الشمسية ذرة اذا قيست بالمجرة ، اذ أنها تحتوى على مائة مليون نجم موزعة فيما يشبه القرص المفرطح الرقيق نسبيا) .

ويقول هيربرت سبنسر جونز مؤلف كتاب (الفلك العام) :

(ان الضوء يستغرق مائة ألف سنة ضوئية ليصل بين طرفى المجرة ، ومعلوم أن الضوء يسير بسرعة ١٧٦ر٠٠٠ الميل فى الثانية أو ٣٠٠ر٠٠٠

ألف كيلو متر . وعلى هذا فان السنة الضوئية تعادل عشر مليون مليون كيلو متر .

وليست هذه المجرة التى تبلغ هذا الحد من الضخامة التى لا يقوى العقل على استيعابها الا واحدة من كثيرات لم يحصها العد .

وبقى أن نعرف أن أقرب مجرة لمجراتنا تبعد سبعمائة ألف سنة ضوئية »(١) .

أفبعد هذا يتصور العقل أن يكون ذلك ناشئا بطريق الصدفة ؟

ان القول بالصدفة فى خلق الكون لا يتصوره العقل ، ولا يقـره العلم ، ولا يقوله انسـان الا اذا فقـد أخص خصائصه من الادراك والتمييز .

قال الفيلسوف الألمـانى ادوارد هارنمان خليفة شوبنهور فى كتابه المذهب الدرونى : « ان الرأى الذى مقتضاه عدم وجود القصد فى الكون عند الدارونيين لايقوم عليه دليل ، وهو من الأوهام التى لا أساس لها من العلم » .

وقال الأسـتاذ فون باير الألمانى فى كتابه دحض مذهب دارون : (واذا كانوا يعلنون الآن بصوت جهورى بأنه لا يوجد قصد فى الطبيعة ، وأن الكون لا تقوده الا ضرورات عمياء ، فأنا أعتقد أن من واجباتى أن أعلن عقيدتى فى ذلك وهى أنى على العكس أرى جميع هذه الضرورات تكشف عن أغراض سامية) قال الأستاذ الكبير محمد فريد وجدى رحمه الله بعد أن ذكر هذا الكلام الأخير : (ولو شئنا الاستئناس بمئات من أقطاب العلم والفلسفة على رأى عدم وجود القصد فى الخليقة لما كلفنا ذلك أكثر من النقل) .

ومتى ثبت وجود القصد فى الكون ، فقد ثبت وجود المدبر الحكيم جل وعلا من طريق محسوس لا سبيل للجدل فيه مصداقا لقوله تعالى :

---

(١) قصة الكون من السديم الى الانسان من كتاب الثقافة الانسانية .

« أفى الله شك فاطر السموات والأرض » (١) .

واذا لم يصح الفرض الأول ، ولا الفرض الثانى ، لأنهما خارجان عن دائرة العقل والمنطق والعلم لم يبق الا الفرض الثالث :

وهو أن لهذا الكون خالقا ومدبرا ، وهذا هو مقتضى العقل والمنطق السليم الذى دعا سقراط الى الايمان بالله ، وافحام اريستوديم الذى ينكر الألوهية فى المحاورة التى نذكرها فيما يلى :

(سقراط : أيوجد رجال تعجب بمهارتهم وجمال صنائعهم ؟

اريستوديم : نعم أعجب فى الشعر القصصى بهومير ، وفى التصوير بزوكيس ، وفى صناعة التماثيل ببوليكتيت .

سقراط : أى الصناع أولى بالاعجاب ، الذى يخلق صورا بلا عقل ولا حراك أم الذى يبدع كائنات ذات عقل وحياة ؟

اريستوديم : طبعا الذى يبدع الكائنات المتمتعة بالعقل والحياة اذا لم تكن من نتائج الاتفاق .

سقراط : وهل يمكن أن يكون من الاتفاق أن تعطى الأعضاء لمقاصد وغايات خاصة ، عين ترى ، وأذن تسمع ، وأنف يشم ، ولسان يتذوق ، والعين تحاط بحراسة لحساسيتها وضعفها ، فتقفل عند النوم ، أو عند الحاجة ، وتحرس بالرموش والحواجب ، ويجعل للأذن جهاز خارجى يجمع لها الصوت ، وهل يمكن أن يكون كل ذلك من نتائج الاتفاق ؟

والميل المودع فى النفوس للتناسل ، والحنان المخلوق فى قلوب الأمهات بالنسبة للأولاد ، مع ندرة أن ينفع ولد أباه أو أمه ، والطفل الذى يلهم الرضاعة بمجرد ولادته .

هل يمكن أن يكون ذلك كله من نتائج الاتفاق ؟

اريستوديم : لا ، ان ذلك يدل على الابداع وعلى أن الخالق عظيم يحب الكائن الحى ، ولكن لماذا لا نرى الخالق ؟

---

(١) سورة ابراهيم : ١٠ .

سقراط : وأنت أيضا لا ترى روحك التى تتسلط على أعضائك ، فهل معنى هذا أن نقول ان أفعالك صادرة عن اتفاق وبدون ادراك)؟

وصدق الله العظيم الذى يقول :

« ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر ، لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون »(١) .

الفطرة دليل وجود الله :

والكون وما فيه من نظام ، واحكام ، وجمال ، وكمال ، وتناسق ، وابداع ، ليس هو وحده الشاهد الوحيد على وجود قيوم السموات والأرض ، وانما هناك شاهد آخر ، وهو الشعور المغروس فى النفس الانسانية بوجوده سبحانه ، وهو شعور فطرى فطر الله الناس عليه ، وهو المعبر عنه بالغريزة الدينية ، وهو المميز للانسان عن الحيوان ، وقد يغفو هذا الشعور بسبب ما من الأسباب ، فلا يستيقظ الا بمثير يبعث على يقظته من ألم ينزل ، أو ضر يحيط ، والى هذا تشير الآية الكريمة :

« واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا الى ضر مسه »(٢) .

دلالة الواقع والتجارب :

واذا كان النظر العقلى فى الكون وأسراره يهدى الى البارى جل شأنه ، واذا كان الشعور الفطرى شعورا أصيلا فى النفس الانسانية ، يستوى فيه العالم والجاهل ، والحضرى والبدوى ، والرجال والنساء ، والأولون والآخرون ، فان ثمة دليلا آخر مأخوذا من واقع الانسان وتجاربه ، فكم دعا الانسان ربه فأجاب دعاءه وكم ناداه ، فلبى نداءه ، وكم سأله فأعطاه ، وكم توكل عليه فكفاه ، وكم من مرض شفاه منه ، وكم من ألم خففه عنه ، وكم من رزق ساقه اليه ، وكم من كربة فرجها ، وكم من غمة كشفها .

---

(١) سورة فصلت : ٣٧ .   (٢) سورة يونس : ١٢ .

ان تجارب الانسان فى الحياة تأخذ بيده ، وتوصله الى الله مباشرة ، لأنها تكشف له عن الحقيقة التى لم يستطع أن يلمسها بحواسه والتى تدبر الكون • وتسيره وفق نظام محكم وقانون مطرد ، وما من انسان الا وقد وقع له فى حياته من التجارب ما عرفه بالله ، وهداه اليه ، وأوقعه عليه •

فكثيرا ما يفقد الانسان جميع الأسباب المادية التى تجلب الخير له ، أو تدفع الشر عنه • فاذا توجه بقلبه الى رب كل شىء ومليكه تحقق له من الخير ما يصبوا اليه واندفع عنه من الشر ما يخاف منه دون سبب ظاهر أو تعليل معقول فبماذا تفسر هذه الظواهر ؟

وهل لها تفسير سوى أن من ورائها رب الأرباب ومسبب الأسباب •

التأييد الالهى :

ومن دلائل الوجود الالهى أن المؤمنين بالله ايمانا حقيقيا أعلى من غيرهم علما وأكثر أدبا ، وأزكى نفسا ، وأطيب قلبا ، وأكثر تضحية ، وأعظم ايثارا ، وأنفع الناس للناس ، فما الذى غير طباعهم وغرائزهم وميولهم • ووجهها وجهة الحق والخير والجمال والكمال ؟

لماذا لم يكونوا مثل غيرهم ممن لا يؤمنون بالله من غلظ الجهل ، وجفاء الطبع ، وخبث النفس • وظلمة القلب • وفساد الخلق • وحيوانية فى المطالب والمآرب ؟ لابد وأن يكون وراء ذلك سر •

وهل فيه سر غير أن المؤمنين بالله يمدهم بالقوى التى تصحح انسانيتهم ليصلوا الى أقصى ما قدر لهم من كمال ، فهذا التغيير فى نفوس المؤمنين وصفاتهم وأخلاقهم وميولهم أدل دليل على وجود قوى روحية خفية تعمل عملها فى صمت ، وتظهر آثارها جلية فى سلوك المؤمنين بها ، الواصلين حبالهم بحبالها •

شواهد النقل :

ومما يستشهد به على الوجود الالهى الحقيقى أن المصطفين من العباد ، والأخيار من الناس ، نادوا فى الناس من عهد آدم الى عهد محمد ، عليهم صلوات الله وسلامه ، بأن لهذا الكون الها حكيما ، وأجمعوا على ذلك ؛

وقد قامت الشواهد على صدقهم من تأييد الله لهم ، وكبت أعدائهم ، وجعل كلمة الله هى العليا ، وكلمة الذين كفروا السفلى ، فأى دليل أبلغ من قول الصادقين مع الله والمخلصين له ، والداعين اليه ، والمتفانين فيه ، والمؤيدين به •

لا سند للالحاد :

واخيرا نقرر انه لم يثبت من ناحية العقل ، ولا من ناحية العلم اى دليل يمكن الاستناد اليه فى نفى وجود الله • وكل ما ذكره الملحدون ما هو الا وهم لا يستند الى منطق سليم ، ولا علم مبين •

وليس هذا الالحاد بجديد على الناس ، ولا هو من مبتكرات هذا العصر ، وانما هو قديم ، وقديم جدا ، قاومه الانبياء عبر الاجيال والعصور • يقول القرآن الكريم :

« وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ، وما لهم بذلك من علم ، ان هم الا يظنون »(١) •

فهل ثمة فارق بين ما قاله الأولون فى عصر الجاهلية ، وبين ما يقوله الاخرون فى العصر الذى يتحدثون عنه بأنه عصر النور والعرفان ؟

على أن العصر الذى بلغ فيه العلم شأوا لم يصل اليه من قبل ، لم يستطع أن ينكر وجود الله ، بل ان علماءه من أشد الناس ايمانا بالله ، ولا نريد بالعلماء السطحيين من أدعياء العلم ، وانما نقصد العلماء الحقيقيين •

ومما يؤيد هذا الذى نقوله ما نشره الدكتور دينرت (Denrt) من بحث حلل فيه الآراء الفلسفية لأكابر العلماء بقصد أن يعرف عقائدهم ، فتبين له من دراسة ٢٩٠ عالما ، أنهم بالنسبة للعقيدة الدينية كما يلى :

٢٤٢ من هؤلاء أعلنوا ايمانهم الكامل بالله •

---

(١) سورة الجاثية : ٢٤

٢٨ لم يصلوا الى عقيدة •

٣٠ لم يهتموا بالتفكير الدينى (١) •

وهكذا نجد أغلبية ساحقة تزيد عن ٩٠٪ يعلنون ايمانهم بالله عن طريق أبحاثهم العلمية ، ونجد من سواهم لا يزالون فى تردد ، أو لم يهتموا بالعقيدة الدينية فى أبحاثهم ، واغلب الظن أن المترددين سيصلون يوما ، وأن الآخرين الذين لم يهدهم العلم لساحة الله يعانون نقصا ، لو تخلصوا منه لوصلوا •

ونختم هذا البحث عن الدليل العقلى على وجود الله بأقوال مشاهير العلماء :

يقول هرشل العالم الفلكى الانجليزى : (كلما اتسع نطاق العلم ازدادت البراهين الدامعه القوية على وجود خالق أزلى لا حد لقدرته ولا نهايه ، فالجيولوجيون والرياضيون والفلكيون والطبيعيون قد تعاونوا ، وتضامنوا على تشييد صرح العلم وهو صرح عظمة الله وحده) (٢) •

ويقول الدكتور ونتز الكيماوى الفرنسى : (اذا أحسست فى حين من الأحيان أن عقيدتى بالله قد تزعزعت وجهت وجهى الى أكاديمية العلوم لتثبيتها) (٣)•

ويقول فولتير ساخرا : (لم تشككون فى الله ، ولولاه لخانتنى زوجتى وسرقنى خادمى) !؟

---

(١) نقلا عن مجلة الأزهر المجلد ٢٩ عن كتاب الاسلام للدكتور أحمد شلبى •

(٢) دائرة معارف « وجدى » مادة (أ) له ج ١ ص ٥٠٣ •

(٣) مجلة الأزهر المجلد ١٩ •

صفات الله

* الصفات السلبية
* الصفات الثبوتية
* صفات الذات والأفعال
* صفات الله أعلام هادية

والله سبحانه الموجد للكون له الأسماء الحسنى ، والصفات العليا . التى هى من مقتضيات كمال ربوبيته وعظمة ألوهيته .

وهذه الصفات قد تفرد بها الخالق ، فلا يشاركه فيها شريك ، لأنه وحده هو الرب والاله ، فلا رب غيره ، ولا اله الا الله .

وهذه الصفات منها صفات سلبية(١) : ومنها صفات ثبوتية .

الصفـات السلبية :

أما الصفات السلبية فهى :

الأول والآخر :

فالله سبحانه هو الأول : ومعنى أوليته : أنه سبحانه لا أول لوجوده ، وأن وجوده غير مسبوق بعدم .

وأنه هو الآخر : ومعنى آخريته : أنه سبحانه لا آخر لوجوده ، وأنه باق الى ما لا نهاية : فهو سبحانه أزلى وأبدى . لا يسبقه عدم ، ولا يلحقه فناء : لأنه واجب الوجود ، يقول الله سبحانه :

« هـو الأول ، والآخـر ، والظاهر ، والباطن ، وهو بكل شىء عليم » (٢) .

ويقـول :

« كل شىء هالك الا وجهه » (٣) .

---

(١) هى التى سلبت عن الله ما لا يليق بكماله .

(٢) الأول : السابق فى الوجود كل الموجودات من غير سبق العدم . الآخر : الباقى بعد فناء الموجودات . الظاهر : بآثاره الدالة على وجوده . الباطن : هو الذى لا تدركه الحواس ولا تحيط به العقول . والآية من سورة الحديد : ٣ .

(٣) سورة القصص : ٨٨ .

ويقـــول :

«كل من عليها فان • ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام» (١).

وروى البخاري والبيهقى عن عمران بن الحصين قال :

(انى عند النبى صلى الله عليه وسلم ، اذ جاءه قوم من بنى تميم فقال : اقبلوا البشرى(٢) يا بنى تميم ، قالوا : بشرتنا فاعطنا ، فدخل ناس من أهـل اليمن فقال : اقبلوا البشرى يا أهل اليمن اذ لم يقبلها بنو تميم • قالوا : قبلنا • جئنا لنتفقه فى الدين ، ولنسألك عن اول هذا الأمر ما كان ؟

قال : كان الله ولم يكن شىء قبله ، وكان عرشه على المـــاء ، ثم خلق السموات والأرض ، وكتب فى الذكر كل شىء) •

والذكر هو اللوح المحفوظ ، وهو خلق عظيم من خلق الله ، سجل الله فيه جميع الكائنات التى قدرها ، أو هو عبارة عن علم الله المتعلق بسائر الموجودات : كليها وجزئيها ، صغيرها وكبيرها •

ومعنى قوله «وكان عرشه على الماء»(٣): أن العرش فى جهة العلو ، والمـاء تحته فى جهه السفل ، وليس معناه انه ملاصق للماء محمول عليه • كما يقال السماء على الأرض • اى أنها فوقها دون ملاصقتها لها •

بدء الخلق فى رأى علماء الشرع :

ويظهر من الأحاديث أن العرش هو اول المخلوقات العلوية ، وان المـــاء هو أول المخلوقات المـــادية ، وأنه خلق قبل العرش كما رواه أحمد والترمذى •

وبعد خلق العرش والمـــاء خلق السموات والأرض •

ويظهر أيضا من الحديث الصحيح الذى رواه أحمد والترمذى أن أول المخلوقات المعنوية القلم ، فقد رويا عن عبادة بن الصامت أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

---

(١) سورة الرحمن : ٢٦ ، ٢٧

(٢) البشرى : هى أن من أسلم نجا من الخلود فى النار .

(٣) سورة هود : ٧ •

(أول ما خلق الله القلم ، ثم قال له اكتب ، فجرى بما هو كائن الى يوم القيامة) .

وأما ما روى من أن أول المخلوقات العقل . فلم يثبت هذا الحديث ، وكذلك حديث : (أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر) .

وليس ثمة دليل يمكن التعويل عليه فى أصل الكائنات من جهة الشرع .

بدء الخلق فى رأى علماء الفلك وطبقات الأرض :

وعلماء الفلك وطبقات الأرض يتفقون مع علماء الشرع فى أن الكون حدث ، وتطور بعد أن لم يكن ، ولكنهم يختلفون عنهم فى بداية هذا الحدوث وتطوره .

فالشرع لا يتحدث عن ذلك ، بينما هم يقولون كما جاء فى كتاب تاريخ الأرض (لجورج جامبو) : ان الكون بدأ تطوره منذ بليون بليون سنة . أما الأرض فقد نشأت حديثا جدا اذ لم توجد الا منذ بليونين من السنين فقط ، وظهرت الحياة على الأرض منذ بليون سنة ، والحيوانات البرمائية منذ ٣٠٠ مليون سنة أما الحيوانات الثديية التى يعتبر الانسان أحد فروعها ، فقد بدأ ظهورها على الأرض منذ ١٢٠ مليون سنة .

والانسان هو أحدث الوافدين على الأرض اذ بدأ على صورته الانسانية منذ ٥٠ مليون سنة .

والله أعلم بحقيقة ذلك .

ولا يصح أن يقال : ان الله خلق الخلق ، فمن خلقه ؟ لان هذا السؤال خطأ ، لأن الخالق لا يكون مخلوقا ، لأنه لو كان مخلوقا لاحتاج الى خالق ، وهكذا الى مالا نهاية وعقولنا القاصرة لا تدرك حقيقة نفسها : فكيف بحقيقة الذات الالهية وقد نهينا أن نبحث فيها ، ففى حديث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا : خلق الله الخلق فمن خلق الله ؟ فمن وجد من ذلك شيئا فليقل : آمنت بالله)(١) .

وقد كتب أحد العلماء الباحثين جوابا عن هذا السؤال موضحا له بمثال ، فقال : اذا وضعت كتابا على مكتبك ، ثم خرجت من الحجرة ، وعدت اليها بعد قليل ، فرأيت الكتاب الذى تركته على المكتب موضوعا فى الدرج ، فانك تعتقد تماما أن أحدا لابد أن يكون قد وضعه فى الدرج ، لأنك تعلم من صفات هذا الكتاب أنه لا ينتقل بنفسه . احفظ هذه النقطه ، وانتقل معى الى نقطة أخرى .

لو كان معك فى حجرة مكتبك شخص جالس على الكرسى ، ثم خرجت ، وعدت الى الحجرة ، فرأيته جالسا على البساط مثلا ، فانك لا تسأل عن سبب انتقاله ، ولا تعتقد أن أحدا نقله من موضعه ، لأنك تعلم من صفات هذا الشخص أنه ينتقل بنفسه ، ولا يحتاج الى من ينقله .

احفظ هذه النقطة الثانية ، ثم ما أقول لك :

لما كانت هذه المخلوقات ، محدثة ونحن نعلم من طبائعها وصفاتها أنها لا توجد بذاتها ، بل لابد لها من موجد ، عرفنا ان موجدها هو الله تبارك وتعالى ، ولما كان كمال الإلوهية يقتضى عدم احتياج الاله الى غيره ، بل ان من صفاته قيامه بنفسه ، عرفنا أن الله تبارك وتعالى موجود بذاته وغير محتاج الى من يوجده .

واذا وضعت النقطتين السابقتين الى جانب هذا الكلام ، اتضح لك هذا المقام ، والعقل البشرى أقصر من أن يتورط فى أكثر من ذلك .

ليس كمثله شىء :

والله سبحانه لا يماثله شىء ، ولا يماثل شيئا ، فكل ما خطر ببالك ، فهو بخلاف ذلك ، يقول الله سبحانه :

« ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصير » (٢) .

ومماثلة غير الله فى بعض الصفات انما هى من حيث التسمية ، لا من حيث الحقيقة ، فاذا قيل : ان فلانا عالم وحى وموجود وقادر

---

(١) رواه مسلم .　(٢) سورة الشورى : ١١ .

وحكيم ورحيم ، فهو من حيث الظاهر فقط ، ومع ذلك فان وجود العلم والحياة والقدرة والحكمة والرحمة فى الله كاملة غاية الكمال ، ووجودها فى الأفراد ناقصة غاية النقص بالإضافة الى الله جل شأنه .

« ولله المثل الأعلى ، وهو العزيز الحكيم » (١) .

ان الانسان خلق ضعيفا والله قوى عزيز .

والانسان خلق فقيرا والله غنى حميد .

والإنسان والد ومولود ، والله لم يلد ولم يولد .

والانسان نساى ، والله لا يضل ولا ينسى .

والانسان ناقص ، والله هو الكمال المطلق .

والانسان محكوم عليه بالموت ، والله حى لا يموت .

يقول سبحانه :

« الله لا اله الا هو الحى القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما فى السموات ومافى الأرض ، من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ، ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض ، ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم » (٢) .

فالآية تقرر :

١ — أن الله واحد فى ألوهيته لا يعبد معه غيره ، لأنه هو الحى القائم الحياة والقيوم الذى قامت به السموات والأرض .

٢ — وأنه مقدس عن مماثلة غيره من الأحياء ، فلا يأخذه نوم ولا سنة ولا فتور يسبق النوم .

٣ — وأن الكون كله : أرضه وسماؤه مملوك له ، وأن كل ما فيه ومن فيه خاضع له لا يخرج عن تقديره وتدبيره .

---

(١) سورة النحل : ٦٠ .   (٢) سورة البقرة : ٢٥٥ .

٤ — وأنه لا يشفع عنده أحد إلا باذنه ومشيئته .

٥ — وأن علمه محيط بكل شيء : الماضي والحاضر والمستقبل .

٦ — ولا يدرك أحد شيئا من علمه إلا بالقدر والذى يشاؤه .

٧ — وأن كرسيه وسع السموات والأرض .

٨ — وأنه لا يثقله حفظهما وهو العلى العظيم .

وقد سئل النبى صلى الله عليه وسلم صف لنا ربك ؟ فأنزل الله عز وجل :

« قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد » (١) .

أى لم يكن له مماثل ولا مكافىء .

وما ورد فى الآيات الكريمة والسنة المطهرة مما يوهم بظاهره مشابهة الله لخلقه فى بعض صفاتهم ، فنؤمن به بدون تشبيه ، ولا تمثيل ، ولا تعطيل ، ويسعنا ما يسع السلف ، رضى الله عنهم وأرضاهم .

وأحسن ما يقال فى ذلك ما قاله الامام الشافعى :

(آمنت بكلام الله على مراد الله ، وبكلام رسول الله على مراد رسول الله) .

الأحـــد :

وهو سبحانه واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله .

ووحدة الذات : معناها أن ذاته ليست مركبة من أجزاء ، وأنه لا شريك له فى ملكه .

« سبحانه ، هو الله الواحد القهار » (٢) .

---

(١) سورة الاخلاص — الصمد : هو المقصود فى الحوائج

(٢) سورة الزمر : ٤

ووحدة الصفات معناها : أنه ليس لأحد صفة تشبه صفة من صفاته .

ووحدة الأفعال ، معناها : أنه ليس لأحد غيره فعل من الافعال ، فالله خالق كل شيء ، ومبدع كل شيء ، فهو سبحانه مستقل بالايجاد والابداع .

« قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد » .

فهو (**أحد**) أى أنه واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله ، وأن جميع الأمور اليه وكل شيء فى قبضته .

وهو (**الصمد**) أى الغنى الذى يقصده الناس فى حوائجهم .

(**لم يلد**) لم ينبثق عنه ولد فهو كامل غاية الكمال .

(**ولم يولد**) لم ينبثق عن غيره ، لأنه لا أول لوجوده ، (**ولم يكن له كفوا أحد**) ، لم يكن له أحد يساويه ، ويماثله .

ولو وجد مع الله شريك له فى ألوهيتــه لبطل نظام هــذا الكون العجيب :

« لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا »(١) .

أى لو كان فى السموات والأرض آلهة تدبر أمرهما غير الخالق لهما لاختل نظامهما لتنازع المشرفين عليهما ، لأن كل واحد يريد أن يكون هو المتصرف . وهذا كقوله :

« ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله ، اذن لذهب كل اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ، سبحان الله عما يصفون »(٢) .

وقد تضمنت الآية :

١ — أن الله سبحانه لم يتخذ ولدا لاستلزام انفصال الولد عن

---

(١) سورة الأنبياء : ٢٢ . (٢) سورة المؤمنون : ٩١

أبيه ؛ وذلك يقتضى التركيب المحال على الله ؛ ولأن الولد يجانس أباه ؛ ويماثله ، والله ليس كمثله شيء .

٢ — والله لا ينبغى أن يكون معه من اله ، لأنه لو كان معه اله يشاركه فى الألوهية ، ويخلق معه لذهب كل واحد بما خلق ، ولعلا بعضهم على بعض .

أى غالب بعضهم بعضا ليوسع ملكه ؛ ولو حصل هـذا لفسد نظام العالم .

ولو كان معه آلهة كما يزعم المشركون لطلبوا مغالبة الله ومزاحمة ذى الجلال .

« قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذن لابتغوا الى ذى العرش سبيلا . سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا » (١) .

التالوث عقيدة وثنية :

عقيدة النصارى أساسها الثالوث الأقدس : أى المركب من ثلاثة أقانيم (٢) هى : الآب ، والابن ، وروح القدس ، وهى جواهر ثلاثة ؛ كل جوهر منها مستقل عن الآخر .

والثلاثة مع ذلك اله واحد :

قال أحد النصارى :

فهـو الاله ابن الاله وروحه   فثلاثة هى واحـد لم تقسم

والتثليث ليس خاصا بالنصارى ، جاء فى دائرة معارف القـرن التاسع عشر الفرنسية قولها فى تحديد لفظة ثالوث :

(إنه اتحاد ثلاثة أشخاص متميزة مكونة لإله واحد فى عقيـدة الديانة النصرانية وبعض الديانات الأخـرى ، فيقـال مثلا : الثالوث النصرانى ، والثالوث الهندى) انتهى .

---

(١) سورة الاسراء : ٤٢ ، ٤٣ .   (٢) أى أصول .

قال المرحوم العلامة الأستاذ محمد فريد وجدى .

(نعم كان الثالوث موجودا فى ديانة قدماء المصريين بالنسبة لآلهتهم الوطنية ، وقد اندثرت تلك الديانة الآن .

(والثالوث الهندى موجود للآن لدى الملايين من الناس فى الهند والصين ، وهو أن البراهمة يعتقدون : أن الخالق تجسد أولا فى « برهما » ثم فى « فيشنو » ثم فى « سيفا » ، ويصورونهم ملتصقين اشارة الى هذا التجسد الثلاثى .

ويعتقـــد البوذيون أن الاله فيشنو الذى هو أحـــد أركان الثالوث الهندى تجسد مرارا عديدة لتخليص العالم من الشرور والذنوب ، وكان تجسده فى بوذا للمرة التاسعة) انتهى .

هذه العقيدة هى فى حقيقة أمرها وثنية ، وأنها دخيلة على دين الله ، فالله منزه عن أن يشبهه شىء ، أو يشبه هو شيئا آخر :

« ليس كمثله شىء »(١) .

وذاته فوق متناول العقول :

« لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير »(٢) .

ولا يجوز أن تتركب ذاته المقدسة من أجزاء ، أو تتحد بالأشياء ، أو تحل فى خلق من المخلوقات :

« يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما » (٣) .

وعقيدة التوحيد والتنزيه هى عقيدة جميع الأنبياء والرسل ، حتى السيد المسيح نفسه ، والذين يزعمون غير هذا من النصارى لا برهان لهم من العقل ، ولا سند لهم من النقل ، وانما هى ظنون وأوهام طرأت عليهم من الديانات الوثنية القديمة ، قالت دائرة معارف القرن التاسع عشر عند كلمة ثالوث :

---

(١) سورة الشورى : ١١ .   (٢) سورة الأنعام : ١٠٣ .
(٣) سورة طه : ١١٠ .

(ان عقيدة الثالوث، وان لم تكن موجودة فى العهد الجديد «الانجيل» ولا فى أعمال الآباء الرسوليين، ولا فى تلاميذهم الأقربين، الا أن الكنيسة الكاثوليكية، والمذهب البروتستنتى، الواقف مع التقليد يزعمون أن عقيدة التثليث كانت مقبولة عند المسيحيين فى كل زمان رغما من أدلة التاريخ الذى يرينا كيف ظهرت هذه العقيدة، وكيف نمت، وكيف علقت بها الكنيسة بعد ذلك. نعم ان العادة فى التعميد كانت أن يذكر عليه اسم الآب، والابن، والروح القدس، ولكنا سنريك أن هذه الكلمات الثلاث كان لها مدلولات غير ما يفهمه عندنا الآن نصارى اليوم.

وان تلاميذ المسيح الأولين الذين عرفوا شخصه، وسمعوا قوله، كانوا أبعد الناس عن اعتقاد أنه أحد الأركان الثلاثة المكونة لذات الخالق.

وما كان بطرس أحد حوارييه يعتبره الا رجلا موحى اليه من عند الله.

أما بولس فانه خالف عقيدة التلاميذ الأقربين لعيسى، وقال: ان المسيح أرقى من انسان، وهو نموذج انسان جديد، أى عقل سام متولد من الله، وكان موجودا قبل أن يوجد هذا العالم، وقد تجسد هنا لتخليص الناس، ولكنه مع ذلك تابع للاله الآب).

ثم قالت دائرة المعارف بعد ذلك: (كان الشأن فى تلك العصور أن عقيدة انسانية عيسى كانت عالية مدة تكون الكنيسة الأولى من اليهود المتنصرين.

فان الناصريين(١)، والاثبيونيين، وجميع الفرق النصرانية التى تكونت من اليهودية، اعتقدت بأن عيسى انسان محض، مؤيد بالروح القدس، وما كان أحد اذ ذاك يتهمهم بأنهم مبتدعون أو ملحدون.

قال جوستين مارتير (٢):

(انه كان فى زمنه فى الكنيسة مؤمنون يعتقدون أن عيسى هو المسيح

---

(١) سكان مدينة الناصرة التى تسمى بها النصارى
(٢) مؤرخ لاتينى فى القرن الثانى.

ويعتبرونه انسانا محضا ، وان كان أرقى من غيره من الناس ، وحدث بعد ذلك أنه كلما نما عدد من تنصر من الوثنيين ظهرت عقائد جديدة لم تكن من قبل) • انتهى كلام دائرة المعارف الفرنسية(١) •

ان بطلان عقيدة التثليث واضح وضوح الشمس ، ومع ذلك لا أدرى كيف يخرصون على ما هو باطل ، ويتعصبون له تعصبا أعمى ، دون سند من التاريخ ، أو حجة من المنطق •

« فانها لا تعمى الأبصار ، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور »(٢)

« ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور » (٣) •

ومن المحاورات الطريفة :

أن بعض المسلمين قال لأحد القسوس : ان بعض الناس أخبرنى أن رئيس الملائكة قد مات ، فقال له القسيس : ان ذلك كذب ، لأن الملائكة خالدون لا يموتون ، فقال له المسلم : وكيف ؟ وأنت تقول الآن فى وعظك : ان الاله قد مات على خشبة الصليب ، فكيف يموت الاله وتخلد الملائكة ، فبهت القسيس ولم ينطق بكلمة ، أو ينبس ببنت شفة •

وقال أحد شعراء المسلمين :

عجبا للمسيح بين النصارى ... والى الله والدا نسبوه
أسلموه الى اليهود وقالوا ... انهم بعد قتله صلبوه
فلئن كان ما يقولون حقا ... فسلوهم فأين كان أبوه
فان كان راضيا بأذاهم ... فاشكروهم لأجل ما صنعوه
واذا كان ساخطا غير راض ... فاعبدوهم لأنهم غلبوه

ومن أحسن ما قيل فى ذلك ، قول البوصيرى فى قصيدته :

جاء المسيح من الاله رسولا ... فأبى أقل العالمين عقولا
أسمعتم أن الاله لحاجة ... يتناول المشروب والمأكولا

---

(١) من كتاب « كنز العلوم واللغة » • (٢) سورة الحج : ٤٦ •
(٣) سورة النور : ٤٠ •

وينـــام من تعب ويدعو ربه ... ويروم من حـــر الهجير مقيلا
ويمسه الألم الذى لم يستطع ... صرفا له عنـــه ولا تحـــويلا
يا ليت شعرى حين مات زعمهم ... من كان بالتدبير عنه كفيـــلا
زعموا الاله فدى العبيد بنفسه ... وأراه كان القـــاتل المقتـــولا
أيجـــوز قول مـــنزه لالهه ... سبحان قاتل نفسه فأقولا
أوجل من جعل اليهود بزعمكم ... شوك القتـــاد لرأسه اكليلا
ومضى لحبل صليبه مستسلما ... للموت مكتوف اليدين ذليـــلا
ضل النصارى فى المسيح وأقسموا ... لا يهتدون الى الرشاد سبيلا
جعلوا الثلاثة واحدا ولو اهتدوا ... لم يجعلوا العدد الكثير قليلا
واذا أراد الله فتنـــة معشر ... وأضلهم رأوا القبيح جميلا

الصفات الثبوتية :

ما تقدم من الصفات كان صفات سلبية أما الصفات الثبوتية فهى :

القـــــدرة :

وهو سبحانه قادر لا يعجزه شىء ، وصدور هذا الكون ما هو الا مظهر من مظاهر قدرته وعظمته ، وقدرته سبحانه صالحة فى كل وقت لايجاد كل ممكن واعدامه .

والتأمل اليسير فى السموات والأرض ، والليل والنهار ، والحياة والموت ، وما يجرى من شئون فى كل لحظـــة ، يهدى الى معرفة القدرة الباهرة . يقول سبحـــانه :

« ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب »(١) .

ويقـــول :

« وهو الذى يحيى ويميت وله اختـــلاف الليل والنهـــار ، أفلا تعقلون »(٢) .

---

(١) سورة ق : ٣٨ — واللغوب : التعب .

(٢) سورة المؤمنون : ٨٠ .

ويقــول :

« ألم تر أن الله يزجى (١) سحابا ثم يؤلف (٢) بينه ، ثم يجعـله ركاما (٣) فترى الودق (٤) يخـرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء ، يكاد سـنا (٥) برقه يذهب (٦) بالأبصـار • يقلب الله الليـل والنهار ، ان فى ذلك لعبرة لأولى الأبصـار • والله خلق كل دابة من ماء ، فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع ، يخلق الله ما يشاء ، ان الله على كل شىء قدير » (٧) •

الارادة (٨) :

والله سبحانه مريد : أى أنه يخصص الشىء الممكن ببعض ما يجوز عليه ، فيجعله طويلا أو قصيرا ، حسنا أو قبيحا ، عالما أو جاهلا ، فى هذا المكان ، أو فى غيره ، وهو سبحانه له أن يتصرف فى الكون حسب مشيئته وارادته وحكمته •

« انما قولنا لشىء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون » (٩) •

« وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة ، سبحان الله وتعالى عما يشركون » (١٠) •

« قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء ، بيدك الخير ، انك على كل شىء قدير »(١١)

---

(١) يزجى : يسوق •
(٢) يؤلف بينه : يجمعه ليتكثف ويتصل بعضه ببعض •
(٣) ركاما : مجتمعا يركب بعضه بعضا •
(٤) الودق : المطر • (٥) سنا : اللمعان •
(٦) يذهب : يخطف • (٧) سورة النور : ٤٣ ـ ٤٥ •
(٨) ليس معنى الارادة هنا الرغبة أو الميل ، وانما لها معنى خاص •
(٩) سورة النحل : ٤٠ • (١٠) سورة القصص : ٦٨ •
(١١) سورة آل عمران : ٢٦ •

« لله ملك السموات والأرض ، يخلق ما يشاء ، يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكرانا واناثا ، ويجعل من يشاء عقيما ، انه عليم قدير » (١) .

« ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون » (٢) .

« يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم ، والله عليم حكيم . والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما » (٣) .

العـــلم :

والله عالم بكل شيء ، وقد أحاط بكل شيء علما ، سواء منها المعلومات الماضية أو الحاضرة ، او المستقبلة .

وعلم الله لم يسبق بجهل ، ولا يعتريه نسيان ، ولا يتقيد علمه بزمان ولا مكان .

وعلمه بالكليات كعلمه بالجزئيات ، وما يبدو في الكون من نظام واتقان واحكام ما هو الا برهان ساطع على شمول علمه وكمال حكمته .

« ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ، ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شيء عليم » (٤) .

« وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ، ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين » (٥) .

« وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل

---

(١) سورة الشورى : ٤٩ ، ٥٠ . (٢) سورة المائدة : ٦ .
(٣) سورة النساء : ٢٦ ، ٢٧ . (٤) سورة المجادلة : ٧ .
(٥) سورة الأنعام : ٥٩ .

الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه ، وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين » (١) .

الحيـــاة :

والله سبحانه هو الحى ، والحياة هى الصفة التى تصحح لموصوفها الإتصاف بالقدرة والارادة والعلم والسمع والبصر ، فلو لم يكن حيا ما ثبتت له هذه الصفات .

وحياة الله حياة كاملة ليس ثم أكمل منها ، لا يكتنه كنهها ، ولا تعلم حقيقتها كسائر صفاته .

وحياته لا يلحقها عدم ، ولا يقضى عليها بالانقضاء والفناء .

والعالم لا يمكن أن يصدر الا من حى .

« وتوكل على الحى الذى لا يموت » (٢) .

« هو الحى لا اله الا هو فادعــوه مخلصين له الدين ، الحمد لله رب العالمين » (٣) .

« وعنت الوجوه للحى القيوم » (٤) .

الـــكلام :

والله سبحانه متكلم ، وكلامه ليس بحرف ولا صوت ، وقد أثبت الله هذه الصفة لنفسه ، وأنه كلم موسى فقال :

« وكلم الله موسى تكليما » (٥) .

---

(١) سورة يونس : ٦١
(٢) سورة الفرقان : ٥٨ .
(٣) سورة غافر : ٦٥ .
(٤) سورة طه : ١١١
(٥) سورة النساء : ١٦٤

وقال :

« ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه » (١) .

وأنه يكلم أنبياءه .

« وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا » (٢) .

وان كلماته لا حصر لها .

« قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا » (٣) .

« ولو انما فى الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله » (٤) .

وهذه الصفة من صفات الله التى اثبتها لنفسه ، فنؤمن بها . ولا نبحث عن حقيقتها ، لأنها كغيرها من الصفات الالهية التى لا يمكن الوصول الى العلم بحقائقها .

السمع والبصر :

والله سبحانه سميع يسمع كل شيء ، حتى انه ليسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الملساء فى الليلة الظلماء ، دون أن يشغله سماعه جماعة عن سماعه جماعة آخرين ودون أن يشتبه عليه لغة ، أو يؤثر عليه ضجيج ، أو يشوش عليه مشوش ، وهو سبحانه لا يسمع بجارحة ، ولا بآلة ولا بأذن ، ولا بصماخ .

وقد شكت احدى النساء زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخذت تجادله . فأنزل الله سبحانه :

« قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير » (٥) .

---

(١) سورة الأعراف : ١٤٣ .
(٢) سورة الشورى : ٥١ .
(٣) سورة الكهف : ١٠٩ .
(٤) سورة لقمان : ٢٧ .
(٥) سورة المجادلة : ١ .

وكما أن يسمع كل شيء ، فهو يرى كل شيء رؤية شاملة تستوعب كل المدركات ، ورؤيته سبحانه ليست بحدقة كما يرى غيره .

وقد أرسل الله موسى وهارون الى فرعون ، وقال لهما :

« اذهبا الى فرعون انه طغى . فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى . قالا ربنا اننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى . قال لا تخافا ، اننى معكما أسمع وأرى » (١) .

وقال :

« يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور » (٢) .

« والله يقضى بالحق ، والذين يدعون من دونه لا يقضون بشىء ، ان الله هو السميع البصير » (٣) .

صفات الذات وصفات الأفعال :

صفات الله تعالى منها صفات ذات : وهى الصفات الثبوتية ، أو صفات المعانى .وهى صفات الحياة ، والعلم ، والقدرة ، والارادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام .

وصفات أفعال :مثل صفة الخلق ، والرزق ، فالخالق ، والرازق هو الذى يفعل الخلق ، ويمنح الرزق ، وقد اتفق العلمــاء على أن صفات الأفعال غير الذات . وأنها زائدة عليها .

واختلفوا فى صفات الذات : هل هى عين الذات ؟ أى أن الله عالم بالذات . وحى بالذات ، وهكذا الى آخر الصـــفات الثبوتية ، أو أنها صفات زائدة عن الذات ؟ أى أنه عالم بعلم ، وحى بحياة ، وقادر بقدرة ، ومريد بارادة ، وسميع بسمع . وبصير ببصر . ومتكلم بكلام .

ونحن نرى رأى من رأى من العلماء . وأئمة الدين . أن هذا من الدخيل على الاسلام . ومن البدع الطارئة على العقيدة . ومن المنكرات التى يجب على المسلمين أن يتنزهوا عنها ، فان ذات الله أجــل من أن تتناول على هذا النحو .

---

(١) سورة طه : ٤٣ ــ ٤٦ .
(٢) سورة غافر : ١٩ .
(٣) سورة غافر : ٢٠ .

وهذا النوع من التفكير مما نهينا عنه ، ولم يكلفنا الله به ، لأنه خارج عن نطاق العقل المحدود • وذات الله فوق الادراك •

«لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير» (١)•

« ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير » (٢) •

« يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما » (٣) •

وتقدم الحديث : (تفكروا فى خلق الله ، ولا تفكروا فى الله فانكم لن تقدروه قدره) •

ان كل ما كلفنا به — أن نعلم أن الله موجود ، وأن له الأسماء الحسنى ، والصفات العليا ، والكمال المطلق ، وما وراء ذلك يجب الامساك عنه ، ولا يحل البحث فيه ، فالعلم به لا ينفع ، والجهل به لا يضر •

صفات الله أعلام هادية :

وان علينا أن نسير على هدى هذه الصفات ، ونستنير بها ، ونتخذها مثلنا الأعلى ، ونجعلها غايتنا ، حتى نصل الى أقصى درجات السمو النفسى والارتقاء الروحى •

وقد ألف « حجة الاسلام » الامام الغزالى رحمه الله كتاب « المقصد الأسنى » شرح فيه أسماء الله الحسنى ، وبين حظ المؤمن من كل اسم ، فينبغى الرجوع اليه ، ونحن نقتبس من كتاب الدين الاسلامى ما يأتى :

فالله رب العالمين : وهذا مثل أعلى يجب على المؤمن أن يحتذى به ، فيحسن تربية نفسه ، وذوى قرباه ، ويعمل على ما فيه الخير والفلاح •

والله تعالى رحمن : ينعم على مخلوقاته ، ويظهر لهم حبه ، دون أن يؤدوا عملا يستحقون عليه ذلك ، وهذا مثل أعلى يجب على الانسان

---

(١) سورة الأنعام : ١٠٣ •
(٢) سورة الشورى : ١١ •
(٣) سورة طه : ١١٠ •

التحلى به ، فيكون رحيما ببنى جنسه ، يفعل الخير ابتغاء وجه ربه ، لا رغبة فى اجتلاب نفع ، أو خشية من مس ضر •

والله تعالى رحيم : يجازى الانسان على عمله ، وهذا مثل أعلى أيضا يوجب على الانسان أن يقابل الاحسان بالاحسان •

والله تعالى مالك يوم الدين : يحاسب الناس على أعمالهم •فيجازى المسىء لا شهوة فى الانتقام • بل بروح التسامح • كمـا يجب أن يعامل السـيد الرحيم مسوده • والوالد ولده • وهـذا مثل أعلى آخر يوجب على الانسان أن يكون متسامحا وعفوا فى معاملاته مع الناس •

هذه الصفات الأربع : هى أبرز صفات الله العليا • ومثله العليا • وما يقال عنها يقال عن الصفات الأخرى •

فصفات الحب والرحمة التى هى الرءوف • الودود • التـواب • العفو • الشكور • السلام • المؤمن • البار • رفيع الدرجات • الرزاق• الوهاب • الواسع • كلها صفات يجب على الانسان اتخاذها نبراسا للسير على هداها والتحلى بها كما قدمنا •

وكذلك صـفات العلم : التى هى العليم • الحكيم • السـميع • البصير • الشهيد • الرقيب • الباطن •

فانها صفات يجب على الانسـان أن يتبعها ، ليبلغ مبلغ العلم والحكمة • وأن الله تعالى جعل الانسان خليفته فى الأرض حيث قال :

« واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة » (١) •

وميزه على سائر المخلوقات • فعلمه الأسماء كلها • قال تعالى :

« وعلم آدم الأسماء كلها » (٢) •

وفيما يختص بالحكمة • فقد أرسل اللـه رسولا للناس • ليعلمهم الحكمة ، قال تعالى :

---

(١) سورة البقرة : ٣٠ (٢) سورة البقرة : ٣١ •

«كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة » (١) •

وقال :

« لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة » (٢) •

وقوله :

« هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة » (٣) •

وفيما يختص بصفات الله الدالة على قدرته وتدبيره ، فقد أمر الملائكة بالسجود للانسان ، وسخر السموات والأرض لخدمته ومنفعته ، ولهذا يجب على الانسان أن يتخذ من صفات الله تعالى مثلا أعلى ، ليكون أهلا للقيام بما استخلف عليه ، وسخر له ونحن لا نعنى أن الانسان باتخاذه صفات الله مثلا عليا يمكنه أن يبلغ درجة الكمال وانما نعنى أن على الانسان أن يجعل هذه الصفات رائدة فى حياته ، ليحيا بها حياة طيبة مباركة •

(١) سورة البقرة : ١٥١ •
(٢) سورة آل عمران : ١٦٤ •
(٣) سورة الجمعة : ٢ •

حَقِيقَةُ الإِيمَانِ وَثَمَرَتُهُ

* مظاهر الايمـــــان
* ثمـــــاره

الايمان بالله يمثل أكرم صلة بين الانسان وخالقه : ذلك أن أشرف ما فى الأرض الانسان ، واشرف ما فى الانسان قلبه ، وأشرف ما فى القلب الايمان ٠

ومن ثم كانت الهداية الى الايمان أجل نعمة ، وأفضل آلاء الله على الاطلاق ٠

« يمنون عليك أن أسلموا ، قل لا تمنوا على اسلامكم ، بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان » (١) ٠

« ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم ، وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ، أولئك هم الراشدون ٠ فضلا من الله ونعمة » (٢) ٠

وليس الايمان هو مجرد النطق باللسان ، واعتقاد بالجنان ، انما هو عقيدة تملأ القلب ، وتصدر عنها آثارها ، كما تصدر عن الشمس أشعتها ، وكما يصدر عن الورد شذاه ٠

ومن آثاره أن يكون الله ورسوله أحب الى المرء من كل شىء ، وأن يظهر ذلك فى الأقوال ، والأفعال ، والتصرفات ، فان كان ثمة شىء أحب الى المرء من الله ورسوله فالايمان مدخول ، والعقيدة مهزوزة ٠

«قل ان كان آباؤكم،وأبناؤكم ، واخوانكم ، وأزواجكم ،وعشيرتكم ، وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ، ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله ، وجهاد فى سبيله ، فتربصوا حتى يأتى الله بأمره : والله لا يهدى القوم الفاسقين » (٣) ٠

فالحياة بما فيها من الآباء ، والأبناء ، والاخوة ، والأزواج ، والعشيرة ، والأموال ، والتجارة ، والمساكن ٠٠ ان كانت أحب الى الانسان من الله ورسوله ، فلينتظر عقاب الله للذين شغلوا قلوبهم عنه بغيرهم ٠

---

(١) سورة الحجرات : ١٧ ٠ (٢) سورة الحجرات : ٧ ، ٨ ٠
(٣) سورة التوبة : ٢٤ ٠

ان الايمان لا يكمل الا بالحب الحقيقى ، حب الله ، وحب رسوله ، وحب الشريعة التى أوحاها الله اليه .

ففى الحديث الصحيح « ثلاث من كن فيه ، وجد حلاوة الايمان :

١ — أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما .

٢ — وأن يحب المرء لا يحبه الا لله .

٣ — وأن يكره أن يعود فى الكفر ، كما يكره أن يقذف فى النار » .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده ، وولده ، ونفسه التى بين جنبيه ، والناس أجمعين » .

وجاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال « يا رسول الله : لأنت أحب الى من كل شىء الا من نفسى . فقال : لا يا عمر حتى أكون أحب اليك من نفسك . فقال عمر : والذى بعثك بالحق لأنت أحب الى من نفسى .

فقال صلى الله عليه وسلم : « الآن يا عمر » ، أى الآن تم ايمانك» .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به » .

وكما يتمثل الايمان فى الحب ، يتمثل فى الجهاد من أجل اعلاء كلمة الله ، والكفاح لرفع راية الحق ، والنضال لمنع الظلم ، والفساد فى الأرض .

وكثيرا ما يقترن الايمان بالجهاد على أنه روحه ومظهره العملى .

« انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون » (١) .

« ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة

والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم » (١) .

ولقد برز هذا الكفاح فى الصفوة المؤمنة فى العهـــد الأول حتى استحقوا ثناء الله عليهم .

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا » (٢) .

وأثر الايمان يبدو واضحا فى خشية الله والخوف منه ، فان من عرف الله وعرف عظمته ، واستشعر جلاله وكبرياءه ، وعرف تقصيره فى حقه خشية وخاف منه .

« انما يخشى الله من عباده العلماء » (٣) .

وهذه سمة أهل الحق القوامين على دين الله .

« الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله ، وكفى بالله حسيبا » (٤) .

وكلما كانت المعرفة أكمل كانت الخشية أتم .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

(انى لأعلمكم بالله وأخشاكم له) .

وأعظم ما يبدو فيه الايمان الاستمساك بالوحى ، لأنه المنبع الصافى الذى لم يختلط بشائبة الهوى ، أو آفة الظنون .

واستمساك بالوحى ، انما هو اتصال بالله ، وأخذ عنه مباشرة بدون توسيط وسطاء ، وهذا هو أسمى أنواع الاتصال .

والمؤمنون عامة يتجهون هذا الاتجاه ، حتى لا يلتبس الحق الذين يؤمنون به بالباطل الذى صنعته عقول الناس وأفهامهم .

« انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن

---

(١) سورة التوبة : ١١١
(٢) سورة الأحزاب : ٢٣ .
(٣) سورة فاطر : ٢٨
(٤) سورة الأحزاب : ٣٩ .

يقولوا سمعنا وأطعنا ، وأولئك هم المفلحون • ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون » (١) •

« وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا » (٢) •

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (٣) •

والايمان ينشىء علاقات مختلفة •

فهو يربط بين المؤمنين وبين الله ، برباط المودة ، ويقيم العلاقة بين المؤمنين بعضهم مع بعض ، على أساس من الشفقة والرحمة •

ويقيم العلاقة بين المؤمنين ، وبين أعداء الله ، الصادين عن الحق على أساس من الغلظة والقسوة •

« يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه • أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله واسع عليم » (٤) •

وقد تجلت هذه الصفات فى الرسول وصحابته •

« محمد رسول الله ، والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثلهم فى التوراة ، ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار ، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما » (٥) •

---

(١) سورة النور ، ٥١ ، ٥٢ •

(٢) سورة الأحزاب : ٣٦

(٣) سورة النساء : ٦٤ •

(٤) سورة المائدة : ٥٤

(٥) سورة الفتح : ٢٩ •

والعمل الصالح الذى تزكو به النفس ، ويطهر به القلب ، وتعمر به الحياة أثر من آثار الايمان .

ولهذا يأتى الايمان فى الآيات القرآنية مقرونا بالعمل الصالح ، لأن الايمان اذا تجرد عن العمل كان ايمانا عقيما ، وكان كالشجرة التى لا تثمر ثمرا ، ولا تمد ظلا . فهى بالقطع أولى منها بالبقاء .

والعمل اذا خلا عن الايمان ، كان رياء ونفاقا ، والنفاق والرياء هما شر ما يصاب به الانسان .

« والعصر . ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » (١) .

ان الايمان بهذا المعنى ، هو الايمان القرآنى ، وهو الايمان الذى أراده اللـه لعباده .

واذا تحقق فانه يتحول الى قوة ايجابية فى الحياة ، وهو الذى يحول الضعف الى قوة ، والهزيمة الى نصر ، واليأس الى أمل ، والأمل الى عمل .

« انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد » (٢) .

« وكان حقا علينا نصر المؤمنين » (٣) .

ثمار الايمان :

واذا عرف الانسان ربه عن طريق العقل والقلب — أثمرت له هذه المعرفة ثمارا يانعة ، وتركت فى نفسه آثارا طيبة ، ووجهت سلوكه وجهة الخير والحق ، والسمو والجمال .

وهذه الثمار نجمل بعضها فيما يلى :

(أ) تحرر النفس من سيطرة الغير ، وذلك أن الايمان يقتضى

---

(١) سورة العصر .
(٢) سورة غافر : ٥١ .
(٣) سورة الروم : ٤٧ .

الاقرار بأن الله هو المحيى المميت ، الخافض ، الرافع ، والضـــار ، النافع •

« قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ، ولـو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخيـر وما مسنى السـوء ، ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون » (١) •

ان الذى عوق البشرية عن النهوض ، وحال بينها وبين الرقى هو الخضوع للاستبداد ، سواء أكان هذا الاسـتبداد استبدادا سـياسيا للحكام والرؤساء ، أم استبدادا كهنوتيا لرجال الدين والكهنوت •

ويتقرير الاسلام لهذه الحقيقة ، قضى على هذا الأسر ، وأطلق حرية الانسان من سيطرة هؤلاء المستبدين التى لازمته قرونا طوالا •

(ب) والايمان يبعث فى النفس روح الشجاعة والاقدام ، واحتقار الموت والرغبة فى الاستشهاد من أجل الحق •

اذ أن الايمان يوحى بأن واهب العمـر هو الله ، وأنه لا ينقص بالاقدام ، ولا يزيد بالاحجـام ، فكم من انسـان يمـوت وهـو على فراشه الوثير ، وكم من انسان ينجو وهو يخوض غمرات المعـارك والحروب •• !

« وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا » (٢) •

« وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، يقولون هل لنا من الأمر من شىء ، قل ان الأمر كله للـه ، يخفـون فى أنفسهم ما لا يبدون لك ، يقولون لو كان لنا من الأمر شىء ما قتلنـا ها هنا ، قـل لو كنتم فى بيوتكم لبـرز الذين كتب عليهم القتـل الى مضاجعهم ، وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم ، والله عليم بذات الصدور » (٣) •

« أينما تكونوا يدرككم المـوت ولو كنتم فى بروج مشـيدة » (٤) •

---

(١) سورة الأعراف : ١٨٨ •
(٢) سورة آل عمران : ١٥٤ •
(٣) سورة آل عمران : ١٥ •
(٤) سورة النساء : ٧٨ •

(جـ) والايمان يقتضى الاعتقاد بأن الله هو الرزاق ، وأن الرزق لا يسوقه حرص حريص ، ولا يرده كراهية كاره •

« وما من دابة فى الأرض الا على اللــه رزقهـا ويعلم مسـتقرها ومستودعها ، كل فى كتاب مبين » (١) •

« وكأين من دابة لا تحمل رزقها ، الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم » (٢) •

« اللــه يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ، ان الله بـكل شىء عليم » (٣) •

واذا سيطرت هذه العقيدة على النفس تخلص الانســان من رذيلة البخــل والحرص والشره ، والطمع ، واتصف بفضــيلة الجــود ، والبــذل ، والســخاء ، والأنفة والعفــة ، وكان انسانا مأمول الخيــر مأمون الشر •

(د) والطمأنينة أثر من آثار الايمــان : أى طمأنينــة القلب ، وسكينة النفس •

« الذين آمنــوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئن القلوب » (٤) •

« هو الذى أنزل السكينة فى قــلوب المؤمنين ليزدادوا ايمــانا مع ايمانهم » (٥) •

واذا اطمأن القلب ، وســكنت النفس ـ شــعر الانسان ببــرد الراحة ، وحلاوة اليقين ، واحتمل الأهوال بشجاعة ، وثبت ازاء الخطوب مهما اشــتدت ، ورأى أن يد الله ممدودة اليه ، وأنه القــادر على فتح الأبواب المغلقــة ، فلا يتسرب اليــه الجزع ، ولا يعــرف اليأس الى قلبــه سبيلا •

---

(١) سورة هود : ٦ •　　(٢) سورة العنكبوت : ٦٠ •
(٣) سورة العنكبوت : ٦٢ •　　(٤) سورة الرعد : ٢٨ •
(٥) سورة الفتح : ٤ •

« الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور ، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات ، أولئك أصحاب النار ، هم فيها خالدون » (١) .

(هـ) والايمان يرفع من قوى الانسان المعنوية ، ويربطه بمثل أعلى ، وهو الله مصدر الخير ، والبر ، والكمال .

وبهذا يسمو الانسان عن الماديات ، ويرتفع عن الشهوات ، ويستكبر على لذائذ الدنيا ، ويرى أن الخير والسعادة فى النزاهة والشرف ، وتحقيق القيم الصالحة .. ومن ثم يتجه المرء اتجاها تلقائيا لخير نفسه ، ولخير أمته ، ولخير الناس جميعا .

وهذا هو السر فى اقتران العمل الصالح بجميع شعبه وفروعه بالايمان اذ أنه الأصل الذى تصدر عنه ، وتتفرع منه .

« ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم » (٢) .

« وان الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم » (٣) .

« ومن يؤمن بالله يهد قلبه » (٤) .

واذا اهتدى القلب ، فأى شىء من الخير يفوته ؟!

(و) والحياة الطيبة يعجل الله بها للمؤمنين فى الدنيا قبل الآخرة .

وتتمثل هذه الحياة فى ولاية الله للمؤمن ، وهدايته له ، ونصره على أعدائه ، وحفظه مما يبيت له ، وأخذه بيده كلما عثر ، أوزلت به قدم، فضلا عما يفيضه عليه من متاع مادى . يكون عونا له على قطع مرحلة الحياة فى يسر .

« من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » (٥) .

« وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين » (٦) .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٧ .
(٢) سورة يونس : ٩ .
(٣) سورة الحج : ٥٤ .
(٤) سورة التغابن : ١١ .
(٥) سورة النحل : ٩٧ .
(٦) سورة النحل : ٣٠ .

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » (١) •

« انا لننصر رسـلنا والذين آمنـوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشـــهاد » (٢) •

« ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض » (٣) •

« فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنـوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين » (٤) •

وقد انتهى العالم الى هذه الحقائق الايمانية ، ولا يتسع المجـال لاثبات شهادات كبار العلماء ، وتسجيل ما شاهدوه •

ونكتفى هنا بتسجيل ما نشر (بجـريدة الجمهـورية يوم السبت ١٩٦٢/١١/٢٩) قالت الصحيفة تحت عنوان « العلماء يلجأون الى الدين لعلاج مرضى الأمراض العقلية » :

عزاء وسلوان لأولئك الذين تشبثوا بدينهم ، ولم يتزعزع ايمانهم فى أحلك لحظات المدنية وأنصعها ، أقصد تلك اللحظات التى يتشدق فيها دعاة النظريات العتيدة وفى مقدمتها نظرية النشوء والارتقاء « لداروين» ويتشدقون فيها بأن الدين بدعة ، وبأن الانسان يقف وحده فى هذا الكون، كما زعم « جوليان هاكسلى » جد الكاتب والفيلسوف البريطانى الكبير « الدوسى هاكسلى » •

ان علماء الأمراض العقلية ، لا يجدون اليوم سلاحا أمضى ، وأبعد فاعلية لعلاج مرضاهم من الدين والايمان بالله والتطلع الى رحمة السماء •• والتشبث بالرعاية الالهية •• والالتجاء الى قوة الخالق الهائلة عندما يتضح عجز كل قوة سواه • !!

لقد بدأت التجربة فى مستشفى بولاية نيويورك ، وهو مستشفى خاص بمرتكبى الجرائم من المصابين بالأمراض العقلية •

---

(١) سورة النور : ٥٥ •
(٢) سورة غافر : ٥١ •
(٣) سورة الأعراف : ٩٦ •
(٤) سورة يونس : ٩٨ •

بدأت التجــربة بادخال الدين كوســيلة جــديدة للعلاج بجانب الصدمات الكهربائية لخلايا المخ ، والعقاقير المسكنة والمهدئة للأعصاب •

وكانت النتيجة رائعة •• ان أولئك الذين تعذر شفاؤهم • بل فقدوا الأمل فيه انتقلوا من عالم المجانين الى عالم العقلاء •• أولئك الــذين ارتكبوا أفظع الجرائم ، وهم مســلوبو الارادة باتوا يســيطرون على ارادتهم وتفكيرهم وتصرفاتهم ، ويذرفون الدمع ندما ، وكلهم أمل فى رحمة السماء ومغفرة الله •

واستسلم العلمــاء ورفعــوا أيديهم الى الســماء ، يعتــرفون بضعفهم ، ويعلنــون للدنيا أن العلم يدعو الى الايمــان • وليس أبدا الى الالحــاد •

وأنت طبعا لست في حاجة لأكثر من الالمام بالقراءة ، وحتى اذا كان قد فاتك قطــار التعليم فأمامك بيوت اللــه ، وفيها الســلوى •• وفيهــا العزاء •

القـــدر

* اللـــه فاعل مختار
* معنى القـــــدر
* وجوب الايمان بالقدر
* حكمة الايمان بالقـــدر
* حرية الانســـــان
* الاسلام يقرر حرية الارادة
* بين مشـــيئة الرب ومشيئة العبد
* الهداية والاضـــلال

الله فاعل مختـــار :

الله سبحانه مالك الملك ، يتصرف فيه بمقتضى حكمته ومشيئته ، وكل تصرف منه انما يجرى وفق مشيئة الله التى وضعها فى الكون وقوانينـــه المضطردة فى الوجود .

« وكل شىء عنده بمقدار » (١) .

وهو سبحانه لا يجب عليه شىء ، ولا يتصرف من أجل أحد .

« قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء ، بيدك الخير انك على كل شىء قدير . تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل ، وتخـــرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى ، وترزق من تشاء بغير حساب » (٢) .

أى أن الله أمر رسوله صلوات الله وسلامه عليه أن يقول فى الناس: ان الله سبحانه مالك الملك الحق ، يعطى الملك لمن يشاء ، وينزعه ممن يشاء بمقتضى سنن الله فى العطاء والأخذ ، ويعز من يشاء بالتوفيق لأسباب العز ، ويذل من يشاء بالخذلان .

وانه سبحانه بيده الأمور كلها خيرها وشرها ، فهو يعطى ويمنع : ويعز ويذل وينفع ويضر ، لأنه القادر على كل شىء . ومن مظاهر قدرته ما يشاهد فى الكون من ادخال الليل فى النهار ، وادخال النهار فى الليل ، واخراج الحى من الميت ، واخـــراج الميت من الحى ، وأنه يفيض الرزق على من يشـــاء بغير حساب ، ولا رقابة ، لأن الأمر كله لـــه وحـــــده لا شريك لـــه .

وهو الفاعل المختار .

« وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة » (٣) .

---

(١) سورة الرعد : ٨ .
(٢) سورة آل عمران : ٢٦ ، ٢٧ .
(٣) سورة القصص : ٦٨ .

فهو يخلق ويختار من خلقه ما يشاء ، لأنه المتصرف المطلق ، وما كان لأحد الاختيار معه .

« وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ، وان يردك بخير فلا راد لفضله،يصيب به من يشاء من عباده ، وهو الغفور الرحيم» (١).

فهو سبحانه يتصرف فى ملكه كيفما شاء بمقتضى الحكمة والرحمة .

فاذا مس الانسان ضر ، فلا يكشفه الا الله ، واذا أراد الله خيرا له ، فلا يستطيع أحد رده عنه .

« ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ، وما يمسك فلا مرسل له من بعده ، وهو العزيز الحكيم » (٢) .

« لله ما فى السموات وما فى الأرض ، وان تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ، فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ، والله على كل شىء قدير » (٣) .

فملك السموات والأرض له وحده . وما يبديه الانسان ويظهره ، أو يخفيه ، ويكنه من النوايا والارادات والعزائم والمقاصد يحاسبه به الله ان خيرا فخير ، وان شرا فشر ، وهو يغفر لمن يشاء أن يغفر لهم . وقد بين سبحانه من يشاء لهم الغفران فى قوله :

« وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى » (٤) .

فمغفرة الله لمن رجع الى الله بالتوبة النصوح ، وجدد ايمانه بالله ، وعمل العمل الصالح الذى يذهب بالسيئات ، وبلغ منزلة الهداية التى يطمئن فيها القلب بالحق واليقين ، كما أن عذابه سبحانه ينزل بالعصاة المستحقين له بمقتضى عدله وجزاء كل بعمله .

والايمان بهذا جزء من الايمان بالله ، ويتفرع عنه الايمان بالقدر .

---

(١) سورة يونس : ١٠٧ . (٢) سورة فاطر : ٢ .
(٣) سورة البقرة : ٢٨٤ . (٤) سورة طه : ٨٢ .

معنى القـــــدر :

جاء فى القرآن الكريم ذكر القدر مرارا :

« وكل شىء عنده بمقدار » (١) ٠

« وان من شىء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم » (٢) ٠

« انا كل شىء خلقناه بقدر » (٣) ٠

والذى يؤخذ من مجموع هذه الآيات أن المقصـود بالقدر : هـو النظام المحكم الذى وضعه الله لهذا الوجود ، والقوانين العامة ، والسنن التى ربط الله بها الأسباب بمسبباتها ٠

وعرفه النـووى فقال : ان اللـه تبارك وتعـالى قدر الأشـياء فى القـدم ، وعلم ــ سبحانه ــ أنها ستقع فى أوقات معلومة عنده ــ سبحانه وتعـالى ــ وعلى صـفات مخصوصـة ٠ فهى تقع حسـب ما قـدرها ٠

وجوب الايمـان به :

وقد جاء فى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الايمان بالقدر جزء من العقيدة ، ويكون المعنى أن الله خلق النواميس والقوانين والنظم التى وضعها لهذا الوجود ، وأن الأشياء تجرى وتدور حسب هذه النظم والسنن والقوانين ٠

« وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون ٠ والشمس تجرى لمستقر لها ٠ ذلك تقدير العزيز العليم ٠ والقمر قدرناه منـازل حتى عاد كالعرجون القديم ٠ لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون » (٤) ٠

ويكون الايمان بالقدر جزءا من عقيدة المسلم ، وليس فيه معنى الاجبار ٠٠ قال الخطابى : (قد يحسب كثيـر من النـاس أن معنى

---

(١) سورة الرعد : ٨ ٠
(٢) سورة الحجر : ٢١ ٠
(٣) سورة القمر : ٤٩ ٠
(٤) سورة يس : ٣٧ ــ ٤٠ ٠

القضـــاء والقدر اجبار الله ســبحانه العبد على ما قدره وقضـــاه ..
وليس الأمر كمــا يتوهمون . وانمــا معناه الاخبار عن تقــديم علم
الله ســبحانه بما يــكون من اكتسابات العبد ، وصدورها عن تقــدير
منــه تعالى ، وخلقه لها . خيرها وشرها .. والقدر اسم لمــا صدر مقدرا
عن فعل القادر) .

وعلم الله سبحانه بما سيقع ، ووقوعه حسب هذا العلم لا تأثير
له فى ارادة العبد فان العلم صفة انكشاف لا صفة تأثير . فمثــلا علم
الانسان بأن ابنه ذكى مقبل على دروسه ومستوعب لها حفظا وفهما ليس
له تأثير فى نجاحه .

حكمة الايمــان بالقدر :

وحكمة ذلك : أن تنطلق قوى الانســان وطاقاته لتعرف هــــذه
السنن ، ولتدرك هذه القوانين ، وتعمل بمقتضاها فى البنــاء والتعمير ،
وفى اســتخراج كنوز الأرض والانتفــاع بمــا أودع فى الـــكون
من خيــرات .

وبذلك يكون الايمان بالقدر قوة باعثة على النشاط والعمل والايجابية
فى الحياة كما أن الايمان بالقدر يربط الانسان برب هذا الوجود ، فيرفع
من نفسه الى معالى الأمور : من الاباء والشجاعة والقوة من أجل احقاق
الحق ، والقيام بالواجب .

والايمان بالقــدر يرى الانسان أن كل شىء فى الوجود انما يسير
وفق حكمة عليا ، فاذا مســه الضر فانه لا يجزع ، واذا صادفه التوفيق
والنجاح فانه لا يفرح ولا يبطر ، واذا برىء الانســان من الجزع عند
الاخفاق والفشل ، ومن الفرح والبطر عنــد التوفيق والنجاح — كان
انسانا سويا متزنا ، بالغا منتهى السمو والرفعــة ، وهذا هو معنى قول
الله سبحانه :

**« ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب
من قبل أن نبرأها ، ان ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على ما فاتكم**

ولا تفرحوا بما آتاكم ، والله لا يحب كل مختال فخور » (١) ٠

هذا ما ينبغى أن نفهمه من القدر ، وهو مقتضى فهم الرسـول ، صلوات الله وسلامه عليه ، وفهم أصحابه رضى الله عنهم أجمعين ٠

وقد دخل رسول الله يوما على الامام على كرم الله وجهه بعـد صلاة العشاء ، فوجده قد بكر بالنوم ، فقال له :

(هلا قمت من الليل ؟ فقال : يا رسول الله ، أنفسـنا بيـد الله ، ان شـاء بسطها ، وان شاء قبضها ، فغضب رسـول الله صلى اللـه عليه وسلم ، وخرج وهو يضرب على فخـذه ويقول : **« وكان الانسان أكثر شىء جدلا ») (٢) ٠**

وسرق أحد اللصوص ، فلما حضر بين يدى عمر رضى الله عنه ، سأله لم سرقت ؟ فقال قدر الله ذلك ، فقال عمر رضى الله عنه: اضربوه ثلاثين سوطا ، ثم اقطعوا يده ، فقيل له : ولم ؟ فقال : يقطع لسرقته ، ويضرب لكذبه على الله ٠

ان القـدر لا يتخذ سبيلا الى التواكل ، ولا ذريعـة الى المعاصى ، ولا طريقا الى القول بالجبر ، وانما يجب أن يتخذ سـبيلا الى تحقيق الغايات الكبرى من جلائل الأعمال ٠ ان القدر يدفع بالقدر ، فيدفع قدر الجوع بقدر الأكل ، وقدر الظمأ بقدر الرى وقدر المرض بقدر العـلاج والصحة ، وقدر الكسل بقدر النشاط والعمل ٠

ويذكر أن أبا عبيـدة الجراح قال لعمر بن الخطاب رضى اللـه عنهما حينمافر من الطاعون : أتفر من قدر الله ، قال : نعم أفر من قدر الله الى قدر الله ٠ أى يفر من قدر المرض والوباء الى قدر الصـحة والعافية ، ثم ضرب له مثلا بالأرض الجدباء ، والأرض الخصبة ، وأنه اذا انتقل من الأرض الجدباء الى الأرض الخصبة لترعى فيها ابلة ، فانه ينتقل من قدر الى قدر ٠

لقـد كان يمكن للرسـول وصحابته أن يستكين الضـعفاء الواهنين ، معللين أنفسهم بالفهم المغلوط الذى يتعلل به الفاشـلون ،

---

(١) سورة الحديد : ٢٢ ، ٢٣ ٠

(٢) سورة الكهف : ٥٤ ٠

ولكنه جاء يكشف عن وجه الصواب فلم يهن ، ولم يضعف ، واستعان بالقدر على تحقيق رسالته الكبرى ، ملتزما سنة الله فى نصره لعباده .

فقاوم الفقر بالعمل ، وقاوم الجهل بالعلم ، وقاوم المرض بالعلاج ، وقاوم الكفر والمعاصى بالجهاد ، وكان يستعيذ بالله من الهم والحزن . والعجز والكسل .

وما غزواته المظفرة الا مظهر من مظاهر ارادته العليا التى تجرى حسب مشيئة الله وقدره .

وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن يفهم فهما خاطئا ، ودعا الى مجاهدة من يرى هذا الفهم الخطأ .

فقد روى عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (يكون فى آخر الزمان قوم يعملون المعاصى ، ثم يقولون : الله قدرها علينا . الراد عليهم يومئذ كالشاهر سيفه فى سبيل الله) .

هذا هو القدر الذى ينبغى أن نعرفه عن القدر وما وراء هذه المعرفة عنه فلا يحل لنا البحث فيه ولا التنازع فى شأنه ، فان هذا من أسرار الله التى لا تحيط بها العقول ، ولا تدركها الأفكار .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : (خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتنازع فى القدر ، فغضب حتى احمر وجهه ، وقال : أبهذا أرسلت اليكم ؟ انما أهلك من قبلكم حين تنازعوا فى هذا الأمر ، عزمت عليكم ألا تتنازعوا فيه) .

وفى هذا يقول رضى الله عنه لمن سأله فى مثل هذا : طريق مظلم لا تسلكه ، كرر عليه السؤال فقال : بحر عميق لا تمجه ، كرر عليه السؤال فقال : سر الله قد خفى عليك فلا تفتشه .. ، فمثل هذا النهى انما ينصب على السؤال عن نظام الله فى الحياة والموت وبسط الرزق وضيقه وهكذا ، لا على الكلام فى القدر نفسه .

حرية الانســـان :

منذ أقدم العصور أخذ الانسان يفكر فى نفسه ، وفى الكون المحيط به ، وكانت حرية الانسان احدى القضايا التى تناولها عقله ، وشغلت حيزا كبيرا من تفكيره ، ولا تزال هذه القضية الى يومنا هذا مثار جـدل ومناقشة بين المفكرين والفلاسفة ، ولا يزال اهتمامهم بها اهتماما بالغا ، اذ أنها قضية تتعلق بحياة الانسان ، وتتصل بمصيره ، فهو يبحث فيها ، ويكد ، ويجد فى البحث علّه يهتدى الى الحل الصحيح ، كى يرسم لنفسه السلوك على ضوء الحل الذى يهتدى اليه •

وبدهى أن الانسان حينما حاول الكشف عن وجه الصواب فى هـذه القضية وأراد البحث فيها لم يجعل ميدان بحثه الأعمال الخارجة عن ارادته واختياره ككونه أبيض ، أو أسود ، وككونه ولد من هذا الوالد ، أو ذاك • وكنبضات قلبه ، وتنفسه وجريان الدم فى عروقه ، فان هـــذه الأشياء خارجة عن نطاق البحث ، لأن الانسان لا اختيار له فيها ، وهى غيـر خاضعة لارادته •

وانما اتجه الانسان وهو بصدد البحث فى هذه القضية الى الأعمال الارادية التى تدخل فى نطاق الارادة والاختيار ، ومدى حريتـه فى ممارسة هذه الأعمال مثل خروجه من البيت ، واتخـاذه طعاما معينا ، ولبسه نوعا من الملابس ، وتفضيله لونا من العلم ، أو الكتابة ، وممارسته حرفة من الحرف ، وزيارته لغيره ، وهـكذا فى كل عمل من الأعمـال الاختيـارية •

وقد اختلفت الأنظار ، وتضاربت الأفكار تضاربا كادت تضيع معه معـالم الحق •

فمن قائل : بأن الانسان مسير (١) غير مخير ، ومجبر على ممارسة نشاطه الاختيارى ، وأنه كالريشة فى مهب الريح تتقاذفها ذات اليمين ، وذات الشمال •

ومن قائل : بأن الانسان مخير (٢) غير مسير ، وأنه يمارس أعماله الاختيارية بمحض ارادته ومشيئته •

---

(١) هذا مذهب الجبرية •

(٢) مذهب المعتزلة والامامية •

ومن قائل : بأن الانســـان ليس له من أعماله الا الكسب (١) — أى أن الله يخلق الشيء عند مباشرته ، أى أن الله يخلق الشبع عند الأكل ، ويخلق المعرفة عند الدراسة وهكذا وليس للعبد الا الكسب ، وبه يصح التكليف والثواب والعقاب والمدح والذم •

والذى نراه فى هذه القضية ، ونختاره هو ما قرره الاسلام فيما يلى :

تقرير الاسلام حرية الارادة :

قرر الإسلام أن الانسان خلق مزودا بقوى وملكات واستعدادات، وهذه القوى يمكن أن توجه الى الخير ، كما يمكن أن توجه الى الشر ، فهى ليست خيرا محضا ولا شرا محضا ، وان كانت ارادة الخير فى بعض الناس أقوى ، وارادة الشر فى البعض الآخر أقـــوى ، وبينهما تفاوت لا يعلمه الا الله ، وفى الحديث الصحيح :

(كل مولود يولد على الفطرة) •

وفى الحديث أيضا : (الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام اذا فقهوا ••) ••

ويؤيد هذا قول الله سبحانه وتعالى :

« ونفس وما سواها • فألهمها فجورها وتقواها » (٢) •

أى أن الله خلق النفس مسواة ومعتدلة قابلة للتقوى والفجور ، ومستعدة للخير والشر •

والله سبحانه زود الانسان بالعقل الذى يميز به بين الحق والباطل فى العقائد، وبين الخيروالشر فى الأفعـــال ، وبين الصـــدق والكـــذب فى الأقوال •

وأعطاه القدرة التى يستطيع بها أن يحق الحق ، ويبطل الباطل ، وأن يأتى الخير ويدع الشر ، وأن يقول الصدق ، ويجانب الكذب ، ورسم له منهج الحق والخير والصدق بما أنزل من كتب ، وبما أرسل من

---

(١) رأى الأشاعرة •

(٢) سورة الشمس : ٧ ، ٨ •

رسل ، وما دام العقل المميز موجودا ، والقدرة على الفعل صالحة ، والمنهج المرسوم واضحا ، فقد ثبت للانسان حرية الارادة ، واختيار الفعــل •

وعلى الانسان أن يوجه قواه الى ما يختــاره لنفسه من حق ، أو باطل ، ومن خير ، أو شر ، ومن صدق ، أو كذب •

وفى القرآن الكريم يقول الله سبحانه :

«انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا » (١) •

أى هديناه وأرشدناه الى طريق الحق والباطل ، والخير والشر ، والصدق • والكذب ، فهو اما أن يسلك السبيل الأهدى ، فيكون شاكرا ، أو الطريق المعوج فيكون كفورا •

وفى هذا المعنى أيضا يقول القرآن الكريم :

« وهديناه النجدين »(٢) أى الطريقين •

وكل انسان مسئول عن تهذيب نفسه ، واصلاحها حتى تصل الى كمالها المقدر لها ، فان اصلاحها وتزكيتها وتنميتها بالعلم النافع والعمل الصالح هو سبيل فلاحها وفوزها برضا الله والقرب من مشاهدة جلاله وجماله ، كما أن اهمالها هو السبيل الى خيبتها وخسرانها •

« قد أفلح من زكاها • وقد خاب من دساها » (٣) •

« بل الانسان على نفسه بصيرة »(٤) •

« كل نفس بما كسبت رهينة » (٥) •

« كل امرىء بما كسب رهين »(٦) •

والآيات التى تقرر حرية الانسان كثيرة جدا ، منهـا قول الله سبحانه وتعالى :

---

(١) سورة الانسان : ٣ •
(٢) سورة البلد : ١٠ •
(٣) سورة الشمس : ٩ ، ١٠ •
(٤) سورة القيامة : ١٤ •
(٥) سورة المدثر : ٣٨ •
(٦) سورة الطور : ٢١ •

« من عمل صالحا فلنفسه ومن أســاء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيــد »(١) .

فأسند العمل الصــالح والعمل السيء الى الانســان ، ولو لم يكن الانسان حرا ما أسند اليه الفعل .

وفى موضع آخر من القرآن الكريم يقول الله سبحانه :

« وما أصــابكم من مصيبة فبمــا كسبت أيديكم ويعفــوا عن كثيــر » (٢) .

أى أن الشرور التى تعرض للانسان انما هى أثر من آثار عمله ونتاج اختياره وتصرفه .

وان القرآن ليتحدث عن المفاسد والجرائم التى تحيط بالناس ، فيبين أنها ليست من صنع الله ، وانما هى من عمل البشر .

« ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون »(٣) .

وهذا الذى يقرره القرآن هو ما يشعر به الانسان من نفسه ، فهو يشعر بأنه يمارس أعماله الادارية بمحض ارادته واختيــاره ، فهو يفعل منها ما يشاء ، ويدع منها ما يشاء ، وهو اذا فعل منها ما هو نافع استحق المدح ، واذا فعل ما هو ضار استوجب الذم ، فلو لم يكن مختارا لمــا توجه اليه المدح على فعل ما هو نافع ، ولمــا توجه له الذم على فعل ما هو ضار .

بل لو لم يكن الانســان مختارا لمــا كان ثمة فرق بين المحسن والمسيء ، اذ أن كلا منهما مجبر على ما يفعله ، ولبطل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر اذ لا فائدة لهما حيث ان الانسان مسلوب الارادة ، ولمــا كان ثمة معنى لتكليف الله للعبــاد ، لأن تكليفه اياهم مع سلب اختيــارهم هو منتهى الظلم الذى يتنزه الله عنه ، ويكون الأمر كما قال القائل :

---

(١) سورة فصلت : ٤٦ .

(٢) سورة الشورى : ٣٠ .

(٣) سورة الروم : ٤١ .

ألقاه فى أليم مكتوفا وقال له   اياك اياك أن تبتل بالماء

بل لو كان الانسان مسيرا لضاعت فائدة القوانين ، ولبطل الجزاء من الثواب والعقاب .

وقد أراد المشركون أن يحتجوا بمشيئة الله على شركهم . وأنه لو لم يشأ أن يكونوا مشركين لما كانوا كذلك ، فأبطل الله حجتهم ودحضها بقوله :

« سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شىء ، كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا ، قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون . قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين »(١) .

فالقرآن يرد على المشركين من وجهين :

الأول : أن الله أذاق الكافرين الأول بأسه ، وأنزل بهم عقابه ، فلو لم يكونوا مختارين للجرائم والمآثم ، والكفر والشرك لما عذبهم الله ، لأن الله عادل لا يظلم مثقال ذرة .

والوجه الثانى : أنهم زعموا ذلك عن جهل بالله ، وجهل بدينه وأنهم ليس عندهم من علم يمكن أن يستند اليه ، ويرجع اليه ، وانما كفرهم هذا تمرد على دينه وافتيات على الحق الذى أنزله على ألسنة الرسل .

واذا كان الله قد عذب الأمم السابقة على كفرها ، واذا كان المشركون ليس لهم من حجة يحتجون بها ، فقد تقرر أن دعوى المشركين دعوى ظنية لا تقوم عليها حجة ، ولا ينهض بها دليل .

وبذلك قامت حجة الله البالغة على هؤلاء ، ولو شاء الله لأجبرهم على الهداية ، واذن فلن يكونوا حينئذ من البشر ، لأن البشر فطر على الحرية والاختيار .

---

(١) سورة الأنعام : ١٤٨ ، ١٤٩ .

مشيئة الرب ومشيئة العبد :

وقد يقال : اذا كان الله منح العبد الحرية والاختيار فما معنى قــوله :

« لمن شاء منكم أن يستقيم • وما تشاءون الا أن يشــاء الله رب العالمين »(١) •

فنقول : معناها أن الانسان لا يشاء شيئا الا اذا كان فى حدود مشيئة الله وارادته ، فمشيئة البشر ليست مشيئة مســتقلة عن مشيئة الله ، والله قد شاء للانسان أن يختار أحد الطريقين : طريق الهداية ، أو طريق الضلالة •

فاذا اختار الطريق الأول ، ففى نطاق المشيئة الالهية ، واذا اختار الطريق الثانى ففى نطاقها أيضا •

وكل الآيات التى جاءت على هذا النحو فمعناها لا يتعدى ما ذكرناه •

الهداية والاضلال :

وقد يقال أيضا : لقد جاء فى القرآن الكريم :

« يضل من يشاء ويهدى من يشاء » (٢) •

أى أن الله يضل من يشاء اضلاله ، ويهــدى من يشاء هدايته ، واذا كان الله يضل ويهدى فليس للعبد حرية الاختيار ، والواقع أن الهداية والاضلال نتائج لمقدمات ، ومسببات لأسباب •

فكما أن الطعام يغذى ، والمــاء يروى ، والسكين تقطع ، والنار تحــرق •

فكذلك هناك أسباب توصل الى الهــداية ، وأسباب توصل الى الضــلال •

فالهداية انما هى ثمار عمل صالح •

والضلال انما هو نتاج عمل قبيح •

---

(١) سورة التكوير : ٢٨ ، ٢٩ • (٢) سورة النحل : ٩٣ •

فاسناد الهداية والاضلال الى الله من حيث انه وضع نظام الأسباب والمسببات لا أنه أجبر الانسان على الضلال أو الهداية .

وحينما نرجع الى الآيات القرآنية نجد هذا المعنى بينا وواضحا ، لا لبس فيه ولا غموض . فالله يقول :

« ويهدى اليه من أناب »(١) .

« والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا » (٢) .

« والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم » (٣) .

فهداية الله للناس بمعنى لطفه بهم ، وتوفيقهم للعمل الصالح ، انما هى ثمرة جهاد للنفس وانابة الى الله ، واستمساك بارشاده ووحيه .

ويقول القرآن الكريم فى الاضلال :

« يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا ، وما يضل به الا الفاسقين . الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الأرض ، أولئك هم الخاسرون »(٤) .

« يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ويضل الله الظالمين ، ويفعل الله ما يشاء » (٥) .

« كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار » (٦) .

«فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ، والله لا يهدى القوم الفاسقين»(٧)

« كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون » (٨) .

« بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا » (٩) .

---

(١) سورة الرعد : ٢٧ .
(٢) سورة العنكبوت : ٦٩ .
(٣) سورة محمد : ١٧ .
(٤) سورة البقرة : ٢٦ ، ٢٧ .
(٥) سورة ابراهيم : ٢٧ .
(٦) سورة غافر : ٣٥ .
(٧) سورة الصف : ٥
(٨) سورة المطففين : ١٤ .
(٩) سورة النساء : ١٥٥ .

فنرى من هذه الآيات أن سبب الاضلال هو الزيغ ، والخروج عن تعاليم الله • والكبر ، والجبروت والتعالى على الناس بغير الحق ، ونقض عهد الله ، وقطع ما أمر الله به أن يوصل ، ووصل ما أمر الله به أن يقطع ، والفساد فى الأرض ، والكفر واقتراف الآثام •

فهذه هى الأسباب التى أضلت الناس ، وأخرجتهم عن منهج الحق لأنهم آثروا العمى على الهدى ، واستحبوا الظلام على النور ، فكان أن كافأهم الله فأصمهم ، وأعمى أبصارهم بمقتضى نظامه فى ارتباط الأسباب بمسبباتها •

وهذا ونحوه كثير فى كتاب الله ، ومنه :

« ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » (١) •

فهؤلاء أهملوا منـافذ العلم والعـرفان ، وعطلوها عما خلقت له ، فلم يصل اليها نور الحق •

فقلوبهم غلف لا تعقل عن الله وحيه ، وعيونهم عمى لا ترى الله فى ملكوته ، وآذانهم صم لا تسمع آيات الله ، فهم مثل الأنعام التى لا تنتفع بحواسها الظاهرة والباطنة ، بل أضل من الأنعام اذ الأنعام لم تزود بما زود به الانسان من قوى نفسية وعقلية وروحية •

---

(١) سورة الاعراف : ١٧٩ •

الملائكة

* من هم الملائكة
* مم خلقوا ؟
* فضل البشر على الملائكة
* طبيعتهم
* تفاوتهم
* عملهم فى عالم الأرواح
* عملهم فى عالم الطبيعة
* الايمان بهم

الملأ الأعلى ، أو الملائكة عالم لطيف غيبي غير محسوس ، ليس لهم وجود جسماني يدرك بالحواس ، وهم من عوالم ما وراء الطبيعة ، او غير المنظوره التي لا يعلم حقيقتها الا الله .

وهم مطهرون من الشـــهوات الحيوانيـــة ، ومبراون من الميـــول النفسيه ، ومنزهون عن الاثام والخطايا .

والملائكه ليسوا كالبشر ياكلون ، ويشربون ، وينامون ، ويتصفون بالذكوره ، او الانوثه ، وانما هم عالم اخر ، قائم بنفسه ، ومستقل بذاته ، لا يتصفون بشيء مما يتصف به البشر من الحالات المـــاديه ، ولهم قدرة على ان يتمثلوا بصور بشرية ، وغيرها من الصور الحسيه . فقد جاء جبريل الى السيدة مريم متمثلا في صورة بشرية :

« واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من اهلهـــا مكانا شرقيـــا . فاتخذت من دونهم حجابا فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا »(١) .

ودخلت جماعة منهم على سيدنا ابراهيم في صورة آدميين يحملون اليه البشرى وظنهم ضيوفا فقدم اليهم الطعام :

« ولقد جاءت رسلنا(٢) ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام ، فما لبث أن جاء بعجل حنيذ(٣) . فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم(٤) وأوجس(٥) منهم خيفة ، قالوا لا تخف انا أرسلنـــا الى قوم لوط . وامرأته قائمة فضحكت(٦) فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب . قالت يا ويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشيء عجيب . قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ، انه حميـــد مجيـــد » (٧) .

---

(١) سورة مريم : ١٦ ، ١٧ .

(٢) أي الملائكة .

(٣) مشوي على الحجارة المحماة بالنار .

(٤) وجد منهم غير ما يعرف .

(٥) شعر بالخوف منهم .

(٦) سرورا وفرحا بالبشرى .

(٧) سورة هود : ٦٩ ـ ٧٣ .

مم خلقـــوا :

والملائكة خلقهم الله من نور ، كما خلق آدم من طين ، وكما خلق الجان من نار .

روى مسلم عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم » .

ومسكنهم السماء ، وينزلون منها بأمر الله .

روى أحمد والبخارى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل : ما يمنعك أن تزورنا اكثر مما تزورنا ؟ قال : فنزلت :

« وما نتنزل الا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك ، وما كان ربك نسيا » (١) .

وخلقهم متقدم على خلق الانسان ، وقد أخبرهم الله بأنه سيخلقه ويجعله خليفة فى الأرض .

« واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ، قال انى أعلم ما لا تعلمون » (٢) .

البشر أفضل منهم :

والظاهر أن البشر أفضل من الملائكة ، كما هو واضح فى عجزهم عن الاجابة على الأسماء التى عرضها الله عليهم ، بينما أجاب آدم اجابة صحيحة ، فشرف بالعلم الذى خصه الله به وامتـــاز عليهم فى معـــرفة الأشياء وادراكها .

وكذلك فى أمر الله للملائكة بالسجود لآدم ما يفيد تفضيله عليهم .

---

(١) سورة مريم : ٦٤ .

(٢) سورة البقرة : ٣٠ .

« وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين • قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم • قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم انى أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون • واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين »(١) •

ومن جانب آخر ، نرى أن طاعة الملائكة جبلية ، وتركهم للمعصية لا يكلفهم أدنى مجاهدة ، لأنه لا شهوة لهم •

فأى فضل لهم فى الطاعة ، وترك العصيان مع أن ذلك يقع منهم وقوعا اضطراريا كما ينبض القلب ، ويجرى الدم ، وتتنفس الرئتان بينما الانسان يجاهد النفس ، ويصارع الهوى ، ويحارب الشيطان ، ويتكلف الطاعة ، ويسعى جاهدا فى تكميل نفسه ، وترقية روحه رغبا ورهبا •

طبيعتهم :

وطبيعة الملائكة الطاعة التامة لله ، والخضوع لجبروته ، والقيام بأوامره ، وهم يتصرفون فى شئون العالم بارادة الله ومشيئته ، وهو سبحانه يدبر بهم ملكه • وهم لا يقدرون على شيء من تلقاء أنفسهم •

« يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون » (٢) •

« بل عباد مكرمون • لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون • يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون »(٣) •

« لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » (٤) •

روى البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (اذا

---

(١) سورة البقرة : ٣١ — ٣٤ • (٢) سورة النحل : ٥٠ •
(٣) سورة الأنبياء : ٢٦ — ٢٨ • (٤) سورة التحريم : ٦ •

قضى الله الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا (١) لقوله كأنه صلصلة(٢) على صفوان فاذا فزع(٣) عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قال الحق ، وهو العلى الكبير) .

تفـــاوتهم :

وهم يتفاوتون فى الخلق ، كما يتفاوتون فى الأقدار تفاوتا لا يعلمه الا الله .

« الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسـلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع ، يزيد فى الخلق ما يشاء ، ان الله على كل شىء قدير » (٤) .

أى أن الله جعل الملائكة أصحاب أجنحة (٥) فمنهم من له جناحان ، ومنهم من له ثلاثة ، ومنهم من له أربعة ، ومنهم من يزيد على ذلك ، وهذا مظهر التفاوت فى الأقدار عند الله والقدرة على الانتقال .

روى مسلم عن ابن مسعود : (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح) .

وكثرة الأجنحة دليل القدرة على السرعة فى تنفيذ أوامر الله وتبليغ رسـالته .

« وما منا الا له مقام معلوم . وانا لنحن الصافون (٦) . وانا لنحن المسـبحون » (٧) .

قال ابن كثير : وما من ملك الا له موضع مخصوص فى السموات ، ومقامات العبادات لا يتجاوزه ، ولا يتعداه .

---

(١) خضعانا : مصدر أى خضعت خضوعا .

(٢) الصلصلة : الصوت المتدارك الذى يسمع ولا يثبتك أو ما يقرع السمع حتى يفهم بعد ، والصفوان : الحجر الأملس .

(٣) فزع : انكشف الفزع . (٤) سورة فاطر : ١ .

(٥) هذا من الغيب الذى نؤمن به ولا نبحث عنه لأننا لم نكلف العلم به ولم يخبرنا المعصوم عنه . (٦) أى نقف صفوفا فى الطاعة .

(٧) أى نصطف لنسبح الرب ونمجده ونقدسه وننزهه عن النقائص [illegible] له [illegible] اليه [illegible] اليه . سورة الصافات : ١٦٤ — ١٦٦ .

وقال ابن عساكر فى ترجمته لمحمد بن خالد بسنده الى عبد الرحمن ابن العلاء بن سعد عن أبيه ، وكان ممن بايع يوم الفتح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوما لجلسائه :

« أطت السماء وحق لها أن تئط ، ليس فيها موضع قدم الا عليه ملك راكع أو ساجد ، ثم قرأ :

« وما منا الا له مقام معلوم • وانا لنحن الصافون • وانا لنحن المسبحون » (١) •

عملهم :

وللملائكة عمل فى عالم الأرواح ، وعمل فى عالم الطبيعة ، ولهم صلة خاصة بالانسان •

عملهم الروحى :

فعملهم فى عالم الأرواح يتلخص فيما يلى

(أ) التسبيح والخضوع التام لله :

« ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون » (٢) •

« وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم »(٣) •

(ب) حمل العرش :

« الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به » (٤) •

« ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية » (٥) •

(جـ) التسليم على أهل الجنة :

« والملائكة يدخلون عليهم من كل باب • سلام عليكم بما صبرتم » (٦) •

---

(١) سورة الصافات : ١٦٤ — ١٦٦ •

(٢) سورة الأعراف : ٢٠٦ •

(٣) سورة الزمر : ٧٥ • (٤) سورة غافر : ٧ •

(٥) سورة الحاقة : ١٧ • (٦) سورة الرعد : ٢٣ — ٢٤ •

(د) تعذيب أهل النار :

« يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليهاملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون »(١) ·

« وما أدراك ما سقر · لا تبقى ولا تذر · لواحة للبشر · عليها تسعة عشر · وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة » (٢) ·

النزول بالوحى :

وملك الوحى ، هو جبريل عليه السلام ، قال تعالى :

« قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه »(٣) ·

ويسمى — الروح الأمين — قال الله تعالى :

« وانه لتنزيل رب العالمين · نزل به الروح الأمين · على قلبك لتكون من المنذرين »(٤) ·

ويسمى روح القدس ، قال الله تعالى :

« قل نزله روح القدس من ربك بالحق »(٥)

ويسمى أيضا بالناموس ، كما قال ورقة بن نوفل لرسول الله فى أول عهده بالوحى : لقد جاءك الناموس الذى نزل الله على موسى ·

ويأتى جبريل أحيانا فى صورة بشر ، وأحيانا فى مثل صلصلة (٦) الجرس ·

روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها أن الحارث بن هشام

(١) سورة التحريم : ٦ ·
(٢) سورة المدثر : ٢٧ — ٣١ ·
(٣) سورة البقرة : ٩٧ ·
(٤) سورة الشعراء : ١٩٢ — ١٩٤
(٥) سورة النحل : ١٠٢ ·
(٦) أى أن صوته يشبه الصلصلة وهو الرنين المتتابع ·

رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يا رسول الله : كيف يأتيك الوحى ؟ فقال :

(أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده على ، فيفصم (١) عنى وقد وعيت عنه (٢) ما قال ،

وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فيأعى ما يقول) .

قالت عائشة رضى الله عنها : (ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه ، وان جبينه ليتفصد عرقا) .

وفى الحديث الذى أخرجه ابن أبى دنيا ، والحاكم عن ابن مسعود ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(ان روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب) .

عملهم فى الطبيعة ومع الانسان :

وللملائكة عمل فى تدبير أمور الكون من ارسال الرياح والهواء ، ومن سوق السحب وانزال المطر ، ومن انبات النبات ، ونحو ذلك من الأعمال الخافية على الأنظار التى لا تقع تحت الحواس .

وهم يلازمون الانسان فى حياته كلها ، وبعد مماته ، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

(ان معكم من لا يفارقكم الا عند الخلاء ، وعند الجماع ، فاستحيوهم وأكرموهم) .

تنشيط القوى الروحية الكائنة فى الانسان بالهام الحق والخير :

عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

---

(١) يفصم : يقلع .

(٢) وعيت : حفظت : انما كانت الحالة الأولى أشد لأنها : انسلاخ من البشرية واتصال بالروحانية ، وكانت الثانية أخف ، لأنها انتقال ملك الوحى من الروحانية الى البشرية .

(ان للشيطان لمة (١) بابن آدم ، وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان ، فايعاد بالشر وتكذيب بالحق ، وأما لمة الملك ، فايعاد بالخير وتصديق بالحق ، فمن وجد من ذلك شيئا فليعلم أنه من الله ، وليحمد الله ، ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان ثم قرأ :

« الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ، والله واسع عليم » (٢) .

دعاء الملائكة للمؤمنين :

والله سبحانه لسعة مغفرته ، ولحبه لعبـــاده ، يلهم ملائكته أن يضرعوا اليه بالدعاء ، ويسألوه برحمته التى وسعت كل شىء ، وعلمه الذى وسع كل شىء ، أن يغفر للتائبين ، ويدخلهم فى عباده الصالحين .

« الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به . ويستغفرون للذين آمنوا ، ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم . ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، انك أنت العزيز الحكيم . وقهم السيئات ، ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته ، وذلك هو الفوز العظيم » (٣) .

وروى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان يدعوان ، يقول أحدهما : اللهم أعط ممسكا تلفا . ويقول الآخر : اللهم أعط منفقا خلفا) .

---

(١) اللمة كهمة : الخطرة بالقلب ، لمة الشيطان وسوسته بالسوء ، ولمة الملك وحيه بالخير .

(٢) سورة البقرة : ٢٦٨ .

(٣) سورة غافر ٧ — ٩ .

تأمينهم مع المصلين

والملائكة تؤمن مع المصلين ، فعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(اذا قال الامام : « **غير المغضوب عليهم ولا الضالين** » فقولوا : آمين (١) ، فان الملائكة يقولون : آمين ، وان الامـام يقول : آمين ، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه) (٢) .

حضورهم صلاة الفجر والعصر من كل يوم

روى البخارى عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة ، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار فى صلاة الفجر) ، يقول أبو هريرة : اقرأوا ان شـئتم :

« **وقرآن الفجر (٣) ، ان قرآن الفجر كان مشهودا** » (٤) .

وروى الشيخان عن أبى هريرة أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهـار ، ويجتمعون فى صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم ، فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم : كيف تركتم عبـادى ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون ، وأتيناهم وهم يصلون)

نزولهم عند قراءة القرآن :

وهم ينزلون عند قراءة القرآن ، يستمعون اليه :

فعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن أسيد بن حضير بينما هو فى ليلة يقرأ فى مربده (٥) اذ جالت فرسـه ، فقـرأ ، ثم جالت (٦)

---

(١) أى قولوا آمين مع الامام مع الموافقة له .

(٢) رواه أحمد وأبو داوود والنسائى .

(٣) أى صلاة الفجر .

(٤) سورة الاسراء ـ ٧٨ .

(٥) المربد : الجرين .

(٦) جالت : وثبت [illegible]

أخرى ، فقرأ ، ثم جالت أيضا • قال أسيد ، فخشيت أن تطأ يحيى فقمت اليها ، فاذا مثل الظلة فوق رأسى ، فيها أمثال السرج عرجت فى الجو حتى ما أراها • فقال : فغدوت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله بينما أنا البارحة من جوف الليل أقرأ فى مربدى اذ جالت فرسى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ ابن حضير • قال : فقرأت ، ثم جالت أيضا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأ ابن حضير قال : فقرأت ، ثم جالت أيضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ ابن حضير قال : فانصرفت وكان يحيى قريبا منها خشيت أن تطأه ، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت فى الجو حتى ما أراها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (تلك الملائكة كانت تستمع لك ، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتر منهم) (١) •

حضورهم مجالس الذكر :

وهم يلتمسون حلقات الذكر لامدادهم بالقوى الروحية •

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان لله ملائكة يطوفون فى الطريق يلتمسون أهل الذكر ، فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا : هلموا الى حاجتكم ، فيحفونهم بأجنحتهم الى السماء الدنيا • قال : فيسألهم ربهم ، وهو أعلم بهم ما يقول عبادى ؟ قال يقولون : يسبحونك ، ويكبرونك ، ويحمدونك ، ويمجدونك ، قال فيقول : هل رأونى ؟ قال : فيقولون : لا والله يارب ما رأوك قال : فيقول : كيف لو رأونى ؟ قال يقولون : لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا ، وأكثر لك تسبيحا ، قال فيقول : مم يسألونى ؟ قال : يقولون : يسألونك الجنة • قال فيقول : وهل رأوها ؟ قال يقولون : لا والله يارب ما رأوها قال فيقول : فكيف لو رأوها قال يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا ، وأعظم فيها رغبة ، قال : فمم يتعوذون ؟ قال : يقولون : يتعوذون من النار • قال فيقـــول : وهل رأوها ؟ قال يقولون : لا والله ما رأوها • قال

(١) رواه البخارى ومسلم ، واللفظ له •

فيقول . فيقول لو رأوها ؟ قال يقولون : لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة • قال فيقول : أشهدكم أنى قد غفرت لهم ، قال يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم انما جاء لحاجة ، قال • هم القوم لا يشقى بهم جليسهم) • رواه البخارى واللفظ له ومسلم • ولفظه قال :

(ان لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلاء يبتغون مجالس الذكر ، فاذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم ، وحف بعضهم بعضا باجنحتهم حتى يملاوا ما بينهم وبين السماء ، قال : فيسالهم الله عز وجل — وهو اعلم بهم — من اين جئتم ؟ فيقولون : جئنا من عند عبادك فى الارض يسبحونك ، ويكبرونك ويهللونك ، ويحمدونك ويسألونك • قال : فما يسألوني ؟ قالوا يسالونك جنتك • قال : وهل رأوا جنتي ؟ قالوا : لا يارب — قال : وكيف لو رأوا جنتي ؟ قالوا : ويستجيرونك قال : ومم يستجيروني ؟ قالوا : من نارك يارب • قال : هل رأوا ناري ؟ قالوا : لا يارب • قال : فكيف لو رأوا ناري ؟ قالوا : ويستغفرونك • قال فيقول : قد غفرت لهم وأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا • قال يقولون : رب فيهم فلان عبد خطاء انما مر فجلس معهم ؟ قال فيقول : وله غفرت هم القوم لايشقى بهم جليسهم) •

صلاتهم على المؤمنين وخاصة أهل العلم منهم :

« هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور ، وكان بالمؤمنين رحيما »(١) •

وعن أبى أمامة أن رسول الله قال : (ان الله وملائكته وأهل السموات والأرض ليصلون على معلم الناس الخير) (٢) •

---

(١) سورة الأحزاب : ٤٣ •

(٢) رواه الترمذى وقال حديث حسن

تبريكهم أهل العلم وتواضعهم لهم :

عن أبى الدرداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع)(١) .

حبهم البشريات :

روى مسلم عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

زار رجل أخا له فى قرية أخرى ، فأرصد الله له على مدرجته (٢) ملكا ، فلما اتى عليه ، قال : أين تريد ؟ قال : أريد أخا لى فى هذه القريه قال : هل لك عليه من نعمة تربها (٣) ؟ قال : لا ، غير أنى أحببته فى الله عز وجل ، قال : فانى رسول الله اليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه .

اعلانهم عمن يحبه الله وعمن يبغضه :

يقول الرسول عليه الصلاة والسلام :

(ان الله تعالى اذا أحب عبدا دعا جبريل فقال : انى أحب فلانا فأحبه ، فيحبه جبريل ، ثم ينادى فى السماء فيقول : ان الله يحب فلانا فأحبوه ، فيحبه أهل السماء ، ثم يوضع له القبول فى الأرض .

واذا أبغض عبدا دعا جبريل فيقول : انى أبغض فلانا ، فأبغضه ، فيبغضه جبريل ، ثم ينادى فى أهل السماء ان الله أبغض فلانا فأبغضوه ، ثم يوضع له البغضاء فى الأرض) (٤) .

كتابتهم الأعمال :

وهم يكتبون أعمال الانسان ، ويحصون عليه حسناته وسيآته .

« ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن أقرب

---

(١) رواه أبو داوود والترمذى .	(٢) مدرجته : طريقه .
(٣) تصلحها .	(٤) رواه مسلم .

اليه من حبل الوريد • اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد (١) ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » (٢) •

«وان عليكم لحافظين • كراما كاتبين • يعلمون ما تفعلون» (٣) •

« ام ابرموا امرا فانا مبرمون • ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم ، بلى ورسلنا لديهم يكتبون » (٤) •

ويسجلون هذه الأعمال عندهم فى سجل لكل فرد ، ثم تعــرض يوم الحساب :

« وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه ، ونخرج له يوم القيــامة كتابا يلقاه منشورا • اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا » (٥) •

وفى اثناء العرض يشهدون على ما عمل الانسان من خير أو شر :

« ونفخ فى الصور ، ذلك يوم الوعيد • وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد • لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حــديد » (٦) •

تثبيت المؤمنين :

وهم يثبتون المؤمنين بما يلقونه فى قلوبهم من التأييد :

« اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا » (٧) •

« لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه » (٨) •

---

(١) قال الحسن فى قول الله : « عن اليمين وعن الشمال قعيد » : يا ابن آدم : بسطت لك صحيفة ، ووكل بك ملكان كريمان : أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك : فأما الذى عن يمينك ، فيحفظ حسناتك ، وأما الذى عن شمالك فيحفظ سيئاتك ، فاعمل ما شئت ، أقلل ، أو أكثر • حتى اذا مت طويت صحيفتك ، وجعلت فى عنقك معك فى قبرك حتى تخرج يوم القيامة فعند ذلك يقول تعالى : « وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه » •• الآية ثم يقول الحسن : عدل الله فيك من جعلك حسيب نفسك •

(٢) سورة ق : ١٦ ــ ١٨ • (٣) سورة الانفطار : ١٠ ــ ١٢ •

(٤) سورة الزخرف : ٧٩ ، ٨٠ • (٥) سورة الإسراء : ١٣ ، ١٤ •

(٦) سورة ق : ٢٠ ــ ٢٢ • (٧) سورة الأنفال : ١٢ •

(٨) المقصود بالروح هنا روح القدس وهو جبريل • سورة المجادلة : ٢٢

وهم موكلون بقبض الأرواح :

« حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون »(١) •

« قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم »(٢) •

وهم يحيون الطيبين تحية طيبة عند قبض أرواحهم :

« الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم »(٣) •

ويبشرونهم بالجنة :

« ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون • نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون • نزلا من غفور رحيم »(٤) •

أى ان الذين آمنوا بالله ايمانا حقا ، واستقاموا على الطريق الذى رسمه لعباده ، فان الملائكة تنزل عليهم عند الموت وتقول لهم : لا تخافوا مما أمامكم من أهوال القبر وعذاب الآخرة ، ولا تحزنوا على ما تركتم وراءكم من أموال وأولاد ، وأبشروا بالجنة التى وعدكم الله بها •

بينما يمتهنون الفسقه ، ويضربون وجوههم وادبارهم :

« ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا : فيم كنتم »(٥) •

« ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم »(٦) :

الايمان بالملائكة :

واذا كان هذا هو شأن الملائكة فى عالم الروح ودورهم الايجابى فى الكون والطبيعة ، واذا كانت هذه هى صلتهم بالانسان فى هذا العالم ، وفى العالم الذى يأتى بعده — كان من الواجب الايمان بوجودهم ،

---

(١) سورة الأنعام : ٦١ •
(٢) سورة السجدة : ١١ •
(٣) سورة النحل : ٣٢ •
(٤) سورة فصلت : ٣٠ — ٣٢ •
(٥) سورة النساء : ٩٧ •
(٦) سورة الأنفال : ٥٠ •

ومحاولة الاتصال بهم عن طريق تزكية النفس وتطهير القلب وعبـادة الله عبادة خاشعة :

وفي الاتصال بالملائكة سمو للروح وتحقيق للحكمة العليا التي خلق الانسان من أجلها ، وهي أداء أمانة الحياة ، والقيام بالخلافة عن الله في الأرض •

ولهذا كان الايمان بالملائكة من البر ، ومن دلائل الصدق والتقوى •

« ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة »(١) •

ان الايمـان لا يكون له حقيقة الا اذا آمن الانســان بهذا العالم الروحي ايمانا لا يتطرق اليه الشك ، ولا تتسرب اليه الظنون •

وهذا هو نهج الأنبياء والمؤمنين الذى انكشـفت الحقـائق أمام أبصارهم ، فأدركوا من الكون مالم يدركه الغافلون •

« آمن الرســول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله »(٢) •

ان هذا العـالم الغيبي لا يدرك بالحس ولا بالعقـل ، بل ان الشياطين لا يمكنهم الوصول اليه :

« لا يسمعون الى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب »(٣) •

وسبيل معرفته هو الوحي لأنه غيب من الغيوب •

« قل انما أنا منـذر ، وما من اله الا الله الواحد القهار • رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار • قل هو نبأ عظيم ، أنتم عنه معرضون • ما كان لي من علم بالملأ الأعلى اذ يختصمون • ان يوحى الى الا أنما أنا نذير مبين »(٤) •

---

(١) سورة البقرة : ١٧٧ •
(٢) سورة البقرة : ٢٨٥ •
(٣) سورة الصافات : ٨ •
(٤) سورة ص : ٦٥ — ٧٠ •

وكل ما يجب الاهتمــام به أن نؤمن بهم ، ونرعى حق صحبتهم ونوثق صلتنا بهم كما أرشد الرسول :

(ان معكم من لا يفارقكم الا عند الخلاء وعند الجماع ، فاستحيوهم، وأكرموهم) .

الجن

* من هم ؟
* طريق العلم بهم
* المادة التى خلقوا منها
* طوائفهم
* الجن مكلفون كالبشر
* استماعهم القرآن من الرسول
* الجن لا يعلم الغيب
* تسخير الجن لسليمان
* ابليس والشياطين
* كل انسان معه شيطان
* الاعراض عن هداية الله يمكن للشيطان
* التحذير من عداوة الشيطان
* لا سلطان للشيطان على المؤمنين
* مقاومة الشيطان
* حكمة خلق ابليس

الجن نوع من الأرواح العاقلة المريدة المكلفة على نحو ما عليه الانسان ، ولكنهم مجردون عن المادة البشرية ، مستترون عن الحواس لا يرون على طبيعتهم ، ولا بصورتهم الحقيقية ، ولهم قدرة على التشكل •

طريق العلم بهم :

والطريق الذى يوصلنا الى العلم بهذا العالم هو الوحى ، وقد هدانا الكتاب والسنة الصحيحة عن أصل المادة التى خلقوا منها ، وعن طوائفهم وعن مصير كل طائفة وعن تكليفهم واستماعهم القرآن من الرسول صلوات الله وسلامه عليه

المادة التى خلقوا منها :

يقول الله سبحانه وتعالى فى أصل المادة التى خلق منها الجان :

« ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون • والجان خلقناه من قبل من نار السموم »(١) •

والآيتان تدلان على :

١ — أن الانسان فى أول أمره خلق من تراب ، ثم عجن بالماء ، فصار طينا ، ثم مكث حتى صار حمأ(٢) مسنونا ، ثم يبس هذا الحمأ المتغير الرائحة حتى صار صلصالا(٣) •

٢ — وأن الجان فى أول أمره خلق من نار لا دخان فيها ، لأن السموم هو لهب النار الخالص •

٣ — وأن خلق الجان سابق لخلق الآدميين •

(١) سورة الحجر آية ٢٦ ، ٢٧ •
(٢) الحمأ طين أسود متغير ريحه من طول مجاورته للماء •
(٣) اى يظهر صوته اذا نقر عليه •

طوائف الجن :

والجن طوائف :

فمنهم الكامل فى الاستقامة والطيبة وعمل الخير •

ومنهم من هو دون ذلك •

ومنهم البله المغفلون •

ومنهم الكفرة ، وهم الكثرة الكاثرة •

يقول الله سبحانه فى حكايته عن الجن الذين استمعوا الى القرآن

« وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك ، كنا طرائق قددا » (١) •

أى أن منهم الكاملون فى الصلاح ، ومن هم أقل صلاحا ، فهم مذاهب مختلفة كما هو الحال عند البشر •

ويقول الله عنهم :

« وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون ، فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا • وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا »(٢) •

أى أن منهم المسلمين ، ومنهم الظالمين أنفسهم بالكفر ، فمن أسلم منهم فقد قصد الهدى بعمله ، ومن ظلم نفسه فهو حطب جهنم •

الجن مكلفون كالبشر :

والجن مكلفون كالانس ورسلهم من البشر • يقول الله سبحانه :

« يا معشر الجن والانس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا شهدنا على أنفسنا ، وغرتهم الحياة الدنيا ، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين »(٣) •

---

(١) سورة الجن : ١١ •

(٢) سورة الجن : ١٤ — ١٥ •

(٣) سورة الانعام : ١٣٠ •

« سنفرغ لكم أيها الثقلان • فبأى آلاء ربكما تكذبان • يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفـذوا من أقطار السـموات والأرض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان • فبأى آلاء ربكما تكذبان » (١) •

ومعنى الآيات : سنفرغ لكم لنحاسبكم حسابا دقيقا لا يشغلنا عن ذلك شىء يا أيها الثقلان •

والثقلان مثنى ثقلى وهما ، الجن والانس • :

يا جماعة الجن والانس ان قدرتم أن تفروا من جانب من جوانب السموات والأرض للهـرب من الحساب ففروا ، واهربوا ، ولكن لن تستطيعوا ذلك الا بالقوة التى تفوق قوة الله ، وذلك لا يكون لاستحالته •

استماعهم القرآن من الرسول :

وقد حضر وفد من الجن ، وسمعوا القرآن من النبى صلوات الله وسلامه عليه ، ولم يرهم وقت وجودهم ، ولم يعلم بحضورهم •

وفى ذلك يقول الله سبحانه :

« واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن ، فلما حضروه قالوا أنصتوا ، فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين • قالوا : يا قومنـا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لمـا بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم • يا قومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم • ومن لا يجب داعى الله ، فليس بمعجز فى الأرض وليس له من دونه أولياء ، أولئك فى ضلال مبين » (٢) •

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال :

(ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم • انطلق صلى الله عليه وسلم فى طائفة من أصحابه عامـدين الى سوق عكاظ ، وقد حيـل بين الشياطين وبين خبر السماء ، وأرسلت عليهم الشهب ، فرجعت الشياطين الى قومهم ، فقالوا : مالكم ؟ قالوا : حيل

---

(١) سورة الرحمن : ٣١ ـ ٣٤ •
(٢) سورة الأحقاف : ٢٩ ـ ٣٢ •

بيننا وبين خبر السماء ، وأرسلت علينا الشهب . قالوا : ما ذلك الا من شيء حدث ، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها ، فمر النفر الذين أخذوا تهامة بالنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر ، فلما سمعوا القرآن استمعوا له ، وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا الى قومهم وقالوا : (يا قومنا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا) فأنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم :

« قل أوحي إلى أنه استمع نفر من الجن » (١) .

وقال الحافظ البيهقي : وهذا الذي حكاه ابن عباس رضي الله عنهما ، انما هو أول ما سمعت الجن قراءة لرسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وعلمت حاله ، وفي ذلك الوقت لم يقرأ عليهم ، ولم يرهم ، ثم بعد ذلك أتاه داعي الجن ، فقرأ عليهم القرآن ، ودعاهم الى الله عز وجل ... انتهى .

وهذا يشير الي ما رواه أحمد ومسلم وأبو داوود والترمذي عن علقمة قال : قلت لابن مسعود : هل صحب النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن منكم أحد ؟ قال : ما صحبه منا أحد ، ولكن قد افتقدناه ذات ليلة ، وهو بمكة فقلنا : اغتيل ، أو استطير ، ما فعل به ؟ فبتنا بشر ليلة بات بها قوم ، حتى اذا أصبحنا ، أو كان في وجه الصبح ، فاذا نحن به يجيء من حراء ، قال : فذكروا له الذي كانوا فيه ، فقال : أتاني داعي الجنة ، فأتيتهم ، فقرأت عليهم ، فانطلق ، فأرانا آثرهم وأثر نيرانهم ، وسألوه الزاد ، فقال : لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما ، وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم .

الجن لا علم له بالغيب :

علم الغيب مما استأثر الله به ، والله لا يطلع أحدا على غيبه الا اذا أراد أن يبلغ من ارتضاه من رسله ما يريد ابلاغه للناس .

---

(١) رواه الشيخان والترمذي والنسائي والبيهقي — سورة الجن : ١ .

« عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ، الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا » (١) .

أى أنه يجعل حرسا حول هذا الرسول الذى أطلعه على بعض الغيب المتعلق برسالته ، وهذا الحرس من الملائكة والشهب لحفظ هذا الغيب من تلاعب الشياطين .

وفى قصة سليمان يقول القرآن الكريم :

« فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الأرض تأكل منسأته ، فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين » (٢) .

تسخير الجن لسليمان عليه السلام :

والله سبحانه سخر الجن لسليمان ، ولم يحدث ذلك لغيره فيما نعلم :

« فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب (٣) . والشياطين كل بناء وغواص (٤) . وآخرين مقرنين فى الأصفاد (٥) . هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب » (٦) .

« ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ، ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير . يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات » (٧) .

وطلب سليمان من جلسائه أن يأتيه أحدهم بعرش بلقيس ، فقال :

« أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين . قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ، وانى عليه لقوى أمين » (٨) .

---

(١) سورة الجن : ٢٦ ، ٢٧ .

(٣) أصاب : أراد .

(٤) غواص فى البحار لاستخراج اللؤلؤ .

(٥) مربوط بعضهم مع بعض فى السلاسل .

(٦) سورة ص : ٣٦ — ٣٩ .

(٧) سورة سبأ : ١٢ ، ١٣ .   (٨) سورة النمل : ٣٨ ، ٣٩ .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال:

(ان عفريتا من الجن تفلت البارحة ، ليقطع على صلاتى ، فأمكننى الله منه فأخذته ، فأردت أن أربطه الى سارية من سوارى المسـجد حتى تنظروا اليه كلكم ، فذكرت دعـوة أخى سـليمان : « رب هب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى » ، فرددته خاسئا) •

ابليس والشياطين :

ابليس اسم أعجمى ، ولهذا كان ممنوعا من الصرف ، وقيل : انـه عربى مشتق من الابلاس ، وهو اليأس من رحمـة الله ، أو الابعـاد عن الخير • ومنع من الصرف لأنه لا نظير له في الإسماء ، أو لأنه يشبه الأسماء الأعجمية •

وهو أبو الشياطين (١) ، وأصلهم الأول (٢) •

والشياطين هم المتمردون من عالم الجن •

واذا كانت الملائكة هم جنـد الله الذين يمثلون الخيـر والفلاح والصلاح ، فان ابليس ومن معه من الشـياطين هم أعداء اللـه الذين يمثلون الشر والفساد ، فأعمال الملائكة والشياطين على طرفى نقيض •

اذ أن أعمال الملائكة تتجه أول ما تتجه الى عبادة الله ، وترقيـة الحياة ، وتنظيم أمر هذا الوجود ، واقامة معـالم النظام ، وهى تعمل دائما على التأليف والتجميع والتنسيق ، وهداية الانسان الى الحق ، ودعاء الله أن يغفر له سيئاته ويحفظه منها •

أما أعمال الشياطين فهى تتجه دائما الى التمرد على الله ، والى التفريق والتمزيق والتخريب والتدمير ، وقطع ما أمر الله به أن يوصل ،

---

(١) الشياطين : جمع شيطان ، والشيطان كل متمرد من الانس أو الجن أو الحيوان ، والمقصود بهم هنا المتمردون من عالم الجن •

(٢) وهو سيبقى الى يوم القيامة ، فقد طلب انظاره فأجابه الله « انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم » ، وله ذرية : « أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى » سورة الكهف .

ووصل ما أمر الله به أن يقطع فما من شر فى الأرض ، ولا فساد فى الوجود الا ولهم بهصلة .

وهم الذين زينوا للأمم السابقة سوء العمل ، وحسنوا لهم الكفر والمعاصى ، ودعوهم الى تكذيب الرسل ومخالفة أوامر الله ، ولا تزال هذه أعمالهم .

« تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب أليم » (١) .

وعن عياض المجاشعى ، رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ذات يوم فى خطبته :

(ألا ان ربى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم مما علمنى يومى هذا ، كل مال نحلته عبدا حلال (٢) وانى خلقت عبادى حنفاء كلهم (٣) وانهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم (٤) وحرمت عليهم ما أحللت لهم (٥) ، وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا ، وان الله نظر الى أهل الأرض ، فمقتهم عربهم وعجمهم الى بقايا من أهل الكتاب (٦) ، وقال انما بعثتك لأبتليك ، وأبتلى بك (٧) وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظان) (٨) .

فالشياطين هى التى دعت الى تحريف الدين ، والخروج على الفطرة ، والى الاشراك بالله ، وحرمت الحلال ، وأحلت الحرام ، ولاتزال

---

(١) سورة النحل : ٦٣ .

(٢) أى وقال ربى كل مال أعطيته لعبدى من طريق مشروع فهو حلال له كمنحة من ذى سلطان وهدية من بعض الناس وصناعة وزراعة ووظيفة ونحوها فلا تحرموا على ما لم يحرم الله عليكم .

(٣) أى على الفطرة مستعدين لقبول الهداية .

(٤) ذهبت بهم للباطل .

(٥) من الانعام كالبحيرة ونحوها .

(٦) نظر الى أهل الأرض فغضب عليهم غضبا شديدا قبل بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الا فريقا من أهل الكتاب الأول لم يغيروه .

(٧) لابتليك هل تقوم بحق الرسالة أو لا وأبتلى بك الناس هل يؤمنون بك أو يكفرون .

(٨) لا يغسله الماء لأنه ليس فى صحف بل محفوظ فى الصدور يقرأ فى كل حال .

الشياطين تقعد للانسان بكل طريق صادة عن سبيل الله ومحاولة صرفه عن جلائل الأعمال .

ففى حديث سبرة بن فاكه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(ان الشيطان قعد لابن آدم بطرق :

فقعد له بطريق الاسلام فقال أتسلم ، وتترك دينك ودين آبائك ؟ فعصاه ، وأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة ، فقال : أتهاجر ؟ أتدع أرضك وسماءك ؟ فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد ، فقال أتجاهد وهو تلف النفس والمال ، فتقاتل ، فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك ؟ فعصاه وجاهد) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (فمن فعل ذلك ، فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة) .

والشيطان هو الذى قام بدور رئيسى فى القضاء على دعوة الاسلام فى أول صدام له مع أعدائه .

« واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم ، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برىء منكم انى أرى ما لا ترون انى أخاف الله ، والله شديد العقاب » (١) .

وهذا الشيطان هو الذى يزين لكل فرد ما تهفو اليه نفسه ، ويميل اليه هواه من حب للجنس ، أو طمع فى المال ، أو حرص على المنصب ، أو تطلع الى الجاه ، أو ايثار للاستبداد ، أو ميل الى الطغيان ، بل انه ليتسلط على المتدينين أنفسهم ، ليزيدوا فى شرع الله أو ينقصوا منه ليطوعوا الدين لأهوائهم ، ويخضعوه لنزواتهم .

وهو الذى يغرى العداوة والبغضاء بين الناس ، فيفرق بين الأخ وأخيه ، وبين الزوج وزوجه ، وبين طوائف الأمة وجماعاتها .

وهو الذى يوقد نيران الحروب بين الأمم والشعوب ، وينفخ فيها لتهلك الحرث والنسل ، وتأتى على الأخضر واليابس .

---

(١) سورة الأنفال : ٤٨ .

وكلما كان الشيطان أقدر على الشر كان أقرب منزلة وأعلى قدرا لدى رئيسه ابليس لعنه الله •

عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم • قال :

(ان ابليس يضع عرشـــه على الماء ، ثم يبعث سراياه ، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنه •• يجيء احدهم ، فيقــول : فعلت كذا وكذا ، فيقول : ما صنعت شيئا ، ثم يجيء أحدهم فيقول : ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته ، قال : فيدنيه منه ويقول نعم أنت) •

ان الفساد الجنسى ، والفساد الخلقى ، والفســاد الاجتماعى ، والفساد السياسى ، والفساد الاقتصادى ، وكل ما يعانيه الانسان من فتن وويلات انما هو من نتاج ابليس وجنوده الأشرار •

كل انسان معه شيطان (١) :

وكما أمد الله الانســان بملك يهديه ، ويؤيده فانه كذلك يمــده بشيطان يوسوس له ويزين له السوء ، ويغريه بالمنــكر ، ويدعوه الى الفتنة ، يستوى فى ذلك الأنبياء وغيرهم •

« وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا » (٢) •

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : (خرج النبى صلى الله عليــه وسلم من عندى ليلا ، فغرت عليه ، فجاء ، فراى ما أصنع ، فقال مالك يا عائشة أغرت ؟ قلت : ومالى لا يغار مثلى على مثلك ؟ فقال : أقد جاءك شيطانك ؟ قلت : يا رسول الله أو معى شيطان ؟ قال : نعم • قلت : ومع كل انسان شيطان ؟ قال نعم ، قلت : ومعك يا رسول الله ؟ قال : نعم ، ولكن ربى أعاننى عليه حتى أسلم) (٣) •

---

(١) ليس فى العقل ولا فى العلم ما يمنع من روح شرير يحاول اغواء بنى آدم ليبتلوا به فى حياتهم ، والعالم الروحانى عالم واسع ، وقد ثبت وجوده علميا ، وقد مر على البشر قرون وأزمان وهم يجهلون الميكروبات وأثرها فى حياتهم ، ثم اكتشفوها أخيرا ، فهل حينما كانوا يجهلونها كانت غير موجودة ، ان الجهل بالشىء لا يعنى عدم وجوده •

(٢) سورة الأنعام : ١١٢ • (٣) رواه مسلم •

وعن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
(ما منكم من أحد الا وقد وكل به قرين من الجن • قالوا : واياك يا رسول الله ؟ قال : واياى الا أن الله أعاننى عليه ، فأسلم فلا يأمرنى الا بخير) (١) •

الاعراض عن هداية الله يمكن للشيطان :

والشيطان لا يتمكن من نفس الانسان الا اذا أعرض عن هداية الله ، وخرج عن المنهج المرسوم •

فاذا أعرض الانسان عن الطريق المرسوم له عاقبه الله بتمكين الشيطان منه ، فيوجهه وجهة الشر والفساد فى كل قول وفى كل فعل •

« ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين • وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون • حتى اذا جاءنا قال يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين • ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم أنكم فى العذاب مشتركون » (٢) •

ومع التمادى فى الغى والضلال يستحوذ الشيطان على النفس الانسانيه ، ويستولى عليها استيلاء كاملا ، حتى يبلغ الانسان أن يكون جنديا لابليس ، أو عضوا فى جماعة الشياطين •

« استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ، أولئك حزب الشيطان ، ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون » (٣) •

وحين يصل الانسان الى هذا المستوى ، ويهبط الى هذا الدرك يكون قد بلغ النهاية فى الانحطاط الروحى والكفر بذخائر النفس •

وفى هذا الدرك تختل المقاييس ، وتضطرب الموازين ، وتلتبس الحقائق ، ويعلو سلطان الباطل ، وتسود شريعة الغاب ، ويتعادى الناس

---

(١) رواه مسلم •

(٢) سورة الزخرف : ٣٦ ـ ٣٩ •

(٣) سورة المجادلة : ١٩ •

تعادى الحيوانات المفترسة ، ويصبح الانسان وهو أبدع ما أنشأته العناية الالهية أداة من أدوات الشر والفساد ، وعاملا من عوامل الهدم والتخريب •

« ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا » (١) •

بل يصل الانسان الى الحالة التى يتبرأ الشيطان فيها منه •

« كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين » (٢) •

التحذير من عداوة الشيطان :

ان الشيطان يمثل الشر فى الأرض ، ويعمل دائبا على تدمير حياة الانسان بزحزحته عن هداية الله ، وابعاده عن منهج الحق والرشاد •

لهذا حذرنا الله من كيده وأخبرنا بعداوته ، ودعا الى مقاومته بكل وسيلة حتى يضعف سلطانه ، وتخف شروره وآثامه ، فقال :

« ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ، انما يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير » (٣) •

وقص علينا من عداوته لأبينا آدم عليه السلام ما فيه العظة البالغة، فقد استطاع أن يغريه بالأكل من الشجرة ، وأن يخرجه من الجنة بكذبه وخداعه ، وأن يوقعه فى مخالفة أمر الله وارتكاب نهيه ، ثم قال عقب ذلك :

« يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما ، انه يراكم هو وقبيله من حيث لاترونهم، انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون » (٤) •

---

(١) أى تغريهم بالمعاصى اغراء وتزعجهم اليها ازعاجا شديدا • سورة مريم : ٨٣ •

(٢) سورة الحشر : ١٦ •

(٣) سورة فاطر : ٦ •

(٤) سورة الأعراف : ٢٧ •

وتبين للإنسان ما أخذه الشيطان على نفسه منذ خصومته لآدم ، أنه سيقعد على الصراط المستقيم يغوى الناس ويضلهم :

« قال أرأيتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتن الى يوم القيامة لأحتنكن (١) ذريته الا قليلا • قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا • واستفزز(٢) من استطعت منهم بصوتك(٣) وأجلب (٤) عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم ، وما يعدهم الشيطان الا غرورا • ان عبادى ليس لك عليهم سلطان » (٥)•

وفى سورة الأعراف يقول الله تعالى :

« قال فبما أغويتنى لأقعدن لهم صراطك (٦) المستقيم • ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم (٧) ولا تجد اكثرهم شاكرين » (٨) •

وكان حكمه هذا ظنا وقد تحقق :

«ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين» (٩)•

« ان يدعون من دونه الا اناثا (١٠) وان يدعون الا شيطانا مريدا (١١) • لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا (١٢) • ولأضلنهم (١٣) ولأمنينهم ولآمرنهم (١٤) فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم

---

(١) لتصرفن فيهم بالوسوسة • (٢) الاستفزاز : الحث بشدة •
(٣) وسوستك •
(٤) أى صح عليهم بجندك مشاة وراكبين •
(٥) سورة الاسراء : ٦٢ — ٦٥ (٦) أى على الصراط وهو طريق الله •
(٧) أى لا يترك جهة الا هجم عليهم منها •
(٨) سورة الأعراف : ١٦ ، ١٧ • (٩) سورة سبأ : ٢٠ •
(١٠) أصنام ذات أسماء مؤنثة — اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى •
(١١) شديد التمرد والخروج على الطاعة •
(١٢) معينا ومحتما استيلاؤه عليه •
(١٣) أضلنهم عن الحق بالوسوسة •
(١٤) أى أن الشيطان حلف أن يأمر أتباعه بقطع آذان الانعام تعظيما للاصنام وكان الوثنيون يقطعون أذن الناقة ويشقونها اذا ولدت خمس بطون وجاءت فى المرة الخامسة بذكر ، وكان ذلك علامة على أنها ملك للاصنام لا تركب ولا ينتفع بها أحد •

فليغيرن خلق الله (١) ، ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا • يعدهم (٢) ويمنيهم (٣) ، وما يعدهم الشيطان الا غرورا » (٤) •

ويعلمنا أن الشيطان جاد فى القاء خواطر السوء ، ومهتم بتقوية دواعى الشر والباطل فى النفس الانسانية •

« الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء » (٥) •

أى أن الشيطان يوسوس للانسان ، ويلقى فى نفسه بأن الانفاق يذهب بالمال ، ويأمره بالامساك والبخل والحرص على المال ومنع الزكاة •

ومن ثم كان من الواجب الحذر منه ، واتقاء شروره وآثامه •

« ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، انه لكم عدو مبين • انما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا تعلمون » (٦) •

« يأيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ، ومن يتبع خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر » (٧) •

ومن أبلغ ما ذكره القرآن فى الترهيب من متابعة الشيطان ما جاء فى سورة الأنعام •

---

(١) أى يأمرهم بسوء التصرف فيتغير خلق اللهولا سيما الدين الذى هو فطرة •

(٢) يعدهم بالفقر اذا أنفقوا فى سبيل الله وبالغنى اذا غشوا ولعبوا القمار مثلا ونحو ذلك •• ويمنيهم الباطل الذى لا حقيقة له • وما يعدهم فى الحقيقة الا بما يغر ويضر وليس له أصل ولا نفع •

(٣) يشغلهم بالأمانى الباطلة كطول العمر وعدم البعث والجزاء على العمل حتى يغفلوا عن الاستعداد للقاء الله •

(٤) سورة النساء : ١١٧ ــ ١٢٠ • (٥) سورة البقرة : ٢٦٨ •

(٦) سورة البقرة : ١٦٨ ، ١٦٩ • (٧) سورة النور : ٢١ •

« ويوم يحشرهم جميعا ، يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس ، وقال أولياؤهم من الانس ربنـا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنـا الذى أجلت لنا » (١) ·

أى أن الله يقول يوم الحشر للجن : قد استكثرتم من اغـواء الانس ، وقال أتبـاعهم من الانس : ربنا استمتع بعضـنا ببعض أى استمتع الجن بالانس حيث قادوهم ، وأخضعوهم لسلطانهم ، فـكانت لهم لذة السيطرة ومتعـة الرياسة واستمتع الانس بالجن حيث زينـوا لهم الشهوات أو دلوهم عليها ، واستمر هذا الاستمتاع حتى بلغـوا الأجل المقدر لهم ·

وفى مشهد من مشاهد القيامة يميز الله فيه المجرمين ، ويوجه اليهم الخطاب ناعيا عليهم طاعتهم للشيطان وعبادتهم له ·

« وامتازوا (٢) اليوم أيها المجرمون · ألم أعهد (٣) اليكم يا بنى آدم ألا تعبـدوا (٤) الشيطان ، انه لكم عدو مبين · وأن اعبدونى ، هذا صراط مستقيم · ولقد أضل منكم جبلا (٥) كثيرا ، أفلم تـكونوا تعقلون » (٦) ·

وفى مشهد آخر من مشاهد القيامة يخطب الشيطان فى أتباعه موقعا اللوم عليهم فى ضلالهم ومتابعتهم له ·

« وقال الشيطان لما قضى الأمر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم ، وما كان لى عليكم من سـلطان الا أن دعوتكم فاسـتجبتم لى ، فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ، ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى ، انى كفرت بما أشركتمون من قبل ، ان الظالمين لهم عذاب أليم » (٧) ·

قال ابن كثير : يخبر الله تعالى عما خاطب به ابليس أتباعه بعـد ما قضى الله بين عباده ، فأدخل المؤمنين الجنـات ، وأسكن الـكافرين

---

(١) سورة الأنعام : ١٢٨ · (٢) انفـردوا ·
(٣) العهد : الوصية ·
(٤) عبادة الشيطان طاعته والاستجابة له ·
(٥) جبلا : أقواما · (٦) سورة يس : ٥٩ — ٦٢ ·
(٧) سورة ابراهيم : ٢٢ ·

الدركات ، فقام فيهم ابليس لعنه الله يومئذ خطيبا ، ليزيدهم حزنا الى حزنهم ، وغما الى غمهم ، وحسرة الى حسرتهم ، فقال : **« ان الله وعدكم وعد الحق »** على ألسنة رسله ، ووعدكم فى اتباعهم النجاة والسلامة ، وكان وعدا حقا وخيرا صدقا ، وأما أنا فوعدتكم فأخلفتكم ، كما قال الله تعالى **« يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا »** (١) .

ثم قال : « وما كان لى عليكم من سلطان » .

أى ما كان لى عليكم فيما دعوتكم اليه دليل ، ولا حجة فيما وعدتكم به الا أن دعوتكم ، فاستجبتم لى بمجرد ذلك ، هذا وقد أقامت عليكم الرسل الحجج والأدلة الصحيحة على صدق ما جاءوكم به ، فخالفتموهم فصرتم الى ما أنتم فيه **« فلا تلومونى »** اليوم **« ولوموا أنفسكم »** فان الذنب لكم لكونكم خالفتم الحجج ، واتبعتمونى بمجرد ما دعوتكم الى الباطل **« ما أنا بمصرخكم »** بنافعكم ومنقذكم ومخلصكم مما أنتم فيه ، **« وما أنتم بمصرخى »** بنافعى بانقاذى مما أنا فيه من العذاب والنكال **« انى كفرت بما أشركتمون من قبل »** قال قتادة : أى بسبب ما أشركتمونى من قبل ، وقال ابن جرير : يقول انى جحدت أن أكون شريكا لله عز وجل .. وهذا الذى قاله هو الراجح .. وحين يقف الانسان وقرينه أمام الله فى الآخرة يقول الانسان : يا رب هذا أضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى ، فيقول شيطانه الذى وكل به : **« ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد »** (٢) فيقول الله :

« لا تختصموا لدى (٣) وقد قدمت اليكم بالوعيد . ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد » (٤) .

لا سلطان للشيطان على المؤمن :

والايمان يفيض على النفس اشراقا ، ويملأ القلوب نورا ، واذا أشرقت النفس واستنار القلب انمحى كل ما يوسوس به الشيطان .

---

(١) سورة النساء : ١٢٠ . (٢) سورة ق : ٢٧ .

(٣) أى لا تختصموا عندى فقد أعذرت اليكم على ألسنة الرسل وأنزلت اليكم الكتاب وقامت عليكم الحجج والبراهين .

(٤) سورة ق : ٢٨ ، ٢٩ .

« فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم . انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون »[١] .

واذا ألم بالقلب الموصول بالله من مس الشيطان شيء فسرعان ما يستيقظ :

« ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » [٢] .

وقد استطاع الشيطان أن يغرى آدم بالأكل من الشجرة ، وأن يوقعه فيما حظره الله عليه ، وأن يحرك فى نفسه بواعث الهوى ودواعى الشر اغراء وخداعا ..

« وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين . فدلاهما بغرور ، فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين »[٣] .

الا أن نوازع الخير ودواعيه تيقظت فى قلب آدم وحواء ، وعلما أنه خدعهما بهما ، فتغلبت هذه النوازع والدواعى على وسوسة الشيطان وحظه من النفس ، فتابا الى الله ، وأنابا قائلين :

---

(١) سورة النحل : ٩٨ ـ ١٠٠ ، ففى الآية الأولى نفى سلطانه على المؤمنين المتوكلين ، وفى الثانية أثبت سلطانه على من تولاه وعلى أهل الشرك .. والمقصود بالسلطان الطريق الذى يتسلط به على الغير بالاغواء والاضلال .

(٢) سورة الأعراف : ٢٠١ .　　(٣) سورة الأعراف : ٢٠ ـ ٢٢ .

« ربنـــا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفـــر لنا وترحمنا لنــكونن من الخاسرين » (١) .

فقبل الله توبتهما واستجاب دعاءهما :

« فتلقى آدم من ربه كلمات فتـــاب عليـــه ، انه هـــو التـــواب الرحيم » (٢) .

« وعصى آدم ربه فغــوى . ثم اجتباه ربـــه فتـــاب عليـــــه وهـــــدى » (٣) .

وبالتوبة والانابة الى الله تغلب جانب الخير على جانب الشر ، ومتى تغلب جانب الخير على جانب الشر فى نفس الانسان تعرض لهداية الله ، وكان أهلا للاجتباء والاصطفاء .

والله لم يذكر لنا هذه القصة الا لتكون مثلا حيا لما ينبغى أن يكون عليه الانسان ، فالانسان لم يخلق ملكا منزها عن النقائص ، وانما خلق وعنده استعداد للبر والاثم ، والصواب والخطأ ، والخير والشر ، والطاعة والمعصية ، والتقوى والفجور .

« ونفس وماسواها . فألهمها فجورها وتقواها » (٤) .

والانســـان بمقتضى خلافته عن الله في الأرض مكلف بأن ينمى فى نفســـه معانى البر والصواب والخير والطاعة والتقوى ، وأن يقاوم نوازع الاثم والخطأ والشر والفجـــور حتى يبلغ الكمال الروحى الذى أراده الله له .

وفى هذه المعركة يتدخل الشيطان ، ليصرف الانسان عن تنمية قواه العليا من جانب ، وليضعف من روح المقاومة بطريق الخداع والاغراء والتزين من جانب آخر .

ومن ثم كان واجبا على الانســـان أن يحـــذر مكايد الشـــيطان ويعرف أساليبه التى يتخذها ، ليصرف الانسان عن وظيفته الأولى فى هـــذه الحياة .

---

(١) سورة الأعراف : ٢٣ .
(٢) سورة البقرة : ٣٧ .
(٣) سورة طه : ١٢١ ، ١٢٢ .
(٤) سورة الشمس : ٧ ، ٨ .

فاذا زلت به قدم ، أو تورط فى الاثم ، أو جانبه صواب ، أو مارس شرا ، أو اقترف معصية ، أو ارتكب فجورا ، فأمامه السبيل الذى رسمه له أبوه آدم من التوبة ، واستئناف حياة أزكى وأطهر •

وبهذا يخلص الانسان من سلطان الشيطان وسيطرته عليه •

مقاومة الشيطان :

ان الله لم يذكر فى القرآن النفس الأمارة بالسوء ، ولا النفس اللوامة الا مرة واحدة ، ولكنه ذكر الشيطان وكرر التحذير منه فى صور متنوعة ، وما فعل ذلك الا ليكون الانسان منه على حذر ، كى لا يضل ، ولا يشقى ، ذلك أن عمل الشيطان فى النفس مثل عمل الميكروب فى الجسم ، والميكروب ينتهز فرصة ضعف الجسم فيهجم عليه محاولا القضاء عليه والفتك به ، ولا خلاص للجسم من عمل الميكروب الا اذا كانت له حصانة ، وفيه مناعة تبطل عمل الميكروب ، وتقضى على ضراوته •

وكذلك الشيطان ينتهز فرصة ضعف النفس ومرضها ، فيهجم عليها محاولا افسادها •

ولا خلاص منه الا اذا صحت النفس من أمراضها ، التى هى المداخل الحقيقية للشيطان ووسوسته •

وأمراض النفس التى هى مداخل الشيطان هى نقائص الانسان التى يجب عليه أن يتخلص منها حتى لا يكون للشيطان سبيل عليه ، وهذه الأمراض أو هذه النقائص هى على سبيل المثال لا الحصر (١) : الضعف ، واليأس ، والقنوط ، والبطر ، والفرح ، والعجب ، والفخر ، والظلم ، والبغى ، والجحود ، والكنود ، والعجلة ، والطيش ، والسفه ، والبخل ، والشح ، والحرص ، والجدل ، والمراء ، والشك ، والريبة ، والجهل ، والغفلة ، واللدد فى الخصومة ، والغرور ، والادعاء الكاذب ، والهلع ، والجزع ، والمنع ، والتمرد ، والعناد ، والطغيان ، وتجاوز الحدود ،

---

(١) يراجع كتابنا : عناصر القوة •

وحب المـــال ، والافتتان بالدنيا ، فهذه هى أمراض النفس ، وبواسطتها يتدخل الشيطان ليدمر حياة الانسان ، وليزحزحه عن فضائله العليـــا ، ولا سبيل الى طرده ومعالجة وسوسته واغرائه الا اذا عولجت النفس أولا عن طريق المجاهدة حتى تبرأ من هذه الأمراض جميعها ، وتعود اليها الصحة والعافية ، وتكون نفسا مطمئنة بالحق والخير .

وحينئذ يكون ذكر الله ، والاستعاذة به من الشيطان ، والتبرى من الحول والقوة ، واسلام الوجه لقيوم السموات والأرض مما يقوى من معنويات الانسان ويرفع من مستواه الروحى ، حتى يصل الانسان الى درجة يخاف فيها الشيطان من أن يلقاه فى طريق من الطرق . كما حدث لعمر بن الخطاب رضى الله عنه .

روى البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمر: (يا ابن الخطاب ما لقيك الشـــيطان سالكا فجا الا سلك فجا غيـــر فجك) (١) .

ان سعادة الانسان لا تتم الا بكبح جماح النفس ، والتغلب على هواها باتباع وحى الله ، ومحاربة نزعات الشيطان .

« وقل رب أعوذ بك من همـــزات الشياطين . وأعوذ بك رب أن يحضرون » (٢) .

« قل أعوذ برب النـــاس . ملك النـــاس . اله الناس . من شر الوســـواس الخنـــاس . الذى يوسوس فى صـــدور الناس . من الجنة والنـــاس » (٣) .

حكمة خلق ابليس :

وقد يقال لم خلق الله ابليس يوسوس بالشر ، ويدعو الى محادة الله ومحاربة تعاليمه ، وقد أجاب عن ذلك بعض العلماء فقال :

(١) فجا : طريقا .
(٢) سورة المؤمنون : ٩٧ ، ٩٨ .
(٣) سورة الناس .

انه يظهر للعباد قدرة الله تعالى على خلق المتضادات المتقابلات . فخلق هذه الذات التى هى أخبث الذوات وسبب كل شر ، فى مقابلة ذات جبريل التى هى من اشرف الذوات واطهرها وازكاها . وهى سبب كل خير ، فتبارك الله خلق هذا وهذا . كما ظهرت قدرته فى خلق الليل والنهار ، والدواء والداء ، والحياة والموت ، والحسن والقبيح ، والخير والشر ، وذلك من أدل دليل على كمال قدرته وعزته وملكه وسلطانه ، فانه خلق هذه المتضادات . وقابل بعضها ببعض وجعلها مجال تصرفه وتدبيره . فخلو العالم عن بعضها بالكلية تعطيل لحكمته وكمال تصرفه وتدبير مملكته .

ومنها ظهور آثار أسمائه القهرية : مثل القهار . والمنتقم . والعدل. والضار والشديد العقاب . والسريع الحساب . وذى البطش الشديد . والخافض . والرافع . والمعز . والمذل . وأن هذه الأسماء والأفعال كمالات لابد من وجود متعلقها . ولو كان الجن والانس على طبيعة الملائكة لم يظهر أثر هذه الأسماء .

ومنها ظهور آثار أسمائه المتضمنة كلاه ، وعفوه ، ومغفرته ، وستره ، وتجاوزه عن حقه وعتقه لمن شاء من عبيده ، فلولا خلق ما يكرهه من الأسباب المفضية الى ظهور آثار هذه الأشياء لتعطلت هذه الحكم والفوائد . وقد أشار النبى صلى الله عليه وسلم الى هذا بقوله :

(لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم) (١) .

ومنها ظهور آثار أسماء الحكمة والخبرة ، فانه الحكيم الخبير الذى يضع الأشياء مواضعها ، وينزلها منازلها اللائقة بها ، فلا يضع الشىء فى غير موضعه ، ولا ينزله فى غير منزلته التى يقتضيها كمال علمه ، وتمام حكمته ، فهو أعلم حيث يجعل رسالاته ، وأعلم بمن يصلح لقبولها،

---

(١) رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه .

ويشكر له جميل صنعه ، وأعلم بمن لا يصلح لذلك ؛ فلو قرر عـــدم الأسباب المكروهة لتعطلت حكم كثيرة ، ولفاتت مصـالح عديدة ، ولو عطلت تلك الأسباب لمـا فيها من الشر لتعطل الخير الذى هو أعظم من الشر الذى فى تلك الأسباب ، وهذا كالشمس والمطر والرياح التى فيها من المصالح ما هو أضعاف أضعاف ما يحصل بها من الشر •

ومنها حصول الطاعات المتنوعة التى لولا خلق ابليس لما حصلت ، فان طاعة الجهاد من أحب أنواع الطـاعات ، ولو كان النـاس كلهم مؤمنين لتعطلت هـذه الطاعة وتوابعها من الموالاة لله تعالى والمعاداة فيه ، وطاعة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ومخالفة الهوى وايثـار محاب الله تعالى ، والتوبة ، والاستغفار ، والصبر ، والاستعاذة بالله أن يجيره من عدوه ، ويعصمه من كيده وأذاه ، الى غير ذلك من الحكم التى تعجز العقول عن ادراكها •

الكتب السماوية

* الكتب المدونة
* القرآن الكريم آخر الكتب
* تحريف التوراة
* تحريف الانجيل
* تصديق القرآن للكتب السابقة
* الطريق الى الحقيقة

ان لله سبحانه تعاليم ووصايا ، أوحاها الى رسله وأنبيائه :

منها ما دون فى كتب ، ومنها ما لا علم لنا به . فلكل نبى رسالة بلغها قومه :

« كان الناس أمة واحدة ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه » (١) .

« فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير » (٢) .

والكتب المدونة هى :

التوراة التى نزلت على موسى .

« انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور ، يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء » (٣) .

« وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شىء ، قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس ، تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا » (٤) .

والانجيل الذى نزل على عيسى .

« وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة ، وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين » (٥) .

والزبور الذى نزل على داوود .

« وآتينا داوود زبورا » (٦) .

---

(١) سورة البقرة : ٢١٣ .
(٢) سورة آل عمران : ١٨٤ .
(٣) سورة المائدة : ٤٤ .
(٤) سورة الأنعام : ٩١ .
(٥) سورة المائدة : ٤٦ .
(٦) سورة الاسراء : ٥٥ .

ومنها صحف ابراهيم وموسى •

« أم لم ينبأ بما فى صحف موسى • وابراهيم الذى وفى • ألا تزر وازرة وزر أخرى •وأن ليس للانسان الا ما سعى • وأن سعيه سوف يرى • ثم يجزاه الجزاء الأوفى • وأن الى ربك المنتهى » (١) •

« قد أفلح من تزكى • وذكر اسم ربه فصلى • بل تؤثرون الحياة الدنيا • والآخرة خير وأبقى • ان هذا لفى الصحف الأولى • صحف ابراهيم وموسى » (٢) •

عن أبى ذر رضى الله عنه قال : (قلت : يا رسول الله ما كانت صحف ابراهيم ؟ قال : كانت أمثالا كلها :

(أيها الملك المسلط (٣) المبتلى (٤) المغرور (٥) انى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ، ولكنى بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم ، فانى لا أردها وان كانت من كافر •

وعلى العاقل ما لم يكن مغلوبا على عقله — أن يكون ساعات :

فساعة يناجى (٦) فيها ربه •

وساعة يحاسب فيها نفسه •

وساعة يتفكر فيها فى صنع الله عز وجل •

وساعة يخلو فيها لحاجته من المطعم والمشرب •

وعلى العاقل ألا يكون ظاعنا (٧) الا لثلاث :

تزود لمعاد (٨) أو لمعاش (٩) •

أو لذة فى غير محرم •

---

(١) سورة النجم : ٣٦ — ٤٢ • (٢) سورة الأعلى : ١٤ — ١٩ •

(٣) المسلط : صاحب السلطان النافذ •

(٤) المبتلى ، المختبر بالحكم •

(٥) المغرور ، الناسى حقوق الله الذى أصابته الغفلة •

(٦) يناجى : يدعو ربه • (٧) ظاعنا : مرتحلا •

(٨) عمل صالح للآخرة • (٩) سعى لعيشه •

وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه ، مقبـــلا على شأنه ، حافظا للســـانه •

ومن حسب كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه (١) •

قلت يا رسول الله :

فما كانت صحف موسى عليه السلام ؟

قال : كانت عبرا (٢) كلها :

(عجبت لمن أيقن بالموت ثم هو يفرح •

عجبت لمن أيقن بالنار ، ثم هو يضحك •

عجبت لمن أيقن بالقدر ، ثم هو ينصب (٣) •

عجبت لمن رأى الدنيا وتقبلها بأهلها ، ثم اطمأن اليها •

عجبت لمن أيقن بالحساب غدا ، ثم لا يعمل) •

قلت : يا رسول الله • أوصنى ••

قال : أوصيك بتقوى الله ، فانها رأس الأمر كله •

قلت : يا رسول الله • أوصنى ••

قال : عليك بتلاوة القرآن ، وذكر الله عز وجل ، فانه نور لك فى الأرض ، وذخر لك فى السماء •

قلت : يا رسول الله زدنى •

قال : اياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب (٤) ، ويذهب بنـــور الوجـــه •

---

(١) يعنيه : يفيده • (٢) عبرا : عظات •
(٣) ينصب : يتعب • (٤) فلا يتأثر بالمواعظ •

قلت : يا رسول الله زدنى •

قال : عليك بالجهاد فانه رهبانية (١) أمتى •

قلت : يا رسول الله زدنى •

قال : أحب المساكين وجالسهم •

قلت : يا رسول الله زدنى •

قال : انظر الى من هو تحتك ، ولا تنظر الى ما هو فوقك ، فانه أجدر أن لاتزدرى نعمة الله عنك •

قلت : يا رسول الله زدنى •

قال : قل الحق وان كان مرا •

قلت : يا رسول الله زدنى •

قال : ليردك عن الناس ما تعلمه من نفسك ، ولا تجد عليهم فيما تأتى ، وكفى بك عيباأن تعرف من الناس ما تجهله من نفسك ، وتجد عليهم فيما تأتى •

ثم ضرب بيده على صدرى •

فقال : يا أبا ذر لا عقل كالتدبير ، ولا ورع كالكف ، ولا حسب (٢) كحسن الخلق) (٣) •

والقرآن الكريم وهو آخر الكتب السماوية نزولا :

« الله لا اله إلا هو الحى القيوم • نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل • من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان » (٤) •

---

(١) انقطاع الى طاعة الله وتبتل •
(٢) شرف •
(٣) رواه ابن حبان فى صحيحه واللفظ له والحاكم وقال صحيح الاسناد •
(٤) سورة آل عمران : ٢ — ٤ •

مزايا القـــرآن :

وللقرآن الكريم مزايا تميز بها عن الكتب الســماوية التى تقدمته وهى :

١ — أنه تضمن خلاصة التعاليم الالهية التى تضمنتها التوراة والانجيل وسائر ما أنزل الله من وصايا ، وأنه مؤيد للحق الذى جاء بها : من عبادة الله وحده والايمان برسله ، والتصديق بالجزاء ، ووجوب اقامة الحق ، والتخلق بمكارم الأخلاق .

« وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الـكتاب (١) ومهيمنا عليه ، فاحكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ، لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » (٢) .

أى أن الله أنزل القرآن الكريم على النبى مقترنا بالحق فى كل ما جاء به ، ومصدقا لما تقدمه من الكتب الالهية التى أنزلها اللــه على الأنبياء السابقين ، ورقيبا عليها ، يقر ما فيها من حق ، ويبين ما دخل عليها من تحريف وتصحيف ، ثم يأمر الله نبيه أن يحكم بين النــاس : مسلمين وكتابيين بما أنزل الله فى القرآن متجنبا أهواءهم .

وأنه ســبحانه جعل لكل أمة شريعــة وطريقة فى الأحكام العملية تناسب استعدادها . أما أصول العقــائد والعبــادات والآداب والحلال والحرام وما لا يختلف باختلاف الــزمان والمــكان فانها واحــدة فى الأديان كلها .

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينــا اليك وما وصينــا به ابراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيــموا الدين ولا تتفرقــوا فيـــه » (٣) .

---

(١) المقصود من الكتاب هنا الجنس فيشمل التوراة والانجيل .

(٢) سورة المـائدة : ٤٨ .

(٣) سورة الشورى : ١٣ .

ثم نسخت الأحكام العملية السابقة بالشريعة الاسلامية ، والأحكام النهائية الخالدة الصالحة لكل زمان ومكان •

وأصبحت العقيدة واحدة ، والشريعة واحدة للناس جميعا •

٢ ــ وتعاليم القرآن هى كلمة الله الأخيرة لهداية البشر أراد الله لها أن تبقى على الدهر ، وتخلد على الزمن ، فصانها من أن تمتد اليها يد بالتحريف ، أوالتصحيف ، أو التغيير ، أو التبديل •

« وانه لكتاب عزيز • لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » (١) •

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (٢) •

والغاية من ذلك أن تبقى حجة الله على الناس قائمة حتى يرث الله الأرض ومن عليها •

٣ ــ وهذا القرآن الذى أراد الله له الخلود لا يتصور أن يأتى يوم يصل فيه العلم الى حقيقة ما تتعارض مع أى حقيقة من حقائقه ، فالقرآن كلام الله والكون عمل الله ، وكلام الله وعمله لا يتناقضان أبدا ، بل يصدق أحدهما الآخر ، ومن ثم فقد جاءت الحقائق العلمية مصدقة لما سبق به الكتاب ، تحقيقا لقوله سبحانه :

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » (٣) •

٤ ــ والله يريد لكلمته أن تذاع ، وتصل الى العقول والأسماع ، وتتحول الى واقع عملى ، ولا يتم ذلك الا اذا كانت ميسرة للذكر والحفظ والفهم ، ولهذا جاء القرآن سهلا ليس فيه ما يشق على الناس فهمه ، أو يصعب عليهم العمل به •

« ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » (٤) •

ومن تيسيره أن حفظه الرجال والنساء والصغار والكبار والأغنياء

---

(١) سورة فصلت : ٤١ ، ٤٢ • (٢) سورة الحجر : ٩ •
(٣) سورة فصلت : ٥٣ • (٤) سورة القمر : ١٧ •

والفقراء يرددونه فى البيوت والمساجد ، ولا تزال أصوات القراء تدوى به فى كل ناحية ، ولا نعلم أن كتابا من الكتب غير القــرآن نال من هذه الميزة بعض مااختص به القرآن الكريم •

والقرآن بهذا لا يساميه أو يقاربه كتاب آخر فى تأثيره وهدايته ، ولا فى موضوعه وسمو أغراضه • ومن ثم كان خير الكتب وأفضلها على الاطــلاق •

تحــريف التــوراة :

ان الايمان بالتوراة التى نزلت علي موسى ، ركن من أركان الايمان، وقد أخبر الله أن فيها هدى ونورا وأثنى عليها بقوله :

« ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين » (١)•

الا أن هذه التوراة التى نزلت على موسى عليه السلام غير موجودة بالمرة ، كما هو مسلم من الجميع •

أما التوراة المتداولة الآن فقد قام بكتابتها أكثــر من كاتب ، وفى أزمان مختلفة •

وقد دخلها التحريف ، يقول المرحوم الأســتاذ الكبير محمــد فريد وجدى :

(ومن أدلة التحريف الحسية أن التوراة المتداولة لدى النصارى تخالف التوراة المتداولة عند اليهود) انتهى •

وقد أثبت القرآن هذا التحريف ، ونعى على اليهود التغيير والتبديل الذى أدخلوه على التوراة •

« أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » (٢) •

فهم تجرءوا على كتاب الله ، فحرفوه ليخفوا ما فيه من الحق ، ونسوا قدرا مما ذكرهم الله به فى التوراة •

---

(١) سورة الأنبياء : ٤٨ •

(٢) سورة البقرة : ٧٥ •

فالذى عندهم من التوراة الصحيحة هو بعضها فقط .

« من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه » (١) .

وأول دليل على صحة نقد القرآن للتوراة المتداولة ، وأنها ليست كلها هى توراة موسى ، التى جعلها الله نورا وهدى ، ما جاء فى التوراة من وصف الله بما لايليق بجلاله وكماله ، ففى سفر التكوين (٣ : ٢٣ : وقال الرب الاله هو ذا الانسان قد صار كواحد منا عارفا بالخير والشر) .

وفيه (٦ : ٦ : فحزن الرب أنه عمل الانسان وتأسف فى قلبه) .

فهل يعقل أن هذا من كلام الله ، وهل يصح أن ينسب اليه الحزن والأسف على شىء عمله .

وكذلك ما جاء فيها مما يمس شرف الأنبياء ويتنافى مع ما لهم من عصمة ومكانة رفيعة وخلق متين ، فقالوا عن ابراهيم : انه كذاب ، وأن لوطا زنا بابنتيه وهرون دعا الاسرائيليين الى عبادة العجل ، وداوود زنا بزوجة أوريا ، وسليمان عبد الأصنام ارضاء لزوجته .

فهل ثمة دليل على التجريف أقوى من هذا ، لقد اضطر النقاد من مصلحى اليهود أنفسهم الى الاعتراف بهذه الحقيقة : وأن التوراة قد حرفت وقد أورد مذهبهم حاخام باريس أجوليان ويل فى كتابه (اليهودية) .

تحريف الانجيل :

والانجيل الذى نزل على عيسى عليه السلام هو مثل التوراة التى نزلت على موسى ، كلاهما كلام الله ، وفيهما هدى ونور الا أن الانجيل قد لحقه ما لحق التوراة من التحريف :

« ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة ، وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون . يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير » (٢) .

---

(١) سورة النساء : ٤٦ . (٢) سورة المائدة : ١٤ ، ١٥ .

ويكفى لصحة التدليل على التحريف فى الأناجيل المتداولة بأيدى النصارى الان ، أنها أربعة اختيرت من نحو سبعين انجيلا ، وهذه الأناجيل تناولت الكتابة عن سيرة سيدنا عيسى عليه السلام • ومؤلفوها معروفون ، وأسماؤهم مكتوبة عليها وقد قرر نقاد المسيحيين أنفسهم أن عقائد الأناجيل هى من رأس بولس دون سائر الحواريين ودون أقرب الأقربين الى عيسى •

وقد وجد فى مكتبة أمير من الأمراء فى باريس نسخة من انجيل برنابا وقد طبعته مطبعة المنار بعد ترجمته الى العربية ، وهو يخالف الأناجيل الأربعة مخالفة كبيرة •

معنى تصديق القرآن للكتب السابقة :

واذا كان التحريف فى للتوراة والانجيل ثابتا ثبوتا حقيقيا لا ريب فيه بنص القرآن من جهة ، وبالأدلة الحسية من جهة أخرى ، فما معنى أن القرآن جاء مصدقا لما تقدمه من الكتب الالهية ؟

معنى ذلك أن القرآن جاء مؤيدا للحق الذى ورد فيها كما سبقت اليه الاشارة من عبادة الله وحده والايمان برسله ، والتصديق بالجزاء ، ورعاية الحق والعدل ، والتخلق بالأخلاق الصالحة • وهو فى الوقت ذاته مهيمنا عليها ومبينا ما وقع فيها من أخطاء وأغلاط ، وتحريف وتصحيف ، وتغيير وتبديل •

واذا انتفت هذه الأخطاء التى أدخلها رجال الدين على الكتب السماوية ، وزوروها على الناس باسم الله ظهر الحق ، واستبان ، والتقى القرآن مع التوراة والانجيل •

« قل يا أهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم »(١) •

واقامتهما لا تتحقق الا بعد تطهيرهما من الزيف •

---

(١) سورة المائدة : ٦٨ •

الطريق الى الحقيقة :

ان من يبتغى الحق • ويريد الوصـــول الى التعـاليم الالهية الصحيحة ، لا يجد أمامه غير القرآن الكريم ، فهو الكتاب الذى حفظت أصوله ، وسلمت تعاليمه ، وتلقته الأمة عن محمد عن جبريل ، عن الله ، الأمر الذى لم يتوفر لكتاب مثله • وأنه الجامع لأسمى المبادىء ، وأقوم المناهج وخير النظم ، والحافل بكل ما يحتاج اليه البشر من حيث العقائد والعبادات ، والآداب ، والمعاملات ، والنظم ، وأنه الكفيل بخلق الفرد الكامل • والأسرة الفاضلة ، والمجتمع الصالح ، والحكومة العـــادلة ، والكيان القوى الذى يقيم الحق والعدل ، ويرفع الظلم ، ويدفع العدوان ، وأنه الوسيلة الوحيدة لتحقيق الخلافة ووراثة الأرض •

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين • يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النـــور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم »(١) •

---

(١) سورة المـائدة : ١٥، ١٦ •

الرُّسُل

* لكل أمة رسول
* الرسول بشر
* الرسول رجل
* الغرض من بعثة الرسل
* عصمة الأنبياء
* ما نسب الى الرسل
* أولوا العزم من الرسل
* ختم النبوة والرسالة
* الأعمال الكبرى التى قام بها الرسول
* دلائل صدقه
* التبشير بظهوره
* آيات الرسل
* الفرق بين آيات الرسل وغيرها من الخوارق
* الفرق بين المعجزة والكرامة
* معجزة خاتم الأنبياء

أوجب الله على المسلم أن يؤمن بجميع رسل الله دون تفريق بينهم ، فقال سبحانه :

« قولوا آمنا بالله ، وما أنزل الينا ، وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون(١) من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون »(٢) ٠

وبين أن هذا هو ايمان المؤمنين ، فقال سبحانه :

« آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير »(٣) ٠

وأخبر أن البر فى هذا الايمان فقال :

« ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين » (٤) ٠

واذا آمن الانسان ببعض الرسل ، ولم يؤمن بالبعض الآخر ، وفرق بينهم فى الايمان فهو كافر : قال سبحانه :

« ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ٠ أولئكهم الكافرون حقا » (٥) ٠

وهؤلاء الرسل منهم من قصه الله علينا فذكرهم بأسمائهم ، ومنهم من لم يقصصه علينا قال سبحانه :

---

(١) النبى هو من أوحى اليه بشريعة ليعمل بها فى نفسه ، والرسول هو من أوحى اليه بشريعة ليعمل بها فى نفسه وليبلغها غيره ٠

(٢) سورة البقرة : ١٣٦ ٠ (٣) سورة البقرة : ٢٨٥ ٠

(٤) سورة البقرة : ١٧٧ ٠ (٥) سورة النساء : ١٥٠ ، ١٥١ ٠

« ورســلا قد قصصناهم عليــك من قبل ورســلا لم نقصصهم عليك »(١) ٠

اما الذين قصهم الله علينــا فعــددهم خمسة وعشرون ٠ وهــم المذكورون فى قوله :

« وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء ، ان ربك حكيم عليم ٠ ووهبنا له اسحاق ويعقوب ، كلا هدينا ، ونوحا هدينــا من قبل ومن ذريته داوود وســليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون ، وكذلك نجزى المحســنين ٠ وزكريا ويحيى وعيسى واليــاس ، كل من الصالحين ٠ واسماعيل واليسع ويونس ولوطا ، وكلا فضلنا على العالمين »(٢) ٠

وقد جمعت هذه الآيات ثمانية عشر رسولا ، ويجب الايمان بسبعة آخرين مذكورين فى عدة آيات :

« ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهــيم وآل عمــران على العــالمين »(٣) ٠

« والى عاد أخاهم هودا »(٤) ٠

« والى ثمود أخاهم صالحا »(٥) ٠

« والى مدين أخاهم شعيبا »(٦) ٠

« واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين ٠ وأدخلناهم فى رحمتنا انهم من الصالحين »(٧) ٠

« ما كان محمــد أبا أحد من رجالكم ولكن رســول الله وخاتم النبيــن » (٨) ٠

وقد ورد أن عدد الأنبياء (١٢٤) ٠

---

(١) سورة النساء : ١٦٤ ٠ (٢) سورة الأنعام : ٨٣ ـ ٨٦ ٠
(٣) سورة آل عمران : ٣٣ ٠ (٤) سورة الأعراف : ٦٥ ٠
(٥) سورة هود : ٦١ ٠ (٦) سورة هود : ٨٤ ٠
(٧) سورة الأنبياء : ٨٥ ، ٨٦ ٠ (٨) سورة الأحزاب : ٤٠ ٠

لم تخــل أمــة من رســول :

وهؤلاء الرسل أرسلهم الله الى الأمم فى جميع العصور المتطاولة ، فلم تخل أمة من رسول يدعوها الى الله ، ويرشدها الى الحق • يقول الله سبحانه :

« تالله لقد أرسلنا الى أمم من قبلك » (١) •

« وان من أمة الا خلا فيها نذير » (٢) •

« ولكل أمة رسول » (٣) •

« ولكل قوم هاد » (٤) •

والرسول من نفس الأمة :

والرسول بشر من نفس الأمة ، وان كان من معدن كريم خصه الله بمواهب عقلية وروحية ليستعد لتلقى الوحى عن الله •

« الله أعلم حيث يجعل رسالته » (٥) •

« الله يصطفى من الملائكة رســلا ومن الناس ، ان الله ســميع بصيــر » (٦) •

وانما خص الله الرســول بمزايا وفضائل ليقوى على الاضطلاع بأعباء الرسالة ، وليكون مثالا يقتضى به فى أمور الدين والدنيا ، ولو لم يتميز رسل الله بهذه الخصائص العقلية والروحية بأن انحطت فطــرهم أو ضعفت عقولهم لمــا كانوا أهلا لحمل هداية الله الى الناس •

والرسول رجل يأكل الطعام :

والرســول رجل يأكل الطعام ويمشى فى الأســواق ، يقول الله سبحانه :

---

(١) سورة النحل : ٦٣ • (٢) سورة فاطر : ٢٤ •
(٣) سورة يونس : ٤٧ • (٤) سورة الرعد : ٧ •
(٥) سورة الأنعام : ١٢٤ • (٦) سورة الحج : ٧٥ •

« وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق »(١) ٠

والرســول يتزوج :

والرسول يتزوج ويولد له كغيره من البشر :

« ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية »(٢) ٠

والرســول يتعرض لمــا يتعرض له غيره من البشر :

والرسول يتعرض لمــا يتعرض له غيره من الصحة والمرض ، والقوة والضعف ، واللذة والألم ، والحياة والموت ، الا أن ما ينزل به لا يعرضه لتنفير الناس منه ٠

« وأيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين ، فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين » (٣) ٠

« وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا »(٤) ٠

والرسول أى رسول لا يتصرف فى الكون ، ولايملك النفع أو الضر ، ولا يؤثر فى ارادة الله ، ولا يعلم من الغيب الا القدر الذى أراده الله له ٠

« قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ، ان أنا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون » (٥)٠

« عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ٭ الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ٠ ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شىء عددا » (٦) ٠

---

(١) سورة الفرقان : ٢٠ ٠
(٢) سورة الرعد : ٣٨ ٠
(٣) سورة الأنبياء : ٨٣ ، ٨٤ ٠
(٤) سورة آل عمران : ١٤٤ ٠
(٥) سورة الأعراف : ١٨٨ ٠
(٦) سورة الجن : ٢٦ ــ ٢٨ ٠

الرسول رجل :

ولا يكون الرسول الارجلا ، فلم يرسل الله ملكا ، ولا أنثى :

« وما أرسلنا قبلك الا رجالا نوحى اليهم » (١) .

« قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا » (٢) .

الغرض من بعثة الرسل :

والغرض من بعثة الرسل هو الدعوة الى عبادة الله واقامة دينه :

« وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبـــدون » (٣) .

« ولقد بعثنا فى كل أمـــة رســـولا أن اعبــدوا الله واجتنبــوا الطـــاغوت » (٤) .

« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينـــا اليـــك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفـــرقوا فيـــه » (٥) .

واقامة الدين ، وعبادة الله ، تنتظم الايمان بالله ، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، كما تنتظم الأعمال الصالحة التى تزكى النفس الانسانية ، وتطهرها ، وتغرس فيها الخير ، لتبلغ الكمال المـــادى والأدبى فى هذه الحياة ، ولتستعد لكمال أرقى ، وأبقى .

وهذه التعاليم العالية لا يمكن للبشر أن يصلوا اليها بعقولهم ، وانما يتعلمونها بوحى الله .

« هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » (٦) .

---

(١) سورة الأنبياء : ٧ .　　(٢) سورة الاسراء : ٩٥ .

(٣) سورة الأنبياء : ٢٥ .　　(٤) سورة النحل : ٣٦ .

(٥) سورة الشورى : ١٣ .　　(٦) سورة الجمعة : ٢ .

وبهذا لا تنهض حجة من أغفل الله قلبه عن ذكره ، واتبع هواه وكان أمره فرطا ، وقال تعالى :

« انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده ، وأوحينا الى ابراهيم واسـماعيل واسحاق ويعقوب والأسـباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان ، وآتينا داوود زبورا • ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك ، وكلم الله موسى تكليما • رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزا حكيما » (١) •

« وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ، ان الله بكل شيء عليم » (٢) •

قال ابن كثير : يقول الله تعالى مخبرا عن نفسه الكريمة وحكمه العادل : انه لا يضل قوما الا بعد ابلاغ الرسالة اليهم حتى يكونوا قد قامت عليهم الحجة كما قال تعالى :

« وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى »(٣) •

والله سبحانه لا يعذب أحدا حتى يقيم عليه الحجة ، ويقطع عذره •

« وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » (٤) •

عصمة الأنبيـاء (٥) :

الرسل اصطفاهم الله واختارهم :

---

(١) سورة النساء : ١٦٣ ـ ١٦٥ •

(٢) سورة التوبة : ١١٥ •　　　(٣) سورة فصلت : ١٧ •

(٤) الاسراء : ١٥ ـ استدل الأشاعرة والمالكية والكمال بن الهمام بهذه الآية على أن أهل الفترة الذين لم تبلغهم الدعوة ناجون وان عبدوا الأصنام • وذهب أبو حنيفة والماتريدية أنه يشترط فى نجاتهم فى الآخرة ألا يشركوا مع الله غيره ، لأن معرفة الله الواحد يكفى فيها العقل ، والأول أظهر لأن الله يقول : **« ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا »** •

(٥) العصمة هى أنهم لا يتركون واجبا ، ولا يفعلون محرما ، ولا يقترفون ما يتنافى مع الخلق الكريم •

« أن الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين » (١) .

ونزههم عن السيئات ، وعصمهم من المعاصى : صغيرها وكبيرها .

« وما كان لنبى أن يغل » (٢) .

وحلاهم بالأخلاق العظيمة من الصدق ، والأمانة ، والتفانى فى الحق ، وأداء الواجب . فمنهم الصديق :

« واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا » (٣) .

ومنهم من اصطنعه الله لنفسه .

« وألقيت عليك محبة منى ، ولتصنع على عينى » (٤) .

« فلبثت سنين فى أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى ، واصطنعتك لنفسى » (٥) .

ومنهم من هو بعين الله .

« واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا » (٦) .

ومنهم من اجتباه الله وعلمه :

« وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل ابراهيم واسحاق ، ان ربك عليم حكيم » (٧) .

وبعد أن ذكر الله جملة من الأنبياء فى سورة مريم قال :

« أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل وممن هدينا واجتبينا ، اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا » (٨) .

---

(١) سورة آل عمران : ٣٣ .
(٢) سورة آل عمران : ١٦١ .
(٣) سورة مريم : ٤١ .
(٤) سورة طه : ٣٩ .
(٥) سورة طه : ٤٠ ، ٤١ .
(٦) سورة الطور : ٤٨ .
(٧) سورة يوسف : ٦ .
(٨) سورة مريم : ٥٨ .

وهم وان تفاوتوا فى الفضل الا أنهم بلغوا الغاية من السمو الروحى والصله بالله .

« تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ، وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس » (١) .

وهكذا نجد النصوص الكثيرة الواردة فى القرآن بشأن الأنبياء والرسل — تضفى عليهم من الطهر والنزاهة والقداسة ما يجعل منهم النموذج الحى والصورة المثلى للكمال الانسانى .

ومثل هؤلاء لا يمكن الا أن يكونوا معصومين من التورط فى الاثم ، ومنزهين عن الوقوع فى المعاصى ، فلا يتركون واجبا ، ولا يفعلون محرما ، ولا يتصفون الا بالأخلاق العظيمة التى تجعل منهم القدوة الحسنة ، والمثل الأعلى الذى يتجه اليه الناس ، وهم يحاولون الوصول الى كمالهم المقدر لهم .

والله سبحانه هو الذى تولى تأديبهم وتهذيبهم وتربيتهم وتعليمهم حتى كانوا قمما شامخة وأهلا للاصطفاء والاجتباء .

« أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة ، فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين . أولئك الذين هدى الله ، فبهداهم اقتده »(٢) .

« وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين »(٣) .

« انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا ، وكانوا لنا خاشعين » (٤) .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٣ — وقيل ان أفضلهم خاتم الأنبياء محمد ، ثم ابراهيم ، ثم يوسف ، ثم نوح ، ثم آدم أبو البشر . (٢) سورة الأنعام : ٨٩ ، ٩٠ .
(٣) سورة الأنبياء : ٧٣ . (٤) سورة الأنبياء : ٩٠ .

فهذه الآيات أدلة بينة على مدى الكمال الانسانى الذى أفاضه الله على أنبيائه ورسله ، ولو لم يكونوا كذلك لسقطت هيبتهم فى القلوب ، ولصغر شأنهم فى أعين الناس ، وبذلك تضيع الثقة فيهم ، فلا ينقاد لهم أحد ، وتذهب الحكمة من ارسالهم ليكونوا قادة الخلق الى الحق ، بل لو فعلوا شيئا مما يتنافى مع الكمال الانسانى بأن يتركوا واجبا ، أو يفعلوا محرما ، أو يرتكبوا ما يتنافى مع الخلق الكريم لكانوا قدوة سيئة ، ولم يكونوا مثلا عليا ، ومنارات هدى •

ان رسل الله يدركون بحسهم الذى تميزوا به على غيرهم من البشر ، أنهم دائما فى حضرة القدس ، وأنهم يبصرون الله فى كل شىء ، فيرون مظاهر جماله وجلاله ودلائل قدرته وعظمته ، وآثار حكمته ورحمته • يرون ذلك فى أنفسهم وفيمن حولهم : فى الأرض وفى السماء وفى الليل والنهار ، وفى الحياة والموت ، فتمتلىء قلوبهم اجلالا لله ووقارا له ، فلا يبقى فيها مكان لشيطان ، ولا موضع لهوى ، ولا جنوح لشهوة ، ولا ارادة لشىء سوى ارادة الحق والتفانى فيه والاستشهاد من أجله •

وما ورد فى القرآن الكريم مما يوهم ظاهره بأنهم ارتكبوا ما يتنافى مع عصمتهم فهو ليس على ظاهره ، ويتجلى ذلك فيما نذكره بالنسبة لما نسب لكل نبى فيما يلى :

آدم عليه السلام :

يقول الله سبحانه :

« وعصى آدم ربه فغوى » (١) •

فظاهر هذه الآية أن آدم عصى ربه ، وغوى ، بمخالفة أمر الله ، واستجابته لدعوة الشيطان ، وأن ذلك كان زلة وقع فيها •

---

(١) سورة طه : ١٢١ •

« **فأزلهما الشيطان عنها ، فأخرجهما مما كانا فيه »(١) .**

ولكن اذا أمعنا النظر رأينا أن هذه المعصية انما وقعت من آدم نسيانا منه لعهد الله ، ولم يصدر عنه هذا الفعل عن ارادة وقصد ، والله سبحانه لا يؤاخذ على الخطأ ولا على النسيان ، لأن ذلك تكليف بما لا يطاق ، والله لا يكلف نفسا الا وسعها ، والأصل فى هذه القاعدة قول الله سبحانه :

« **وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم »(٢) .**

وقوله :

« **ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا »(٣) .**

والدليل على أن ما وقع من آدم كان نسيانا وعن غير عمد ، قول الله سبحانه :

« **ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما »(٤) .**

أى أن آدم نسى عهد الله الذى وصاه به حين ارتكب ما نهاه عنه من الأكل من الشجرة ، ولم يوجد له عزم على فعل ما نهى عنه .. وحيث لم يوجد العزم على المعصية ، فلا توجد المؤاخذة .

وانما اعتبر القرآن ذلك النسيان عصيانا نظرا لمقام آدم الذى خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته ، وأسكنه جنته ، وعلمه الأسماء كلها ، والذى شأنه هكذا يجب أن يكون يقظا كأقوى ما تكون اليقظة بحيث لا ينسى وصية الله له وعهده اليه ، فهذا : من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين .

نوح عليه السلام :

أما نوح عليه السلام فما وقع منه فهو أنه سأل الله عن هلاك ابنه مع من هلكوا فى الطوفان ، مع وعد الله بنجاته ونجاة أهله ، فقال :

---

(١) سورة البقرة : ٣٦ . (٢) سورة الأحزاب : ٥

(٣) سورة البقرة : ٢٨٦ . (٤) سورة طه : ١١٥ .

« رب ان ابنى من أهلى وان وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين • قال يا نوح انه ليس من أهلك ، انه عمل غير صالح ، فلا تسألن ما ليس لك به علم ، انى أعظك أن تكون من الجاهلين • قال رب انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم ، والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين »(١) •

فلم يكن لنوح عليه السلام علم بأن نسب ابنه اليه قد انتفى بكفره واعراضه عن دعوة الله ، فسأل الله كيف هلك مع الوعد بنجاة أهله ، وابنه من أهله ، فعلمه الله أن الصلة الدينية والنسب الروحى أقوى من صلة الدم ، فاذا انقطعت هذه الصلة ذهبت بصلة النسب والدم ، فقال له معلما اياه : **« انه ليس من أهلك »** معللا ذلك بأن عمله عمل غير صالح ، وما دام ذلك كذلك فليس هناك صلة نسبية ، وبذلك ينتفى نسبه من أبيه ، فلا يكون من أهله الذين وعدوا بالنجاة •

وكان على نوح عليه السلام ، وهو الأب الثانى للبشر ، الذى بذل حياته لله ، ولبث فى قومه ألف سنة الا خمسين عاما يدعو الى الله ، ويجاهد فى سبيله كان عليه أن يفطن لهذا المعنى ، وأن يدركه ، فلما لم يتنبه اليه ، وغلبت عليه عاطفة الأبوة اعتبر ذلك نقصا بالنسبة لمقامه الرفيع ، ومنزلته الكبرى التى حباه الله بها •• ومن ثم فقد لجأ الى الله أن يغفر له هذه العثرة التى لم يقصد اليها • ولم يكن له علم بها ، فقال :

« رب انى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم ، والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين »(٢) •

ابراهيم عليه السلام :

وجاء فى دعاء ابراهيم عليه السلام قوله :

« والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين »(٣) •

---

(١) سورة هود : ٤٥ — ٤٧ • (٢) سورة هود : ٤٧ •
(٣) سورة الشعراء : ٨٢ •

ونحن لا نعرف لابراهيم خطيئة ، والذى نعلمه ان الله قد اتخذه خليلا ، وأضفى عليه من صفات الكمال ما هو خليق به •

« ولقد اصطفيناه فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين »(١) •

« ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين ، شاكرا لأنعمه ، اجتباه وهداه الى صراط مستقيم • وآتيناه فى الدنيا حسنة ، وانه فى الآخرة لمن الصالحين » (٢) •

وطلبه من الله أن يغفر له خطيئته ليست خطيئة بالمعنى الذى يتبادر الى الذهن وانما هى ما يستشعره فى نفسه من قصور فى تفانيه فى الله ، وأداء رسالته • نظرا لمكانته السامية ، ومنزلته الرفيعة •

يوسف عليه السلام :

والله يقول فى يوسف عليه السلام :

« ولقد همت به وهم بها »(٣) •

وليس فى هذا ما يدل أدنى دلالة على أن يوسف هم بالفاحشة لأن المقصــود بالهم هنا الهم بالضرب والأذى •• وذلك ان امرأة العزيز راودته عن نفسه ، فغلقت الأبواب ، ودعته الى نفسها ، فاستعصم ، وأبى وقال :

« معاذ الله انه ربى أحسن مثواى انه لا يفلح الظالمون »(٤) •

وازاء هذا الاستعصام والتأبى والترفع عن التسفل ، همت امرأة العزيز بضربه والحاق الأذى به ، بعد أن عجزت عن اغرائه بكل وسيلة ، فهم هو بأن يعاملها بالمثل دفاعا عن نفسه ، لولا أن رأى أن ذلك لا يليق بأمثاله من أصحاب النفوس الكبيرة ، ولا سيما أن هذا البيت آواه ، وأكرمه ، فضلا عن أنها سيدته التى تبنته ، وأنها زوجة رجل عظيم فى أمة عظيمة •

---

(١) سورة البقرة : ١٣٠ •
(٢) سورة النحل : ١٢٠ ـ ١٢٢ •
(٣) سورة يوسف : ٢٤ •
(٤) سورة يوسف : ٢٣ •

فلولا أن رأى ذلك كله ، وهو صاحب شعور نبيل وعاطفة جياشة لقابلها بالمثل ، ولأذاها بالضرب المبرح .

ولكنه كذلك لا يرضى بالاستكانة ، ويقف ذليلا يتلقى الضربات من امرأة أصابها جنون الشهوة الحيوانية — وهو من هو — فآثر أن يفر منها تفاديا من الحرج الذى تعرض له ، ولكنها أبت الا أن تتابعه لتثأر لنفسها منه .

« واستبقا البـــاب ، وقدت قميصه من دبر وألفيا ســيدها لدى البـــاب » (١) .

فكان فى ذلك خلاصه .

والذى يدل على هذا أبلغ دلالة :

أولا : أن الله آتاه العلم والحكمة .

« ولمـــا بلغ أشده آتيناه حكما وعلما ، وكذلك نجزى المحسنين »(٢)

ثانيا : أنه أجاب امرأة العزيز بعد المراودة ، بما يدل دلالة قاطعة على أن السوء لا يخطر على قلبه .

« قال معاذ الله انه ربى أحسن مثواى انه لا يفلح الظالمون » .

فالذى يقول هذا لا يتصور منه الهم بالفحش .

ثالثا : أن الله صرف عنه السوء والفحشاء ، وأخلصه لنفسه .

«كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء ، انه من عبادنا المخلصين» (٣)

ومن كان كذلك لا يمكن أن تتوجه نفسه مجرد توجه الى سوء أو الى فحش ، لا فى القول ولا فى العمل .

رابعا : أن كل هم فى القرآن انما يقصد به الهم بالأذى كالضرب والقتـــل .

---

(١) سورة يوسف : ٢٥ . (٢) سورة يوسف : ٢٢ .
(٣) سورة يوسف : ٢٤ .

« وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه » (١) •

« وهموا بما لم ينالوا » (٢) •

وهكذا لو تتبعنا جميع أسباب براءة يوسف عليه السلام من الهم بالفاحشة لوجدناها من الكثرة بحيث لا يتسع لها هذا المختصر •

موسى عليه السلام :

والله سبحانه يقول فى موسى عليه السلام :

« ودخل المدينة على حين غفلة من أهلهـا ، فوجد فيها رجلـين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه ، فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه ، فوكزه موسى فقضى عليه ، قال هذا من عمل الشيطان ، انه عدو مضل مبين •قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له ، انه هو الغفور الرحيم » (٣) •

فموسى عليه السلام دخل المدينة ، فوجد فيها مصريا واسرائيليا من قومه ، وهما يتضاربان ، الا أن الاسرائيلى الذى هو من شيعته وقومه ضعيف غير قادر على مقاومة المصرى ، فاستغاث بموسى ، لينقذه منه ، فحدث كما يحدث غالبا فى مثل هذه المواقف أن ضرب موسى المصرى بيده ضربة أصابت منه مقتلا ، ولم يقصد الى قتله قط وانما قصد أن يمنع عدوانه عن أخيه ، فحدث القتل الخطأ الذى لا مؤاخذة عليه الا من حيث عدم التحرى والوعى الكامل ، ولا سـيما لمن هم فى أعلى المسـتوى البشرى كموسى ، ونحوه من أولى العزم ، ولذلك رجع الى ربه ذاكرا خطأه طالبا من الله العفو والغفران •

داوود عليه السلام :

يقول الله سبحانه فى داوود عليه السلام :

« وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب • اذ دخلوا على داوود

---

(١) سورة غافر : ٥ (٢) سورة التوبة : ٧٤ •

(٣) سورة القصص : ١٥ ، ١٦ •

ففزع منهم قالوا لا تخف ، خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط٠ ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب ٠ قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه ، وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم ، وظن داوود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب ٠ فغفرنا له ذلك ، وان له عندنا لزلفى وحسن مآب » (١) ٠

وهذه القصة ليس فيها ما يدل على أن داوود عليه السلام قد عصى ربه بارتكاب ما ينافى العصمة ٠

وكل ما يمكن أن يقال فى هذا : انه قضى بين الخصمين بعد أن سمع من أحدهما وقبل أن يسمع من الآخر ٠ والتعجيل بالحكم قبل الاستماع الى الطرفين يعتبر فى نظر القضاء مخالفه ، ولا سيما اذا كان القاضى نبيا كداوود عليه السلام ، ممن أوتوا الحكمة وفصل الخطاب ٠

ويمكن أن يقال أيضا انه خاف من تسور الخصمين المحراب ودخولهما عليه بغتة وهو بين يدى الله ٠ خاف أن يقتلاه كما كانت عادة بنى اسرائيل من قتلهم الأنبياء ، فكان هذا الخوف ، وهو فى المحراب وماثل بين يدى الله ، مما لا يليق بمكانته وعظيم قدره وحسن صلته بالله ، مالك ناصية كل شىء ٠

وسواء أكان ما ينسب الى داود عليه السلام من العجلة فى الحكم أو من الخوف من القتل ، فقد ظن أنه مختبر بما وقع له ، فاستغفر ربه ، وخر راكعا منيبا الى الله راجعا اليه ٠

ولا يمكن أن تتضمن القصة التى ذكرت فى القرآن معنى آخر وراء ذلك مما ينتقص من قدر نبى عظيم ٠

وما ذكر من أن المقصود بالنعجة هى المرأة ، وأن داوود اغتصب زوجة أحد قواده بحيلة احتالها عليه ، فهو من الاسرائيليات المكذوبة ،

---

(١) سورة ص : ٢١ ـ ٢٥ ٠

ومن الدخيل الذى يتنافى مع عظمة الرسالة ، وكمال النبوة ، وشرف الدعوة التى انتدب الله لها خيار خلقه وصفوة عباده •

سليمان عليه السلام :

يقول الله سبحانه فى سليمان عليه السلام :

« ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب • قال : رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى ، انك انت الوهاب » (١) •

والابتلاء الذى تعرض له سليمان وهو المرض الشديد الذى جعل منه جسدا ملقى على الكرسى لا يستطيع معه الحركة — كان سببا فى ضعف نفسه ، وضعف مقاومته ، فتاب الى الله من هذا الضعف الذى يعترى البشر عادة ، وكان الأجمل به أن يتجمل بالصبر الجميل •

ويقال ان سليمان كان له ولد فاجر انتزع ملكه من أبيه ، فكان ذهاب ملك سليمان على يد ابنه الفاجر ابتلاء له ، ثم رد الله ملكه اليه بعد أن سلب منه ، فسأل الله عقب ذلك أن يغفر له ما يمكن أن يكون حدث من تقصير فى شكر الله ، وسأله أن يهبه ملكا لا ينبغى لأحد من بعده ، فاستجاب الله له •

محمد صلوات الله وسلامه عليه :

وجاء فى القرآن الكريم :

« فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك »(٢) •

« انا فتحنا لك فتحا مبينا • ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما • وينصرك الله نصرا عزيزا »(٣) •

وظاهر الآية الأولى يوهم بأن للرسول ذنبا ، وأن عليه أن يستغفر الله • وظاهر الآية الثانية يفيد بأن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر •

---

(١) سورة ص : ٣٤ ، ٣٥ •

(٢) سورة محمد : ١٩ •

(٣) سورة الفتح : ١ — ٣ •

والمعروف من سيرة رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، انه معصوم قبل البعثه وبعـدها ، فقد عصمه الله من عبث الطفوله ولهو الشباب ، فلم يله كما كان يلهو غيره ، لأنه أعد لحمل رسالة الهدى والنور • وقد اشار الى هذا فيما حدث به عن نفسه فقال : (ما هممت بشئ مما كان أهل الجاهلية يعملونه غير مرتين•كل ذلك يحول الله بينى وبينه ، ثم ما هممت به حتى آكرمنى الله برسالته قلت ليلة للغلام الذى يرعى معى بأعلى مكة : لو أبصرت لى غنمى حتى أدخل مكة ، وأسمر بها كما يسمر الشباب فقال : أفعل ، فخرجت حتى اذا كنت عند أول دار بمكة ، سمعت عزفا • فقلت : ماهذا ؟ فقالوا : عرس فلان بفلانة ، فجلست أسمع ، فضرب الله على أذنى ، فنمت ، فما أيقظنى الا حر الشمس ، فعدت الى صاحبى ، فسألنى ، فأخبرته ، ثم قلت له ليـلة أخرى مثل ذلك ، ودخلت مكة ، فأصابنى مثل أول ليلة •• ثم ما هممت بسـوء) •

وكذلك كان ، صلوات الله وسلامه عليه ، مدة حياته لا يخطر السوء على قلبه ، واذا كان ذلك كذلك فما معنى الذنب الـذى أمر أن يستغفر منه ، والذى قد غفر له ما تقدم منه ، وما تأخر ؟

مما لا جدال فيه أن الرسول كانت تصدر عنه بعض التصرفات التى لم يوح اليه شئ بخصوصها ، بل كان أمرها متروكا الى اجتهاده الخاص ، فكان فى بعض الأحيان يؤديه اجتهاده الى ما هو حسن ، متجاوزا ما هو أحسن منه ، فاعتبر وقوفه عند الرأى الحسن ، وعدم اصابته ما هو أحسن منه ذنبا بالنسبة اليه ، وبالاضافة الى مكانته من العلم والعقل والفقه •

وقد ذكر القرآن أمثلة لذلك :

فمنها اجتهـاده فى أسرى بدر ، وقبوله الفداء ، وقد عتب الله عليه عتبا أبكاه :

« ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض ، تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ، والله عزيز حكيم • لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم »(١) •

---

(١) سورة الأنفال : ٦٧ ، ٦٨ •

أى لولا أن كتاب الله وحكمه سبق بعدم مؤاخذة المجتهد على اجتهاده لعاقبكم بالعــذاب العظيم على قبول الفداء ، وعدم الاثخان فى الأرض •

ولمـا نزلت هذه الآية بكى رسول الله ، وبكى معه أبو بكر بكاء شديدا ، وقال : (لو نزل عذاب من السماء ما نجا غير عمر) •

ففى هذه الحادثة لم يكن من الرسول الا الاجتهاد فى قضية لم يوح اليه فيها بشىء ، ولم يخطىء فى حكمه فيها ، لأن الرسول لا يقر على خطأ ، وانما عدل عما هو أحسن الى ما هو حسن :

ومنها أنه قبل أعذار المتخلفين عن الغزو دون تمحيص هذه الأعزار ، ليتبين له من هو صادق ممن هو كاذب •

« عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين » (١) •

ومن ذلك عتاب الله له فى اخفائه أمر زواجه زينب بنت جحش بعد طلاق متبناه زيد بن حارثة لها — وكان الله قد أمره بذلك ، ليبطل تقليدا من تقاليد الجاهلية ، اذ كانت هذه التقاليد تقضى بتحريم زواج زوجة المتبنى ، مثل تحريم الزواج بزوجة الابن من النسب ، فكان الرسول يجد حرجا مثل أى انسان عندما يتحرج من مخالفة التقاليد والخروج على العادات •

وقد رفع الله عنه الحرج بعد العتب اليسير •

« واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أوزاج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا ، وكان أمر الله مفعولا • ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له ، سنة الله فى الذين خلوا من قبل ، وكان أمر الله قدرا مقدورا »(٢) •

---

(١) سورة التوبة : ٤٣ •

(٢) سورة الأحزاب : ٣٧ ، ٣٨ •

وما قيل غير ذلك فهو محض اختلاق •

ومما يدخل فى هذا النطاق قول الله سبحانه :

« عبس وتولى • أن جاءه الأعمى • وما يدريك لعله يزكى • أو يذكر فتنفعه الذكرى • أما من استغنى • فأنت له تصدى • وما عليك ألا يزكى • وأما من جاءك يسعى • وهو يخشى • فأنت عنه تلهى » (١) •

فهذا عتب من الله لرسوله حين طمع فى اســـلام بعض صناديد قريش ، فأقبل عليهم يدعوهم الى الله ، وهم ينصتون له ، ويقبلون عليه •

وفى هذه الأثناء حضر عبد الله بن أم مكتوم ، وأخذ يقاطع الرسول ، ويقول له : علمنى مما علمك الله ، ويكرر ذلك ، فكان الرسول يضيق بهذه المقاطعة ، ويعبس من الضيق ، مع أن الرجل أعمى لا يبصر هذا العبوس ، ومع ذلك عاتبه الله فيه ، فكان كلما لقيه بعد — يقول له : (أهلا بمن عاتبنى فيه ربى) •

ومن هذا ما روى أن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قرأ قول الله سبحانه :

« أفرأيتم اللات والعزى • ومناة الثالثة الأخرى » (٢) •

(تلك الغرانيق العلا ، وان شفاعتهن لترتجى) •

فهذا كذب محض وافتراء أحقر من أن يناقش ، وليس فيه صلة بين هذه الأكذوبة وبين قول الله سبحانه :

« وما أرسلنا من قبلك من رســـول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته ، والله عليم حكيم » (٣) •

فان الآية تقرر أنه ما من نبى ، ولا رســـول تمنى هداية قومه ، واستجابتهم دعوته الا جاء الشيطان واضعا أمامه العقبات ، وميئسا له من الوصول الى الهدف الذى يستهدفه ، الا أن الله سبحانه يعجل

---

(١) سورة عبس : ١ — ١٠ •
(٢) سورة النجم : ١٩ ، ٢٠ •
(٣) سورة الحج : ٥٢ •

بازالة ما يلقى الشـيطان من وسوسة تيئسه ، ويحيى فى نفسه الأمل والرجاء •

هذا هو ما نسب الى رسل الله وأنبيائه ، وهو لم يخرج عن كونه هنات هينات لا تصـل الى درجة المعصية ، ولا تتنافى مع العصمة ، ولا تنقص من أقدارهم السامية ، أو تنال من مكانتهم الرفيعه •

ويأبى اليهود والنصارى الا أن يجرحوا كثيرا من الأنبياء والرسل ، وينسبوا اليهم ما نزههم الله عنه ، وصانهم منه بل ان كتبهم ترمى بعض الأنبياء بكبائر الاثم والفواحش •

والنصارى تغالوا فى هذا ، وبالغوا فيه ، ليوجبوا العصمة للمسيح وحده ، وهم يقصدون بهذا اقامة الأدلة على أن عيسى اله منزه عن الخطايا من جهة ، وأنه جاء ليخلص الانسان من خطيئة أبيه آدم ، والتى ورثها عنه أبناؤه ، ويفدى البشر بنفسه من جهة أخرى •

وعقيدة الفداء هذه هى أساس ديانة النصارى ، ولكن كتبهم — مع اعتقادنا بتحريفها — تكفى فى الرد عليهم •

ففيها نصوص قاطعة بأن يوحنا أفضل من المسيح وأعظم منه ، وأنه هو الذى تولى تعميده ، وأنه معصوم من كل خطيئة ، وأنه لم يشرب خمرا قط •

بينما نسب الى المسيح أنه شريب خمر ، كما ينسب اليه عـدم استجابته لدعوة أمه حينما دعى اليها (١) :

ففى انجيل لوقا (١ — ٦٥ : أنه يكون عظيما أمام الرب وخمـرا ومسكرا لا يشرب ، ومن بطن أمه يمتلىء بروح القدس) •

وفيه (٦٦ : كانت يد الرب معه) •

وقال المسيح فيه (متى ١١ : ١١ : الحق أقول لـكم انه لم يضم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان) •

---

(١) ونحن ننزهه عن هذا ونعتقد أنه كان وجيها فى الدنيا والآخرة ومن الصالحين •

وقال فيه (١٨ : جاء يوحنا لا يأكل ، ولا يشرب ، فيقولون : فيه شيطان وجاء ابن الانسان يأكل ويشرب فيقولون : هو ذا انسان أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطاة) .

أما عيسى عليه السلام فقد شهدت الأناجيل بأنه أهان أمه ، وهى التى فضلها الله على نساء العالمين .

فقد جاء فى انجيل لوقا (٨ : ٢ : فأخبروه قائلين : أمك وأخوتك واقفون خارجا يريدون أن يروك ؟ فأجاب وقال : أمى وأخوتى هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها) .

أولوا العزم من الرسل :

يقول الله سبحانه :

« فاصبر كما صبر أولوا العزم(١) من الرسل »(٢) .

قيل ان أولى العزم هم كل الرسل ، وتكون من لبيان الجنس .

والمشهور من الأقوال : أنهم محمد ، ونوح ، وابراهيم ، وموسى ، وعيسى عليهم صلوات الله وسلامه .

وقد نص الله على أسمائهم من بين الرسل فى آيتين :

الأولى : **« واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا » (٣) .**

الثانية : **« شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه »(٤) .**

أفضل الرسل

أفضل الرسل على الاطلاق هو سيدنا محمد خاتم النبيين :

---

(١) العزم : الثبات والصبر . (٢) سورة الأحقاف : ٣٥ .
(٣) سورة الأحزاب : ٧ . (٤) سورة الشورى : ١٣ .

« تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ، وآتينـــا عيسى ابن مريم البينـــات وأيدناه بروح القـــدس » (١) .

والذى رفعه الله درجات هو سيدنا محمد .

وأدل دليل على هذا ما جاء فى سورة آل عمران من تبشير الأنبياء به ، وأخذ العهد والميثاق عليهم بالايمان به ونصرته ان هم أدركوا بعثته .

« واذ أخذ الله ميثاق النبيين لمـــا آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رســـول مصدق لمـــا معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى ، قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشـــاهدين » (٢) .

وروى عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(والله لو كان موسى حيا بين أظهركم ما حل له الا أن يتبعنى) .

وأما منعه صلوات الله وسلامه عليه من التفضيل بين أنبياء الله ، وقوله : (لا تفضلوا بين أنبياء الله) .

فالقصد منه منع الغلو فى تعظيمهم من جهة ، وكف المسلمين عن تنقيص أحد من اخوانه الأنبياء من جهة أخرى .

ختم النبوة والرسالة :

الأنبياء جميعا صلوات الله وسلامه عليهم كانت مهمتهم أن ينقذوا الناس ، ويخرجوهم من الظلمات الى النور ، فكانوا دائما دعاة الخير ، وأئمة الاصلاح وحملة المشاعل فى الدنيا المظلمة .. وكان كل واحد منهم يأتى عقب الآخر ، ليتمم ما بناه من قبله ، فيزيد فى الاصلاح لبنة حتى استكمل البناء بخاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه ، فكان دينه خلاصة الأديان السابقة ، وكانت دعوته هى الدعوة الجديرة بالبقاء ، ففيها عناصر الحياة ودعائم الاصلاح .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٣ .　　(٢) سورة آل عمران: ٨١ .

« اليــوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا »(١) .

وباكمال دين الله الحق تمت نعمة الله على الناس بما أنزله اليهم من هداية فلا حاجة الى هداية بعدها .

وبهذا انقطعت النبوة ، وختمت الرسالة .

« ما كان محمــد أبا أحد من رجالكم ولكن رســول الله وخاتم النبيين »(٢) .

واذا كانت النبوة قد انقطعت ، فقد انقطعت بالتــالى الرسالة ، فلا نبوة ولا رسالة بعد نبوة محمد خاتم رسل الله ، وفى ذلك يقــول صلوات الله وسلامه عليه :

(مثلى ومثــل الأنبياء كمثل رجل بنى دارا ، فأكملها وأحســنها الا موضع لبنة ، فكان من دخلها ، فنظر اليها قال : ما أحسنها الا موضع هذه اللبنة ، فأناموضع اللبنة . ختم بى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام) .

الأعمال الكبرى التى تمثل نجاح سيدنا محمد :

ان لرسولنا صلوات الله وسلامه عليه أعمالا كبرى يتمثل فيهــا نجاحه فى دعوته ، وهذه الأعمال يمكن تلخيصها فيما يلى :

العمل الأول : أنه قضى على الوثنية ، وأحل محلها الايمان بالله واليوم الآخر .

العمل الثانى : أنه قضى على رذائل الجاهلية ونقائصها ، وأقام مقامها الفضائل والمكارم والآداب .

العمل الثالث : أنه أقام الدين الحق الذى يصل بالانسان الى أقصى ما قدر له من كمال .

العمل الرابع : أنه أحدث ثورة كبرى غيرت الأوضاع والعقول والقلوب ونظام الحياة الذى درج عليه أهل الجاهلية .

---

(١) سورة المـائدة : ٣ . (٢) سورة الأحزاب : ٤٠ .

العمل الخامس : أنه صلى الله عليه وسلم وحد الأمة العربية ، وأقام دولة كبرى تحت راية القرآن •

هذه هى الأعمال التى تمثل نجاح الرسول صلى الله عليه وسلم فى مهمته • وهى كما تبدو كلها أمور كبيرة ، واقامتها بل اقامة واحد منها من الخطورة بمكان •

وانه لا يمكن أن يتأتى النجاح لفرد فى بعض هذه الأعمال فضلا عن توفر النجاح فى كل ناحية من هذه النواحى •

ان القيام بهذه الأعمال والنجاح فيها على هذا النحو لهو المعجزة الكبرى لحضرة رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه — فاذا كان عيسى له معجزة احياء الموتى ، وموسى له معجزة العصا ، فان هاتين المعجزتين فى جانب هـذه الانتصارات والى جانب هـذه المعجزات لا تساوى شيئا •

دلائل صدقه :

ومن دلائل الصدق على أن الرسول انما هو مرسل من عند الله ما يأتى :

أولا : أنه كان زاهدا فى الدنيا ، فلم يكن يطلب على عمله أجرا ، فقد كان زاهدا فى المـال ، وفى كل ما هو مادى ، كما كان زاهدا فى الجاه والمنصب •

أما زهده فى المـال فان طبيعة حياته تدل على ذلك أبلغ دلالة : فهو لم يفترش الحرير ، ولم يلبس الديباج ، ولم يتزين بالذهب • كان بيته كأبسط بيوت الناس ، وكان يمر عليه الشهران ، ولا يوقد فى بيته نار • قال عروة وهو يسمع خالته عائشة تتحدث بهذا اليه : يا خالتى ما كان يعيشكم ؟ قالت : انما هما الأسودان التمر والمـاء !!

وذات مرة رأى عمر بن الخطاب الرسول نائما على حصير بالية ، وقد أثر فى جسمه ، فبكى فقال له الرسول ما يبكيك ؟

فقال : ما بال كسرى وقيصر ينامان على الديباج والحرير ، وأنت رسول الله يؤثر فى جنبك الحصير ، فقال صلى الله عليه وسلم : (يا عمر أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة) .

ولقد جاءت الغنائم الى الرسول بعد انتصار المسلمين ، فرأى نساؤه أن يستمتعن بشىء من هذه الغنائم ، وطلبن منه أن يكون لهن نصيب منها ، فاذا بالآية الكريمة ترد على سؤال هؤلاء النسوة :

« يأيها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيـا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا . وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما »(١) .

فجمع الرسول نساءه وقال لهن : (هل تردن الله ورسوله والدار الآخرة ، أم تردن الدنيا وشهواتها) ؟ فاختارت كل واحدة منهن الله ورسوله والدار الآخرة فمدحهم الله وأنزل فى حقهن :

« يا نساء النبى لستن كأحـد من النساء ، ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا » (٢) .

ولقد توفى رسول الله ودرعه مرهونة عند يهودى ، وقد عاش طول حياته ، وما شبع من خبز الشعير قط .

أما زهده فى الجاه فهو يتمثل فى كل حال من أحواله .

أراد الصحابة أن يمتدحوه ، ويثنوا عليه ، فقال لهم صلى الله عليه وسلم :

(لا تطرونى كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم) .

وجاءه الوليد بن المغيرة مندوبا عن المشركين ، ليفاوضه ، وعرض عليه من كل متع الحياة ، فكان جوابه أن قرأ عليه افتتاحية سورة حم فصلت .

هذا هو الزهد الذى كان طبيعة من طبائع الرسول صلى الله علية وسـلم .

---

(١) سورة الأحزاب : ٢٨ .   (٢) سورة الأحزاب : ٣٢ .

ومن دلائل نبوته عليه السلام أنه كان أميا ، وأقام هذه الأعمال الكبار وهو أمى لم يقرأ ، ولم يكتب ، ولم يدخل معهدا ، ولم يتتلمذ على أستاذ ، ولكنه نجح ، وبلغ هذه المرتبة التى لم يبلغها أحد قبله ، ولا أحد بعده .

والقرآن يسجل هذه الحقيقة ليجعلها أمارة صدقه ودليل أمانته ، يقول الله سبحانه :

« وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم . صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ، ألا الى الله تصير الأمور »(١) .

وما كان الرسول يعلم شيئا من النبوة ، ولا ما يتصل بالذات العلية ، فجريان هذه الأعمال على يديه انما هو دليل الاعجاز .

لأن المتعلمين الذين ينقطعون للعلم والبحث ليعجزون أن يصنعوا شيئا مما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولا ريب أن هذا تأييد وتوفيق من الله تبارك وتعالى . والقرآن يقـول :

« وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ، اذن لارتاب المبطلون »(٢) .

ولقد كان معروفا لدى خصومه وكان يوجههم به ، ولم يستطع أحد منهم أن يشكك فى هذه الحقيقة السافرة . فيقول الله تعالى :

« واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله ، قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ، ان أتبع الا ما يوحى الى ، انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم . قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به ، فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون » (٣) .

أما الناحية الثالثة فهى الصدق ، فلم يعلم عن الرسول صلى الله

---

(١) سورة الشورى : ٥٢ ، ٥٣ . (٢) سورة العنكبوت : ٤٨ .
(٣) سورة يونس : ١٥ ، ١٦ .

عليه وسلم أنه كذب قط قبل البعثة ولا بعدها ، ولقد جاءه الوحى ، فذهب الى خديجة ، وقال لها لقد خشيت على نفسى ، فقالت له كلا والله لا يخزيك الله أبدا . انك لتصدق الحديث ، وتصل الرحم وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الدهر » .

ولقد عرض الرســول صلى الله عليه وسلم لأول عهده بالنبوة الاسلام على أبى بكر رضى الله عنه ، فصدقه لأول وهلة ، وما توقف عن المسارعة الى الايمان به ، لأنه كان يعلم صدقه وأمانته ، ودخل أعرابى عليه ، فنظر اليه ، فوجد الصدق يحوطه ، فقال : والله ما هذا الوجه بوجه كذاب .

التبشير بظهور خاتم الرسل :

لم تخل الــكتب الالهية المتقدمة من التبشير بظهور محمد ، صلى الله عليه وسلم ، ونبوته ففى سفر تثنية الاشتراع (التوراة) بشارة تقول : « أتى الرب من طور سيناء وارتفع من صير اليهم ، وشع شعاعه من فاران ، وتقدم الى الأمام ومعه عشرة آلاف من الأبرار ، ومن يمينه خرج كتاب التقوى » .

فالاتيان من طور سيناء يشير الى ظهور الرب لموسى الكليم . والارتفاع من صير يشير الى استيلاء داوود على صير .وأما فاران فهو اسم أرض الحجاز القديم حيث ظهر محمد رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، من سلالة اسماعيل عليه السلام .

وأما التقديم الى الأمام ومعه عشرة آلاف من الأبرار فهو اشارة الى النبى محمد صلى الله عليه وسلم فقد دخل مكة يصحبه عشرة آلاف من أنصاره يوم فتح مكة .

ومن يمينه خرج كتاب التقوى : يشير الى الشريعة التى خرج معها محمد صلى الله عليه وسلم على العالم والتى لا زال نورها يضىء كل ما له شأن بالدين والدنيا من حياة عامة وخلق اجتماعى .

وفى انجيل يوحنا : الاصحاح الرابع عشر ١٣ : ١٥٥ :

(ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى وأنا أطلب من الآب أن يعطيكم معزيا آخر ، ليمكث معكم الى الأبد : روح الحق) •

وهذا مثل ما جاء فى القرآن الكريم من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين •

وفى انجيل يوحنا : اصحاح ١٤ : ٢٦ :

(أما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شىء) • وهذا مثل قوله تعالى :

« ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء »(١) •

وفى يوحنا أيضا اصحاح ١٦ : ١٢ :

(ان لى أمورا كثيرة أيضا لا أقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن ولكن متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدهم الى جميع الحق لأنه لا يتكلم من عنده بل يتكلم بما يسمع ويخبركم بما يأتى) •

وهذا يتفق مع قوله الله سبحانه :

« وقل جاء الحق وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقا » (٢) •

محمد صلى الله عليه وسلم ، دعوة ابراهيم وبشرى عيسى :

ولقد سجل القرآن الكريم أن محمدا رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليـــه ، كان استجابة لدعوة ابراهيم ، كما كان بشرى بشر بها عيسى عليه السلام ، ففى سورة البقرة يحكى القرآن الكريم أن ابراهيم واسماعيل كانا يدعوان الله ، وهما يرفعان القواعد من البيت ، فيقولان :

« ربنا وابعث فيهم رســولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، انك أنت العزيز الحكيم » (٣) •

(١) سورة النحل : ٨٩ •
(٢) سورة الاسراء : ٨١ •
(٣) سورة البقرة : ١٢٩ •

وفى سورة الصف يقول الله سبحانه :

« واذ قال عيسى ابن مريم يا بنى اسرائيل انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » (١) .

وروى الامام أحمد باسناد حسن عن أبى أمامة قال :

(قلت : يانبى الله ما كان أول بدء أمرك ؟ قال : دعوة أبى ابراهيم ، وبشرى عيسى) .

قال عبد الله عمرو بن العاص رضى الله عنه : ان هذه الآية التى فى القرآن :

« يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا » (٢) .

قال فى التوراة :

(يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ، ومبشرا ، وحرزا للأميين ، أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل . ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا اله الا الله فيفتح به أعينا عمياء ، وآذانا صماء وقلوبا غلفا) .

آيات الرسل :

لم يرسل الله رسولا ليبلغ الناس الدين ، ويعلمهم الشريعة ، الا وأيده بالآيات التى تقطع بأنه مرسل من عنده ، وأنه موصول بالملأ الأعلى يتلقى عنه ، ويأخذ تعاليمه منه .

وهذه الآيات التى يؤيد الله بها رسله لابد وأن تكون فوق مقدور البشر وخارج نطاق طاقاتهم وعلومهم ومعارفهم ، كما يجب أن تكون مخالفة للسنن الخاصة بالمادة وخارقة للعادات المعروفة والقوانين الطبيعية المألوفة .

---

(١) سور الصف : ٦ .

(٢) سورة الأحزاب : ٤٥ .

ولذلك سمى العلماء هذه الآيات بالمعجزات ، لأنها تعجز العقل عن تفسيرها كما تعجز القدرة الانسانية عن الاتيان بمثلها .

وعرفوا المعجزة بأنها الأمر الخارق للعادة ، الذى يجريه الله على يدى نبى مرسل ، ليقيم به الدليل القاطع على صدق نبوته .

ومن ثم كانت المعجـزة ضرورية ، واظهارها واجبا ، ليتم بهـا المقصود من تبليغ الرسالة ، وتقام بها حجة الله على الناس .

وهذه الآيات ممكنة فى ذاتها ، والعقل لا يمنعها ، والعلم لا ينفيها ، والواقع يؤيدها .

فقد قام رجال وادعوا أنهم رسل الله ، وتحدوا أممهم بمـا أظهروه من هذه الخوارق ، ورآها الناس عيانا ، وآمن بها ألوف وألوف عبر القرون والأجيال .

بل ان العلم الحـديث نفسه أثبت أن النواميس الطبيعية يمكن تخلفها عن احداث آثارها بنواميس أخرى أرقى منها ، كما أثبت العلم أيضا أن معجزات الأنبياء كلها صحيحة .

والناظر فيما كتبه العلماء المحدثون عن عالم الأرواح ، وعجائب استحضارها ، وغرائب التنويم المغناطيسى ، وما الى ذلك يدرك لا محالة أن هذه الخوارق أمور ممكنة ، وليس شىء منها بمحال أصلا .

والمؤمنون بالله لا يتوقفون فى تصديق شىء ، متى ثبت بالدليل القاطع الذى لا يتطرق اليه الشك ، لأنهم يعلمون أنه ، سبحانه ، لا يتقيد بالسنن التى وضعها فهم يعلمون بأن الذى قدر على جعل النار محرقة قادر على سلبها خاصة الاحراق كما فعل مع (ابراهيم) حين ألقى فى النار ، فلم يحترق .

« قالوا حـرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين . قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم »(١) .

وهم يعلمون أن الذى قدر على خلق الانسان من ذكر وأنثى ، وخلق

---

(١) سورة الأنبياء : ٦٨ ، ٦٩ .

آدم من تراب ، قادر على أن يخلق من السيدة مريم العذراء بدون لقاح طبيعى أو صناعى •

« قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم آك بغيا • قال كذلك قال ربك هو على هين ، ولنجعله آية للناس ورحمة منا ، وكان أمرا مقضــيا » (١) •

« والتى أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنهــا آية للعالمين »(٢) •

وهم يؤمنون بأن الذى أعطى المرأة الولود القدرة على الاخصاب قادر على أن يعطى العقيم هذه القدرة ، كما فعل ذلك لأم يحيى بن زكريا ، عليهما السلام •

« هنالك دعا زكريا ربه ، قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة ، انك سميع الدعاء ، فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين • قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر ، قال كذلك الله يفعل ما يشاء » (٣) •

وهكذا يرى المؤمنون بالله أن الله خالق الكون ، ومدبر أمره ، وواضع ســننه لا يتقيد بهــذه السنن الظاهرة ، وأن وراء هذه السنن سننا أخرى فوق ما نعرف ، وأن الكون ليس كما يزعم السطحيون من المــاديين ، ميكانيكيا يسير حسب ما يتصــورون ، وأنه ليس له مدبر يدبر أمره ، وينظم شئونه •• لا • ان الكون أكبــر مما يتصوره هؤلاء وأعظم ، وما عرفوا منه الا الأسماء التى يسترون بها جهلهم ، وينفسون بها عن غرورهم •

ان الأمر كما قال القرآن الكريم :

« وما أوتيتم من العلم الا قليلا » (٤) •

جاء فى كتاب (الاسلام مع الحياة) بعنوان (العلم الحديث ورد الشمس) :

---

(١) سورة مريم : ٢٠،٢١ •

(٢) سورة الأنبياء : ٩١ •

(٣) سورة آل عمران : ٣٨ ــ ٤٠ •

(٤) سورة الاسراء : ٨٥ •

جاء فى قصص الأنبيــاء : أن يوشع بن نون كان فى معــركة مع أعداء الله ، وكادت الشمس تغرب قبل أن ينتهى القتال ، فخشى أن يعجزوه اذا امتد القتال الى اليوم التالى ، فقال للشمس : أنت فى طاعة الله ، وأنا فى طاعة الله ، فأسألك أن تقفى حتى ينتقم الله من أعدائه قبل الغروب ، فاستجاب الله الدعاء ، ووقفت الشمس ، وزيد فى النهار حتى تم النصر ليــوشع .

وقال الله تعالى :

« فأوحينا الى موسى أن اضرب بعصاك البحر ، فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم »(١) .

قال المفسرون : ان موسى عليه السلام ومن معه هربوا من فرعون خوف القتل ، ولـمــا إنتهوا الى البحر ، ولم يجدوا سبيلا الى ركوبه أوحى الله الى موسى أن يضرب البحر بعصاه ، وحينما امتثل ما أمر الله به تجمع المــاء على الطرفين بعضه فوق بعض ، حتى صار كالجبل ، وخرج موسى وأنصــاره ، وتبعهم فرعون وقومه فى نفس الطريق ، فأغرقهم الله ، وكان البحر يبسا فى طريق موسى ، وماء فى طريق فرعون .

وكذب الكافرون كلا من المعجزتين أو الحادثتين .

أولا : لأنها خرق لقوانين الطبيعة .

ثانيا : لو صحت لجاء ذكرها فى غــير الكتب الدينية ، لأنهــا من الأحداث العالمية العجيبة .

وقرأت فى جريدة الجمهورية عدد ١٣/١٢/١٩٥٧ أن كتابا فى علوم الطبيعة ظهر حديثا ، وقد أثار ضجة كبرى فى الأوساط العلمية ، ولدى المؤرخين حيث أثبت بالأرقام المحسوسة واقعة انشقاق البحر ، ووقوف الشمس فى كبد السماء .

أما المؤلف فهــو عالم روسى من علماء الطبيعة اسمه (ايمانويل فليكوفسكى) درس العــلوم الطبيعية فى جامعــة ادنبورج ، ودرس

---

(١) سورة الشعراء : ٦٣ .

التاريخ والقانون والطب فى جامعة موسكو • ودرس علم الأحياء فى برلين وفى زيورخ ، ودرس الطب النفسى فى فيينا ، ولقد خرج المؤلف من أبحاثه التى استمرت أكثر من عشر سنوات الى استنتاجات علمية تؤيد بدون قصد ما جاء فى القرآن وسيرة الأنبياء عليهم السلام •

وقد رأيت أن أنقل للقراء مقتطفات من الكتاب كما ترجمتها ، ونشرتها جريدة الجمهورية •

قالت الجريدة : يقول المؤلف : ان نيزكا هائلا مر الى جوار الكرة الأرضية فى عهد يوشع خليفة موسى عليهما السلام • ثم عادت الظاهرة الى الوجود بعد ذلك بسبعمائة عام •• وهذه الظاهرة الكونية الهائلة التى تسيرها قوى خارقة غير مرئية تفسر المعجزات التى جاء ذكرها فى الكتب السماوية والتوراة والانجيل والقرآن •

ان اقتراب كوكب أو نيزك كبير من الأرض يحدث ظواهر متعددة ، منها أن دوران الأرض حول نفسها يقل أو يقف حتى يخيل الى الناس أن الشمس قد وقفت فى كبد السماء ، ومنها انشقاق البحر • وانعقاد أعمدة من الغمام فى النهار والليل ، ولقد مر كوكب فى عهد الفراعنة ، فأمطر الأرض سيلا أحمر طبع الأرض والنيل والبحر بلون الدم • وهذا يؤيد ما جاء فى الآية الكريمة :

« فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم » (١)

وقد تساقط هذا التراب الأحمر فى جهات متفرقة من الأرض :

ان المعجزة التى تخرق كل قوانين الفلك والطبيعة لا تصنعها سوى قدرة الخالق وحده •

لقد تمت المعجزة حين هرب موسى من اضطهاد فرعون مصر ، فتابعه فرعون بجيوشه ، ولكن انشق البحر ، فمر موسى ومن معه بسلام حتى اذا أتبعهم فرعون وجنوده عاد البحر الى سيرته الأولى ، فانطبق على المطاردين ، وابتلع الرجال والفرسان ولم ينج منهم أحد •

---

(١) سورة الأعراف : ١٣٣ •

ويقول المؤلف : انه فى العهد الذى يقابل عهد موسى ، يقول المؤرخون الصينيون ان الشمس آنذاك لم تغرب حتى لقد حرقت الغابات ، وذاب الجليد • وهكذا لبثت الأرض ساكنة كأن قوة جبارة قد صنعتها ، ولا يعرف على وجه التحديد كم استمر وقوفها قبل أن تتابع دورانها حول نفسها مرة أخرى •

ولكن هل تابعت الأرض دورانها فى نفس الاتجاه ؟

ان الأرض الآن تدور من الغرب الى الشرق ، فهل كانت هكذا دائما ، اذا رجعنا فى الاجابة على هذا السؤال الى الخرائط القديمة فان الاجابة هى لا ، لأن الخرائط التى رسمها قدماء المصريين فى سقف أحد المعابد تدل على أن الأرض كانت تدور قبل وقوفهـا من الشرق الى الغرب ، وهذا ما أكده أفلاطون فى حواره عن السياسة حيث قال :

(ان الشمس من قبل كانت تغيب حيث نراها تشرق) ، وهذا يفسر الآية الكريمة :

« رب المشرقين ورب المغربين »(١) •

الفرق بين آيات الرسل وغيرها من الخوارق :

ولا تلتبس معجزات الرسل وآيات الأنبياء بما يحدث على يد غيرهم من خوارق العادات ، فان المعجزات تأتى مصحوبة بالتحدى ، وتصدر عن رجال عرفوا بالتقوى والصلاح ، وأنهم بلغوا منهما الذروة التى لا يتطاول اليها أى انسان •

وتأتى المعجزات بدون كسب لأحد من البشر ، فالله هو الذى يمدهم بها مباشرة لأنها كما قلنا ليست فى مقـدورهم ولا مقدور غيرهم من الناس ، وانما هى آية من الله وحده ، ومعجزة لنبيه يتحدى بهـا معـارضيه •

وأما ما يظهر على يد غير الرسل من خوارق العادات فهو كما قال

---

(١) سورة الرحمن : ١٧ •

الشيخ رشيد رضا : منقول عن جميع الأمم فى جميع العصور ، نقلا متواترا فى جنسه دون أنواعه وليست كلها حقيقة .

فان منها ماله أسباب مجهولة للجمهور ، وان منها لمـا هى صناعى يستفاد بتعليم خاص ، وان منها لمن خصائص قوى النفس فى توجيهها الى مطالبها ، وفى تأثير أقوياء الارادة فى ضعفائها .

ويدخل فى هذين الأمرين المكاشفة فى بعض الأمور ، والتنويم المغناطيسى ، وشفاء بعض المرضى ، ولاسيما المصابين بالأمراض العصبية التى يؤثر فيها الاعتقاد والوهم ، ثم يقول :

ومنها انخداع البصر بالتخيل الذى يحذقه المشعوذون ، ومنه ما فعله سحرة فرعون المعنى بقوله تعالى :

« فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى »(١) .

ومنه انخداع السمع كالذى يفعله الذين يدعون استخدام الجن إذ يتكلمون ليلا بأصوات غريبة عن أصواتهم المعتادة ، فيظن مصدقهم ، أن ذلك صوت الجن ، وقد يتكلمون نهارا من بطونهم من غير أن يحركوا شفاهم ، فلا ينبغى أن يوثق بشىء من أخبارهم .. الخ .

فأين هذا من معجزات الأنبياء وآيات الرسل .

أين هذا من انشقاق البحر لموسى ، واحياء الموتى لعيسى ، واخراج الناقة من الصخرة لصالح ، ونبع المـاء من أصابع محمد صلوات الله وسلامه عليه .

الفرق بين المعجزة والكرامة :

والكرامة هى ما يكرم الله به أولياءه بما يظهره على أيديهم ، وليس من شرطها أن تكون خارقة للعادة ، ولا خارجة عن مألوف الناس .

ومن الكرامة الاستقامة ، والتوفيق الى طاعة الله ، والزيادة فى العلم والعمل وهداية الخلق الى الحق .

وقد يحدث بعض الخوارق للعادات على أيدى بعض الصالحين فى

---

(١) سورة طه : ٦٦ .

بعض الأحوال ، فيعد ذلك من الكرامات التى تلازم بعض المخلصين لله والمتفرغين لعبادته ، والذين سلمت فطرهم وزكت نفوسهم ، كما وقع للسيدة مريم ، وقد حكى القرآن الكريم عنها أنه :

« كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، قال يا مريم أنى لك هــذا ، قالت هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشــاء بغير حساب »(١) •

ولكن مع ذلك لا يتحدى بها ، بل الأصل فيها الاخفاء والكتمان ، قال الشيخ أحمد الرفاعى: ان الأولياء يستترون من الكرامة كما تستتر المرأة من دم الحيض ، وهذا يخالف المعجزة ، لأن اظهارها واجب ليتم بها تبليغ الرسالة •

معجزة خاتم الأنبياء :

ما بعث الله رسولا الا وقد أيده الله بالآيات الكونية والمعجزات المخالفة للسنن المعروفة للناس ، والخارجة عن مقدور البشر ، ليكون اظهارها على يديه مع بشريته دليلا على أنه مرسل من عند الله •

فعدم حرق النار لابراهيم ، وناقة صالح ، وعصا موسى ، وما ظهر على يدى عيسى(٢) من العجائب ، كلها من هذا القبيل •

وكانت الآيات حسية يوم أن كان العقل الانسانى فى الطور الذى لم يبلغ فيه الرشد بعد ، ويوم أن كانت هذه العجائب تبلغ من نفسية الجماهير مبلغا لا تملك معه الا الاذعان والتسليم •

فلما بدأ النوع الانسانى يدخل فى سن الرشد،وبدأت الحياة العقلية تأخذ طريقها الى الظهور والنماء لم تعد تلك العجائب هى الأدلة الوحيدة على صدق الرسالة •

---

(١) سورة آل عمران : ٣٧ •

(٢) كان السحر مشتهرا فى عهد موسى ، وكان الطب وانكار الروح فى عهد عيسى ، وكانت البلاغة فى عهد محمد ، فكانت معجزة كل نبى من جنس ما اشتهر على عهده ، مع ملاحظة أن المعجزة فوق مقدور البشر ، فهى أعلى مستوى وأرفع قدرا •

ولم يعد من السهل على العقل أن يذعن لمجرد شيء رآه خارجا عن عرف الحياة •

انه يريد شيئا جديدا يتناسب والطور الذى وصل اليه • يريد الايمان الذى لا تخالطه الشكوك ، واليقين الذى يبدد ظلام الشبهات •

وما كان الله ليمد النوع الانسانى فى طفولته بما يحفظ به حياته الروحية ، ثم يدعه بعد أن أخذ سبيله الى النظر العقلى ، والاستقلال الفكرى دون أن يقيم له من الأدلة ما يتناسب والارتقاء الذى انتهى اليه ، فكان أن بعث محمدا صلى الله عليه وسلم ، وأيده بالمعجزة العلمية ، والحجة العقلية ، وهو القرآن الكريم •

« قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » (١) •

وروى البخارى ومسلم عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(ما من الأنبياء نبى الا أعطى ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله الى ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيـــامة) •

وهذا القرآن ليس من تأليف أحد ، انما هو وحى الله أنزله على أكمل صورة من صور الوحى •

« وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى اليه باذنه ما يشاء ، انه على حكيم » (٢) •

فالآية تقرر أنواع الوحى الثلاثة :

(ا) (وحيا) أى القاء المعنى فى القلب المعبر عنه بالنفث فى الروع وفى الحديث :

(ان روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب) •

---

(١) سورة الاسراء : ٨٨ • (٢) سورة الشورى : ٥١ •

(ب) الكلام من وراء حجاب ، وهو أن يسمع الموحى اليه كلام الله ، من حيث لا يراه ، كما سمع موسى عليه الصلاة والسلام النداء من وراء الشجرة .

« قال لأهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون . فلما أتاها نودى من شاطىء الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى انى أنا الله رب العالمين » (١).

(جـ) ما يلقيه ملك الوحى المرسل من الله الى رسوله ، فيراه متمثلا بصورة رجل أو غير متمثل .

روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها ، أن الحارث بن هشام ، سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحى ؟ . فقال : أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده على ، فيفصم عنى ، وقد وعيت عنه ما قال ، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا ، فيكلمنى فأعى ما يقول .

قالت عائشة رضى الله عنها : ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد ، فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا .

وأكمل هذه الأنواع هو ارسال الرسول بالوحى .

وهذه الصورة هى التى نزل بها القرآن الكريم ، فقد نزل بواسطة جبريل عليه السلام .

« وانه لتنزيل رب العالمين . نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربى مبين » (٢) .

« قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين » (٣) .

جاء هـذا الوحى ثورة على الباطل فى كل صوره ، وعلى الفساد فى جميع مظاهره فثار على الخرافات التى لوثت العقول ، وعلى الانحراف

---

(١) سورة القصص : ٢٩ ، ٣٠ .
(٢) سورة الشعراء : ١٩٢ — ١٩٥ .
(٣) سورة البقرة : ٩٧ .

الذى شوه الفطر ، كما ثار على العرف الفاسد الذى عطل حرية الفكر واستقلال الارادة .

ثار على هذا كله ثورة عاتية دمرت كل معالم الشر ، ومحت كل لون من ألوان الفساد واستبدل بها الحقائق التى تهدى العقل ، وتنير الضمير ، وتسمو بالنفس ، لتصل الى أقصى ما قدر لها من الكمال الانســانى .

واستهدف تهذيب الفرد ، وتعاون الجماعة ، وايجاد حكم أساسه الشورى ، وغايته حراسة دين الله وسياسة دنيا الناس ، والدعوة الى هداية هذا الدين لتعم الأخوة الانسانية ، مما يعجل بسلام عام يعيش الناس فى ظله آمنين .

ولم تكن هذه الثورة تستهدف مصلحة ذاتية ، ولا منفعة وطنية ، ولا ترجيح كفة جماعة حاكمة على كفة جماعة أخرى ، ولا ايثار مذهب على مذهب ، وانما كانت لخير العالم كله ومصلحة الناس جميعا .

جاء هذا الوحى ليحل المشكلات التى أعضلت الناس قديما وحديثا .

وليجيب على كل سؤال من هذه الأسئلة :

١ ــ ما هو الدين وما مبادئه ؟

٢ ــ من هو الله ؟ وما صفاته ؟

٣ ــ ما هى الرسالة ؟ ومن هم الرسل ؟ وما وظائفهم ؟

٤ ــ ما ماهية الحياة بعد الموت ؟

٥ ــ ما هو الخير ؟ وما هو الشر ؟ وما كيفية الجزاء عليهما ؟

٦ ــ لمــاذا خلق الانسان ؟ وما مركزه فى الكون ؟

٧ ــ ما علاقة الانســان بغيره ؟ وما علاقة الأمم والشــعوب بعضها ببعض ؟

٨ ــ ما علاقة الرجل بالمرأة ؟

٩ — ما هى الثروة ؟ وما مصدرها ؟ وما هى كيفية توزيعها ؟

١٠— ما هى الحياة الطيبة ؟ وما السبيل اليها ؟

وهكذا يمضى القرآن يضع أمام العقل الانسانى مئات المسائل التى لا يستغنى عنها فى دور العلم والفلسفة ، والتى تعجز جميع العقول الانسانية عن الاحاطة بعشر معشارها ، فضلا عن الاحاطة بها كلها ، والتى يحتاج اليها فى قطع مرحلة هذه الحياة لتكون أعلاما هادية ، تجنبه الضلال فى شئون الدين والانحراف فى تقلبات الدنيا •

« ولو أنما فى الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله »(١) •

كل هذه المسائل جاءت فى أسلوب بلاغى رائع يملك على المرء حسه ويستولى على مشـاعره ، ويوقظ حواس الخير فيه ، مع بعـــده عن الاختلاف ، وسلامته من التناقض •

« ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » (٢) •

انه لم يعرف لكتاب من الكتب مثل ما لهذا القرآن ، من سمو الموضوع ، وسحر البيان ، وقوة التـــأثير مما وجه عناية العلماء الى الاهتمام بدراسته من حيث ألفاظه ، ومعانيه وعقائده ، وآدابه وأحكامه ، وتشريعاته • فخلقوا بهذه الدراسة ثروة ضخمة من العـــلم والأدب ، لا تزال ولن تزال المـــادة الصالحة لقيام حضارة انسانية ينعم فيها البشر بحياة أفضل وعيش أرغد •

« وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ، ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا »(٣) •

هذه هى المعجزة التى أيد الله بها نبيه الأمى ، والتى غير بهـــا نفوسا ، وأحيا قلوبا وأنار بصائر ، وربى أمة ، وكون دولة ، فى سنى تعد على الأصابع •

---

(١) سورة لقمان : ٢٧ •
(٢) سورة النساء : ٨٢ •
(٣) سورة الشورى : ٥٢ •

اذا كان قلب العصا حية معجزة فان تغيير العقول والقلوب أبلغ في الاعجاز .

واذا كان احيـــاء الميت من الخوارق التى أيد الله بها بعض أنبيائه فان احياء أمة أمية من الجهل والرذيلة ، وجعلها مصدر اشعاع وهداية ، هو الخارق الذى تتضاءل فى جوانبه جميع المعجزات .

الله أكبر ان دين محمـــــد　　وكتابه أقـــوى وأقوم قيـــلا
لا تذكر الكتب السوالف عنده　　طلع الصـــباح فأطفأ القنديلا

الـــــرّوح

* الانسان جسد وروح
* العلم الحديث والمباحث الروحية
* حدوث الروح
* الروح والنفس
* الروح بعد مفارقتها الجسد
* السؤال فى القبر
* مستقر الأرواح

الانسان مركب من جسد وروح :

فبالجسد يتحرك ويحس •

وبالروح يدرك ، ويعى ، ويفكر ، ويعلم ، ويريد ، ويختار ، ويحب ويكره •

وأصل الجسد التراب ، وهذه قضية مسلم بها ، فان الانسان لا يكاد يموت حتى ينحل الى عناصره الأولى التى لا تختلف عن باقى عناصر الأرض •

فلو أخذ الانسان جزءا من تراب الأرض الخصبة ، وحللها تحليلا كيماويا لوجدها تتركب من عدة عناصر ، ولو أخذ قطعة من جسم الانسان وأجرى عليها عمليات التحليل لوجدها تتركب من هذه العناصر نفسها •

وقد أحصى العلماء العناصر التى يتألف منها جسم الانسان :

وقالوا : ان به من الكربون ما يكفى لعمل ٩ آلاف قلم رصاص ، وبه من الفسفور ما يكفى لعمل ٢٠٠٠ رأس عود كبريت ، وفى الانسان حديد ، وجير ، وبوتاسيوم ، وملح ، ومغنسيوم ، وسكر ، وكبريت ، وهى كلها من المعادن التى تتألف منها تربة الأرض •

أما الروح فان أمرها كان وما زال مثارجدل ونقاش بين العلماء والفلاسفة ، ولم ينتهوا فى شأنها الى رأى حاسم بعد !

أما القرآن ، فقد أجاب عن التساؤل الذى ثار حولها اجابة تعد معجزة من معجزاته الكثيرة :

« ويسألونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا »(١) •

فالروح من أمر الله الذى لا يعلمه غيره ، ولم يطلع عليه أحدا سواه ، ولم يعط الانسان الوسائل التى توصله الى هذا اللون من العلم والاحاطة به ، فعـلم الانسان قليل ومحدود ، وهو لم يدرك حقيقة

---

(١) سورة الاسراء : ٨٥ •

المـادة ، ولا الـكون المحسوس المحيط به ، فكيف يتطلع الى ادراك سر من أسرار الله ، وغيب من غيوبه ؟؟

ان كل ما يمكن أن نعرفه عن الروح هو أنها تحل فى الجسم ، فتدب فيه الحياة ويظهر فيه الادراك ، والوعى ، والتفكير ، والعلم ، والإرادة ، والاختيار ، والحب ، والبغض ، وأنها تفارق الجسم ، فيتحول الى مادة هامدة جامدة كسائر المواد •

ومن ثم فقد كانت الروح هى المميزة للانسان عن غيره فى هذا العالم ، وبها صار عالما وحده ، وبالروح أسجد الله للانسان ملائكته وسخر له ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ، وجعله سيد هذا الكون ، وخليفته فى الأرض •

« واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون • فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين »(١) •

وقد عرفها العلماء من المسلمين : بأنها ذات مجردة عن المـادة ، وأنها جسم نورانى علوى حى ، يغاير هذا الجسم المـادى ، ويسرى فيه سريان المـاء فى العود الأخضر ، لا يقبل التحلل ولا الانقسام ، يفيض على الجسم الحياة وتوابعها ، ما دام الجسم صالحا لقبول الفيض •

العلم الحديث والمباحث الروحية :

ووجود الروح متفق عليه فى الأديان السماوية كلها •

وظل الملايين من البشر يعتقدونه ، ويؤمنون به منذ عرفوا هذه الأديان ، حتى كان المذهب المـادى الذى انتشر فى القرون الثلاثة الأخيرة • فأخذ ينكر هذه الثنائية بقوة ، ويعلن أنه ليس هناك عالم سوى هذا العالم المنظور ، وأنه ليس شىء سوى المـادة ، وأنه لا مكان للروح فى هذا الوجود •

ولقد تأثر كثير من الناس بهذا المذهب ، ووجد له معلمون وأنصار

---

(١) سورة الحجر : ٢٨ ، ٢٩ •

فى كل مكان ، حتى كاد يطمس على كل معتقد دينى ، ويطغى على كل ما عرفه الناس من التعاليم الالهية ، وجرف معه العلوم الطبيعية فى هذا الاتجاه . الا أن الله سبحانه قيض من العلماء من يتدارك هذا الأمر ، ويقيم الأدلة العلمية على وجود عالم روحانى وراء هذا العالم المنظور بما لا يدع مجالا للشك ، ولا موضعا للارتيـــاب ، فتأسست جمعيات لدراسة المباحث الروحية . وقد ثبت لها من الحقائق ما لم يكن يخطر على بال ، ونحن نذكر ما كتبه العلامة الأستاذ محمد فريد وجدى (رحمه الله) فى ذلك قال :

فى تاريخ تأسيس جمعية المباحث الروحية فى انجلترا سنة ١٨٨٢ :

جاء فى كتاب الشخصية الانسانية . للعلامة الأســتاذ (هـ . و . ميرس) . مدرس البسيكولوجيا فى جامعة كمبردج ما يأتى :

(حوالى سنة ١٨٧٣ حيث كان المذهب المــادى قد أوغل فى البلاد حتى وصل الينا ، وبلغ أوج سطوته على العقول .

اجتمع ثلة من الزملاء فى كمبردج ، وأجمعوا رأيا على أن هذه المسائل العويصة المتنازع فيها . (يريد المباحث الروحية) تستحق التفاتا ، وجهدا جديا أكثر مما عولجت بهما الى ذلك الحين ، وكنت أرى أنا أن محاولة جديرة بهذا الاسم لم تعمل الى ذلك الوقت للبت فى : هل نحن أهل ، أو غير أهل للالمــام بشىء يتعلق بالعــالم غير المرئى ؟ وكنت مقتنعا بأنه لو أمكن معرفة شىء من ذلك العالم على أسلوب يمكن العلم أن يقبله ، ويحفظه ، فلا يكون ذلك بالتنقيب فى الأساطير القديمة ، ولا بوسيلة التأمل فيما بعد الطبيعة ، ولكن بواسطة التجربة والمشاهدة ، وبتطبيقنا على الظواهر التى تحدث فينا أساليب المباحث المضبوطة نفسها فانها منزهة عن الهوى ، ومتروى فيها ، أقصد بها تلك الأساليب التى نحن مدينون لها بمعارفنا عن العالم المرئى المحسوس .

فالمباحث التى يجب علينا عملها ولا يمكن أن تقتصر على تحليل ساذج للأسانيد التاريخية ، أو التى صدرت عن هذا الوحى ، أو ذاك مما حدث فى الزمان المــاضى ، ولكن يجب أن تؤسس قبل كل شىء —

ككل بحث علمى بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة — على تجارب يمكننا تكرارها اليوم ، مؤملين أن نزيد عليها غدا ، فلا يمكن أن تكون الا مباحث مؤسسة على هذه القضية وهى :« اذا كان يوجد عالم روحانى • وكان هذا العالم الروحانى موجودا فى أى عهد كان • وكان قابلا لأن يظهر ويستكشف ، فيجب أن يكون ذلك فى أيامنا هذه) •

(فمن هذه الوجهة ، وبالحرى على هذه الاعتبارات العامة ، واجهت الجمعية التى أنا عضو فيها هذه المسألة) •

ثم أخذ الأستاذ « ميرس » يسرد التجارب التى عملها ، وعملها غيره مما لا سبيل الى نشره هنا ثم قال : ما هى الأدلة التى تحملنى على الاعتقاد بأن كل هذا ليس بصحيح ؟ هذا سؤال يجب أن يضعه كل انسان نصب عينه ، اذ التوصل الى التحقيق بغير طريق التأمل من الجهل المطلق الذى هو عليه بماهية الوجود الحقيقية •

(انى أعترف فى كل حال بأن معارفى فيما هو مرجح أو غير مرجح فى الوجود لم تظهر لى كافية لرفض مشاهدات يظهر لى بحق أنها حقيقة، وأنها مع ذلك ليست مناقضة لمشاهدات وأصول عامة أكثر منها تأسيسا ، ومهما كان مجال المشاهدات العلمية واسعا فانه حتى باعتراف ممثلى العلم الرسمى — ليس الا نظرة عجلى فى العالم المجهول ، وغير المتناهى للنواميس الطبيعية) اه •

هذا هو تاريخ تكون جمعية المباحث الروحية بلوندره سنة ١٨٨٢ • من أقطاب العلم فى انجلتره ، ولا تزال باقية للآن •

وقد جمعت من التجارب الروحية ما وقع فى نحو أربعة وخمسين مجلدا وهو ذخر علمى لم يوجد له مثيل قط فى أى عهد من عهود العقلية الانسانية ، فاذا أراد قراؤنا أن يدركوا مقام هذه الجمعية فى نظر رجال

العلم ، فليقرأوا ما كتبه عنها الأستاذ وليم جيمس[1] فى كتابه ارادة الاعتقــاد • قال فى الصفحة ٣١٣ :

(ان جمعية المباحث الروحية التى يمتد عملها فى انجلتره وأمريكا قد سمحت بأن يتلاقى العالمــان : العلمى والروحانى فى مجال واحد ، وانى أعتبر آن هذه الجمعية مهما كانت وظيفتها محدودة سيكون لها نصيب كبيــر فى ترتيب المعارف الانسانية ، فلهذا آستحسن أن أفضى الى القارىء بنتائج أعمالها بايجاز ، فأقول :

(اذا صدقنا الجرائد • وأوهام الصالونات ــ خيل الينا أن الضعف العقلى وسرعة التصــديق هما الرباط المعنوى الجامع بين أعضاء هذه الجمعية ، وأن حب العجائب هو الأصل المحرك لها ، والواقع أنه يكفى أن نلقى نظرة واحدة على أعضائها لدحض هذه التهمة ، فان رئيس هذه الجمعية هو الأستاذ (سدجوبك) المعروف بأنه أشد الناس شكيمة فى النقد ، وأعصاهم قيادا فى الشك بجميع البلاد الانجليزية • ووكيلاها (المستر آرثر بلفور) • (والأستاذ ج• ب• لنجلى) سكرتير المجمع العلمى ويمكن التنويه • من أعضائهــا العاملين (بالأســتاذ ريشيه الفيزيولوجى) الفرنسى الخطير ، وتشمل قائمة أعضائها رجالا آخرين كفايتهم العلمية أشهر من نار على علم ، فاذا طلب الى أن أعين جريدة علمية تكون مصادر أغلاطها منقاة بأدق أساليب التمحيص • فانى أنوه بمحاضر جمعية المباحث الروحية ، فان الفصــول الفيزيولوجية التى تنشرها الجرائد الخاصة بهذا العلم لا تبلغ فى دقة النقد مبلغ دقة هذه المحاضر المذكورة ، حتى أن صرامة الأساليب الكشافة التى طبقت منذ عدة سنين على شهادات بعض الوسطاء كانت بحيث توجد اختــلاف الآراء فى باطن الجمعية نفسها) [2] اه•

---

(١) وهو مدرس علم النفس بجامعة هارفارد بالولايات المتحدة • ويعتبر بلا منازع أعظم علماء النفس فى القرن التاسع عشر ، وأن تلميذه وليم مكدوجل أستاذ علم النفس بجامعة ديوك ــ يعتبر عمدة فى علم النفس الاجتماعى ــ وهو من أعظم علماء النفس فىالقرن العشرين !

(٢) ولا تزال هذه الجمعية قائمة الآن فى انجلترا وأمريكا وهى تقبل فى عضويتها المؤمنين بوجود الأرواح والمناهضين لهذه الفكرة ، وكل ما تشترطه هو الاهتمام بالروح كظاهرة طبيعية •

وقبل أن تتألف هــذه الجمعية حمل الرأى العــام المجمع العلمى الانجليزى على تأليف لجنة لفحص الظواهر الروحية ، وتمحيصها، فندبت ثلاثا وثلاثين علما من أعلامها للقيام بهذه المهمة العلمية ، فبذلوا فى تحقيق هذا الموضوع ثمانية عشر شهرا ، ثم حرروا تقريرا اجماعيا وقع فى ٥١٤ صفحة ، وطبع فى أكثر اللغات الحية ، جاء فى آخره ما نصه :

(عقدت هذه اللجنة اجتماعاتها فى البيوت الخاصة بالأعضاء لأجل نفى كل احتمال فى اعداد آلات لاحداث هذه الظواهر أو أية وسيلة من أى نوع كانت) •

(وقد تحاشت اللجنة أن تستخدم الوسطاء المشتغلين بهذه المهنة ، أو الذين يأخذون أجرا على عملهم هذا ، لأن واسطتها كان أحد أعضاء اللجنة • وهو شخص جليل الاعتبار فى الهيئة الاجتماعية • وحاصل على صفة النزاهة المطلقة وليس له من غرض مالى يرمى اليه • ولا أية مصلحة فى غش اللجنة) •

(وكل تجربة من التجارب التى عملناها بما أمكن لمجموع عقولنا أن نتخيله من التحوطات عملت بصبر وأناة وقــد دبرت هذه التجارب فى أحوال كثيرة الاختلاف ، واستخدمنا لها كل المهارة الممكنة لأجل ابتــكار وسائل تســمح لنا بتحقيق مشاهداتنا ، وابعــاد كل احتمال لتزوير ، أو توهم) •

(وقد اكتفت اللجنة فى تقريرها بذكر المشاهدات التى كانت مدركة بالحواس ، وحقيقتها مستندة الى الدليل القاطع) •••

(وقد بدأ نحو أربعة أخماس أعضاء اللجنة تجاربهم ، وهم فى أشد درجات الانكار لصحة هذه الظواهر ، وكانوا مقتنعين أشد الاقتناع بأنها كانت اما نتيجة التدليس ، أو التوهم ، أو أنها تحدث بحركة غير اعتيادية للعضلات ، ولم يتنازل هؤلاء الأعضاء المنكرون للغــاية عن افتراضاتهم هذه الا بعد ظهور المشاهدات بوضوح لا تمكن مقاومته فى شروط تنفى كل فرض من الفروض السابقة •

وبعد تجارب وامتحانات مدققة مكررة ، اقتنعوا مضطرين بأن هذه المشاهدات التى حدثت فى خلال هذا البحث الطويل هى مشاهدات حقة لا غبار عليها) •• الخ •

هذا ما ورد فى ذيل التقرير الضخم • ولسنا فى حاجة لأن نقول : (ان هذا أكبر حدث سجل فى تاريخ العلم •

ومن العبث المحض أن يتوهم متوهم ان الحقيقه تضيع ، أو أن التدليس يروج بين يدى ثلاثة وثلاثين رجلا من أعلام العلم المتمرسين على النظر والتمحيص ، وتمييز الغث من السمين فى كل ضروب البحوث البشرية •

ولقد كان لهذا التقرير أثر عالمى عام ، فهب ألوف من العلماء والفهماء فى جميع ممالك الأرض لبحث هذه الخوارق ، وألفوا لها مئات من الجمعيات • ونشروا مثلها من المجلات ، ووضعوا فيها ألوفا من الكتب • ولا تزال هذه المؤسسات قائمة الى اليوم • والاهتمام بها يزداد على نسبة كثرة ما يعمل فيها من التجارب والبحوث • وقد أقيمت لها خمس مؤتمرات عالمية فى لوندرة ، وباريس وغيرهما • أصدرت تقارير اضافية ترجمت الى اللغات الحية) •

ثم بعد أن ذكر شهادة كثير من العلماء على صحة وجود عالم وراء هذا العالم • قال:

(يرى قراؤنا مما قدمناه أن العلماء المنصرفين لدراسة الكون والكونيات • قد ظهر لهم عقب حدوث اكتشافات خطيرة لم تكن تخطر لهم ببال ، أن حدود العلم لاتزال بعيدة عنهم •

وأن كل ما حصلوه منه لا يعدو العلاقات الموجودة بين بعض ما يقع تحت حسهم من الموجودات •

أما كنه تلك الموجودات ، وحقيقة النواميس التى تدبرها ، فلا يزال أمرهما مجهولا ، وقد تجلى لهم أن من الحماقة وضع حد للممكنات ، والتكذيب بما لم يحيطوا بعلمه من المجهولات ، ثم يرى قراؤنا أيضا أن طائفة من أماثل هؤلاء العلماء قد وقفوا منذ تسعين سنة عقب ظهور

حوادث محققة تدل على وجود عالم وراء العالم المحسوس ، الى التنقيب عن حقيقة ذلك العالم جارين على أسلوبهم العلمى من المشاهدة والتجربة، فوقفوا على أمور لم يكن يدور فى خلد أحد أن أقطاب العلم المادى يعودون ، فيثبتون وجودها ، وقد سبق لهم نفيها ، والتشنيع على القائلين بها من الشئون الروحانية •

ولسنا نريد أن نثبت امكان الوحى بالاستناد الى اكتشاف هؤلاء العلماء فى عالم ما وراء الطبيعة ، فقد أثبتنا وجوده بالحس من الغرائز التى طبعت عليها الحيوانات • ومن حوادث العبقريات ، ولكننا نستأنس بها فى بحثنا هذا ، استدلالا على أن الانسانية قد اجتازت دور الافتتان بالماديات ، وبدأت تدخل الى عهد من الحياة تتفق فيها فتوحات الروح من طريق النبوة•وفتوحات العقل من طريق العلم ، فتستقيم على الجادة التى توصلها الى كمالها المرجو لها خالصة من الشبهات الرائنة على الصدور ، والشكوك المحيرة للعقول) اه •

الى هنا كانت مرحلة العلم بالناحية الروحية الى أواخر العقد الثانى من القرن العشرين • حتى اذا استثارت هذه المباحث عقل « وليم مكدوجل » • ورأى أن ندرة تلك الظواهر التى أشرنا اليها سابقا والتى اعتمد عليها العلماء السابقين فى تقريرهم • وهى الظواهر التى تعتمد على الوساطة الروحية • وهى نادرة الوجود بين الأفراد ، مما يجعل من المستحيل لتلك التجارب أن تتكرر بالانتظام العلمى المطلوب فى اثبات الظواهر الكونية ، والقوانين الطبيعية •

فطلب (مكدوجل) من صديقه الدكتور (راين) وكان أستاذا للنبات وعضوا فى جمعية المباحث الروحية التى سبقت الاشارة اليها ، أن ينتظم فى بحث علمى تجريبى يخضع لكل الاشتراطات العلمية من القابلية للتكرار ، والتحكم العلمى الدقيق • وأن يقوم (مكدوجل) بانشاء معامل تخصص لهذا النوع من البحث فقط•وفعلا أنشئت معامل الباراسيكولوجى « ما وراء علم النفس بجامعة ديوك » بولاية كارولينا الشمالية بالولايات المتحدة الأمريكية ، ودخل فيها « راين » وصحبته زوجته • وكانت هى الأخرى أستاذة لعلم النبات ، وبدأوا فى أوائل العقد الثالث يوالون

أبحاثهم التجريبية فى معامل تجريبيـــة أدخلت اليهـا وفيها جميـع أساليب الضبط ، والتحـكم العلمى الدقيق لدرجة أن القيـود العلميـة التجريبية التى أدخلت على بعض هذه التجارب كانت أكثر من أى قيود فرضت على أى تجربة علمية سابقا •

وقد كان من نتيجة هذه الأبحاث التجريبية الوصول الى النتـائج الآتيـة :

١ — درس راين ومعاونوه الظواهر الروحية الخارقة ، وبدأ بظاهرة انتقال الفكر (التلبثى) وأثبتوا وجودها علميا •

٢ — درسوا ظاهرة الاستشفاف ، أو الجـلاء البصرى • وهى الاحساس بالحوادث التى تحدث على مسافات بعيدة ، وأثبتوا وجودها •

٣ — أثبتوا ، أن انتقال الفكر ، والجلاء البصرى مظهران لظاهرة واحدة أطلقوا عليها اسم : (الادراك خارج الحواس) •

٤ — أثبتوا أن ظاهرة الادراك خارج الحواس لا تخضع للعـلاقة المكانية ، والزمانية التى تخضـع لهـا جميع الظواهر المادية • وظواهر الطاقة سواء أكانت كهربائية أو حرارية أو ضوئية أو غيرها ، بمعنى طاقة الجاذبية ، أو طاقة الضوء تخضع لقانون التربيع العكسى أى أن شـدة الجاذبية أو شدة الاضاءة ، تتناقص بنسبة تتناسب مع مربع البعد عن مصدر الضوء،أى أن قوة اضاءة الشمعة اذا أبعدت عن الرائى الذى يراها على بعد متر اذا أبعدت الى مترين ، أى ضعف المسافة نزلت قوة الاضاءة الى الربع • أى عكس مربع ٢ وهو ٤ فتصير ربع •

هذا من ناحية العلاقة المكانية التى تخضع لها كل أنواع الطاقة •

كذلك العلاقة الزمانية التى يعبر عنها فى العلوم الطبيعية بقـانون (السببية أو العلة والمعلول ، أى أن السبب يسبق النتيجة دائما ، ولكن هذا القانون انكسر فى تجارب الادراك خارج الحواس ، بمعنى أنه يحدث تنبؤ ، فيحدث الادراك العقلى للحـادثة « هى نتيجـة » قبل أن تحدث الحادثة فى الكون وهى المؤثر أو السبب •

٥ — أثبت هؤلاء الباحثون أن العقل الذى يتأثر بالقانون العـام

المعروف في علم النفس • وهو قانون المؤثر والاستجابة له ، أو الرد عليه ، كذلك العقل يستطيع أن يحس ، أو يتأثر بالمادة عن طريق الادراك الخارج عن الحواس ، وكذلك فيؤثر في المادة بالطاقة ، التي سموها الطاقة النفسية المحركة ، أي أن العقل يؤثر في المادة دون اتصال مادي مباشر •

٦ — فاذا كان هناك ادراك خارج عن الحواس ، وطاقة نفسية محركة ، فهذا دليل على أن للشخصية الانسانية شقا لا يخضع للقوانين الطبيعية المعروفة في عالم الفيزياء ، والكيمياء ، أي أنه شق روحي •

ومن شاء الاستزادة من هذه الأبحاث فليرجع الى كتاب « العقل وسطوته » ، تأليف «جه به راين» وترجمة الدكتور محمد الحلوجي • ففيه بحوث مستفيضة عن هذه الناحية • كما أن به أن هذه البحوث التجريبية قد عرضت على مؤتمرين لكل علماء الولايات المتحدة في الرياضة الاحصائية وفي علم النفس ، وأخذت اقرارهم جميعا عليها ، وبذلك فقد أصبحت الآن في موقف علمي فوق النقد ، أو الجدل •

حدوث الروح :

والروح حادثة ، وليست بقديمة باجماع المسلمين ، ويظهر أنها تحدث بعد تسوية الجسم ، وتتصل به ، وتحل فيه وهو جنين !

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال :

(حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الصادق المصدوق : « ان أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما • ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك • ثم يرسل الله تعالى الملك فينفخ فيه الروح • ويؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه•وأجله•وعمله• وشقي ، أو سعيد ، فوالذي لا اله غيره ، ان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون

بينه وبينها الا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهـل الجنة ، فيدخلها) (١) .

الروح والنفس :

والروح والنفس معناهما واحد ، يقول الله سبحانه وتعالى :

« اللــه يتوفى الأنفس حين موتهـا ، والتى لم تمت فى منامها ، فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمى »(٢) .

ويقول سبحانه :

« ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم » (٣) .

فالأنفس فى الآيتين المقصود بها الأرواح .

وقد ذكر القرآن النفس الأمارة بالسوء ، والنفس اللوامة ، والنفس المطمئنة وليست هذه بأقسام للنفس ، وانما هى صفات :

فالنفس فى حالة تسلط الغرائز ، وسيطرة الاستعدادات الفطرية عليها تكون أمارة بالسوء :

« ومــا أبرىء نفسى ، ان النفس لأمارة بالســـوء الا ما رحم ربى » (٤) .

فاذا تعلمت وتهذبت بالدين ، والتعاليم المثالية ، وجد الضمير . وهو الشعور النفسى الذى يقف من المرء موقف الرقيب يدعو الى الخيــر ، وينهى عن الشر ، ويحاسب بعد أداء العمل مستريحا للاحسان ، ومستنكرا للاســاءة .

فاذا وصـلت النفس الى هــذا الطور من اليقظــة والمراقبــة والمحاسبة واستراحت للخير ، وضاقت بالشر ، كانت فى هــذا الطــور نفسـا لوامة !

---

(١) رواه مسلم .
(٢) سورة الزمر : ٤٢ .
(٣) سورة الأنعام : ٩٣ .
(٤) سورة يوسف : ٥٣ .

« لا أقسم بيوم القيامة • ولا أقسم بالنفس اللوامة » (١) •

فاذا واصل الانسان جهاد نفسه ، فتخلص من الهوى ، وكبت شهوته ، وارتفع عن النقائص ، وسمت نفسه الى الحق ، والخير ، والجمال والكمال — بلغ منزلة الرشد الذى يريد الله أن يصل اليه الانسان فى هذه الحياة ، ليكون أهلا لجواره فى الدار الآخرة •

« ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم ، وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان ، أولئك هم الراشدون » (٢) •

وحين يرتفع الانسان الى هذا المستوى الرفيع تكون نفسه قد اطمأنت بالحق والخير •

« يا أيتها النفس المطمئنة • ارجعى الى ربك راضية مرضية • فادخلى فى عبادى • وادخلى جنتى » (٣) •

وما لم يصل الانسان الى هذا المستوى يكون قد عرض نفسه لخسارة لا يمكن تداركها بعد •

« ونفس وما سواها • فألهمها فجورها وتقواها • قد أفلح من زكاها • وقد خاب من دساها » (٤) •

الروح بعد مفارقتها للجسد :

والروح بعد مفارقتها للجسد يكون الموت ، وتبقى هى مدركة تسمع من يزورها ، وتعرفه ، وترد عليه السلام ، وتحس لذة النعيم ، وألم الجحيم •

قال ابن تيمية :

(وقد استفاضت الأخبار بمعرفة الميت بحال أهله وأصحابه فى الدنيا ، وأن ذلك يعرض عليه ، وأنه يرى ويدرى ما يفعل عنده ، ويسر بما كان حسنا ، ويتألم بما كان قبيحا ؟) •

---

(١) سورة القيامة : ١ ، ٢ • (٢) سورة الحجرات : ٧ •
(٣) سورة الفجر : ٢٧ — ٣٠ • (٤) سورة الشمس : ٧ — ١٠ •

وروى أن عائشة رضى الله عنها : بعد أن دفن عمر رضى الله عنه ، كانت تستتر وتقول (كان أبى وزوجى ، فأما عمر فأجنبى) .. تعنى أنه يراها .

(وروى أن الموتى يسألون الميت عن حال أهليهم ، فيعرفهم أحوالهم وأنه ولد لفلان ولد وتزوجت فلانة) اهـ .

السؤال فى القبر :

اتفق أهل السنة والجماعة على أن كل انسان يسأل بعد موته قبر أم لم يقبر فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار رمادا ، ونسف فى الهواء ، أو غرق فى البحر لسئل عن أعماله ، وجوزى بالخير خيرا ، وبالشر شرا . وأن النعيم أو العذاب على النفس والبدن معا . قال ابن القيم :

مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت اذا مات يكون فى نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه ، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة ، وأنها تتصل بالبدن أحيانا ، ويحصل له معها النعيم أو العذاب، ثم اذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح الى الأجساد ، وقاموا من قبورهم لرب العالمين ، ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى .

وفى مسند الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه ، وصحيح أبى حاتم : أن النبى صلى الله عليه وسلم : قال :ـ

ان الميت اذا وضع فى قبره انه يسمع خفق نعالهم ، حين يولون عنه ، فان كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه ، والصيام عن يمينه ، والزكاة عن شماله ، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والاحسان عند رجليه ، فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة : ما قبلى مدخل ، ثم يؤتى من يمينه ، فتقول الصيام : ما قبلى مدخل ثم يؤتى عن يساره ، فتقول الزكاة : ما قبلى مدخل ، ثم يؤتى من قبل رجليه ، فتقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والاحسان : ما قبلى مدخل ، فيقال له : اجلس ، فيجلس ، قد مثلت له الشمس ، وقد أخذت

للغروب • فيقال له : هذا الرجل الذى كان فيكم ما تقــول فيه ؟ وماذا تشهد به عليه ؟ فيقول : دعونى أصلى ، فيقولان : انك ستصلى ، اخبرنا عما نسألك عنه ؟ آرأيتك (١) هذا الرجل الذى كان فيكم ما تقــول فيه ؟ وما تشهد عليه ؟ فيقول : محمد — صلى الله عليه وسلم — أشــهد أنه رسول الله جاء بالحق من عنــد الله • فيقال له : على ذلك حييت ، وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث ان شاء الله ثم يفتح له باب الى الجنة ، فيقال له هذا مقعدك • وما أعد الله لك فيها ، فيزداد غبطة وسرورا ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا • وينور له فيه • ويعاد الجسد لما بدىء منه ، وتجعل نسمته (٢) فى النسم الطيب ، وهى طير معلق فى شجر الجنة ، قال : فذلك قول الله تعالى :

« يثبت اللــه الذين آمنــوا بالقــول الثابت فى الحياة الدنيــا وفى الآخرة » (٣) •

وذكر فى الكافر ضد ذلك الى أن قال : ثم يضيق عليه فى قبره الى أن تختلف فيه أضلاعه ، فتلك المعيشة الضنك التى قال الله تعالى :

« فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى » (٤) •

وقال الحافظ فى الفتح :

وذهب ابن حزم ، وابن هبيرة الى أن السؤال يقع على الروح فقط من غير عود الى الجسد ، وخالفهم الجمهور ، فقالوا : تعاد الروح الى الجسد ، أو بعضه كما ثبت فى الحديث ، ولو كان على الروح فقط لم يكن للبدن من ذلك اختصاص ، ولا يمنع من ذلك كون الميت قد تتفرق أجزاؤه ، لأن الله قادر أن يعيد الحياة الى جزء من الجسد ، ويقع عليه السؤال ، كما هو قادر على أن يجمع أجزاؤه •والحــامل للقائلين : بأن السؤال يقع على الروح فقط أن الميت قــد يشاهد فى قبره حال المسألة لا أثر فيه ، من اقعــاد ولا غيره ، ولا ضــيق فى قبره ، ولا ســعة ، وكذلك غير المقبور كالمصلوب • وجوابهم ! أن ذلك غير ممتنع فى القدرة ،

---

(١) أرأيتك : أى أخبرنا • (٢) نسمته : أى روحه •
(٣) سورة ابراهيم : ٢٧ • (٤) سورة طه : ١٢٤ •

بل له نظير فى العادة وهو النائم ، فانه يجد لذة وألما ، لا يدركه جليسه ، بل اليقظان قد يدرك ألما ولذة لما يسمعه ، أو يفكر فيه ، ولا يدرك ذلك جليسه ، وانما أتى الغلط من قياس الغائب على الشاهد ، وأحوال ما بعد الموت على ما قبله ، والظاهر أن الله تعالى صرف أبصار العباد وأسماعهم عن مشاهدة ذلك وستره عنهم ، ابقاء عليهم ، لئــلا يتدافنوا وليســت للجوارح الدنيوية قدرة على ادراك أمور الملكوت ، الا من شاء الله ، وقد ثبتت الأحاديث بما ذهب اليه الجمهور ، كقوله : (انه ليسمع خفق نعالهم) وقوله : (تختلف أضلاعه لضمة القبر) • وقوله : (يسمع صوته اذا ضربه بالمطراق) وقوله : (يضرب بين أذنيه) وقوله : (فيقعدانه) وكل ذلك من صفات الأجساد :

مســتقر الأرواح :

عقد ابن القيم فصلا ذكر فيه أقوال العلماء فى مستقر الأرواح ، ثم ذكر القول الراجح فقال :

(الأرواح متفاوتة فى مستقرها فى البرزخ أعظم التفاوت •

فمنها : أرواح فى أعلى عليين فى الملأ الأعلى ، وهى أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين • وهم متفاوتون فى منازلهم ، كمــا رآهم النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء •

ومنها : أرواح فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت •

وهى أرواح بعض الشهداء لا جميعهم ، بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه أو غيره ، كما فى المسند عن محمد بن عبــد اللــه بن جحش : (أن رجــلا جــاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ما لى ان قتلت فى سبيل الله ؟ قال : (الجنة)، فلما ولى قال : الا الدين سارنى به جبريل آنفا) •

ومنهم من يكون محبوسا على باب الجنة • كما فى الحديث الآخر : (رأيت صاحبكم محبوسا على باب الجنة) •

ومنهم من يكون محبوسا فى قبره كحديث صاحب الشملة التى غلها (١) ، ثم استشهد فقال الناس : هنيئا له الجنة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (والذى نفسى بيده ان الشملة التى غلها لتشتعل عليه نارا فى قبره) .

ومنهم من يكون مقره باب الجنة ، كما فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما (الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية) (٢) .

وهذا بخلاف جعفر بن أبى طالب ، حيث أبدله الله من يديه جناحين يطير بهما فى الجنة حيث شاء .

ومنهم من يكون محبوسا فى الأرض ، لم تعل روحه الى الملأ الأعلى فانها كانت روحا سفلية أرضية ، فان الأنفس الأرضية لا تجامع الأنفس السماوية ، كما لا تجامعها فى الدنيا ، والنفس التى لم تكتسب فى الدنيا معرفة ربها ، ومحبته وذكره والأنس به والتقرب اليه ، بل هى أرضية سفلية ، لا تكون بعد المفارقة لبدنها الا هناك .

كما أن النفس العلوية التى كانت فى الدنيا عاكفة على محبة الله وذكره والتقرب اليه ، والأنس به ، تكون بعد المفارقة مع الأرواح العلوية المناسبة لها فالمرء مع من أحب فى البرزخ ويوم القيامة ، والله تعالى يزوج النفوس بعضها ببعض فى البرزخ ويوم المعاد — ويجعل روحه (يعنى المؤمن) مع النسم الطيب (يعنى الأرواح الطيبة المشاكلة لروحه) فالروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها ، واخوانها ، وأصحاب عملها ، فتكون معهم هناك .

ومنها أرواح تكون فى تنور الزناة والزوانى ، وأرواح فى نهر الدم تسبح فيه وتلقم الحجارة .

فليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقر واحد ، بل روح فى أعلى عليين ، وروح أرضية سفلية لا تصعد عن الأرض .

وأنت اذا تأملت السنن والآثار فى هذا الباب .. وكان لك بها

---

(١) غلها : سرقها من الغنيمة قبل القسمة . (٢) رواه أحمد .

فضل اعتناء عرفت حجة ذلك ، ولا تظن أن بين الآثار الصحيحة في هذا الباب تعارضا ، فانها كلها حق يصدق بعضها بعضا ، لكن الشأن في فهمها ومعرفة النفس وأحكامها ، وأن لها شأنا غير شأن البدن ٠

وأنها مع كونها في الجنة فهي في السماء ، وتتصل بفناء القبر والبدن فيه ، وهي أسرع شيء حركة وانتقالا وصعودا وهبوطا . وأنها تنقسم الى مرسله ومحبوسة ، وعلوية وسفلية ، ولها بعد المفارقة صحة ، ومرض ، ولذة ، ونعيم ، وألم ، أعظم مما كان لها حال اتصالها بالبدن بكثير ، فهنالك الحبس والألم والعذاب والمرض والحسرة ، وهنالك اللذة والراحة ، والنعيم والاطلاق وما أشبه حالها في هذا البدن بحال الطفل في بطن أمه ؛ وحالتها بعد المفارقة بحاله بعد خروجه من البطن الى هذه الدار ، فلهذه الأنفس أربع دور ٠ كل دار أعظم من التي قبلها ٠

الدار الأولى : في بطن الأم ، وذلك الحصر والضيق والغم والظلمات الثلاث ٠

والدار الثانية : هي الدار التي نشأت فيها وألفتها ٠ واكتسبت فيها الخير والشر وأسباب السعادة والشقاوة ٠

والدار الثالثة : دار البرزخ ، وهي أوسع من هذه الدار وأعظم ، بل نسبتها اليها كنسبة هذه الدار الى الأولى ٠

والدار الرابعة : دار القرار ، وهي الجنة والنار ٠ فلا دار بعدها ٠

والله ينقلها في هذه الدور طبقا بعد طبق حتى يبلغها الدار التي لا يصلح لها غيرها ٠ ولا يليق بها سواها ، وهي التي خلقت لها وهيئت للعمل الموصل لها اليها ٠

ولها في كل دار من هذه الدور حكم وشأن ، غير شأن الدار الأخرى ، فتبارك الله فاطرها ، ومنشئها ، ومميتها ، ومحييها ، ومسعدها ، ومشقيها ، الذي فاوت بينها في درجات سعادتها وشقاوتها ٠ كما فاوت بينها في مراتب علومها وأعمالها ٠ وقواها وأخلاقها — فمن عرفها كما ينبغي ، شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك كله ، وله

الحمد كله ، وبيده الخيــر كله ، واليــه يرجع الأمر كله ، وله القوة كلها والقدرة كلها والعز كله والحكمة كلها ، والكمال المطلق من جميــع الوجوه ، وعرف بمعــرفة نفسه صدق أنبيائه ورسله ، وأن الذى جاءوا به هو الحق الذى تشهد به العقول ، وتقر به الفطــر ، وما خالفه فهو الباطل ، وبالله التوفيق .

أشراط الساعة

* العلامات الصغرى
* العلامات الكبرى
* المهـــــــدى
* خروج المسيح الدجال
* نزول عيسى عليه السلام

الساعة وان خفى علمها على الناس ، فقد جعل الله لها أمارات تدل على قربها .

يقول الله سبحانه :

« فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة ، فقد جاء أشراطها ، فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم » (١) .

وهذه العلامات منها : علامات صغرى ، وعلامات كبرى .

العلامات الصغرى :

فأما العلامات الصغرى ، فنجملها فيما يلى :

بعثة رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، وختم النبوة والرسالة به ، فعن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(بعثت أنا والساعة كهاتين ، وأشار بالسبابة والوسطى) (٢) .

والمراد بهذا التشبيه أنه صلى الله عليه وسلم ليس بينه وبين الساعة نبى آخر ، فهى تليه ، وتأتى بعده ، وهذا علم بقربها ، ولايستلزم العلم بوقت مجيئها ، فان العلم بوقت المجئ لا يعلمه الا الله .

وأن يصبح الملوك والأمراء والرؤساء من أولاد السرارى ، لا من أولاد بنات البيوتات العريقة فى حسن التربية ، وعلو الأخلاق ، وكمال المروءة ، كما يصبح أهل البداوة ، ورعاة الغنم من أصحاب الثروة والترف والقصور العالية والترأس على الناس .

فعن أبى هريرة : (أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يوما بارزا للناس ، فأتاهم جبريل ، فقال : يا رسول الله متى الساعة ؟ فقال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ، ولكن سأحدثك عن أشراطها :

اذا ولدت الأمة ربتها ، فذاك من أشراطها .

---

(١) سورة محمد : ١٨ .   (٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى .

وإذا كانت الحفــاة العراة رعاء الشــاء رؤوس الناس فذاك من أشراطهــا .

وإذا تطاول رعاة الغنم فى البنيان فذاك من أشراطها) (١) .

وفى حديث جبريل أنه سأل الرسول عن الساعة ، فقال : (مــا المسئول عنها بأعلم من السائل ، قال : فأخبرنى عن أماراتها ، قال : أن تلد الأمة ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان) (٢) .

وفى حديث الامام البخارى جمــلة من هذه العلامات ، عدتهــا احــدى عشرة علامة ، فعن أبى هريرة أن النبى صــلى الله عليه وسلم قــال :

(لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان ، تكون بينهما مقتــلة عظيمة دعوتهما واحدة (٣) ، وحتى يبعث (٤) دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله (٥) ، وحتى يقبض العلم (٦) ، وتكثر الزلازل (٧) ، ويتقارب الزمان (٨) ، وتظهــر الفتن ، ويــكثر الهرج ،

---

(١) رواه ابن أبى شيبة . (٢) رواه البخارى ومسلم عن عمر .

(٣) هما فئة الامام على وفئة معاوية . (٤) أى يظهر .

(٥) مثل مؤسس القديانية والبهائية ، وآخر ما سمعنا به من هؤلاء الدجالين الأحياء أليشع محمد الذى ظهر أخيرا فى المكسيك ، وادعى أنه رسول الله ، واستطاع أن يضلل مجموعة كبيرة من الزنوج الأمريكيين ، ولا يزال يعمل على تضليل الناس هناك باسم الدين ، وأنه رسول رب العالمين .

(٦) المراد بقبض العلم : قبض علماء الدين والدعاة الى الله : ففى الصحيحين عن عبد الله بن عمرو أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا ، فسئلوا ، فأفتوا بغير علم ، فضلوا ، وأضلوا » .

(٧) أى تكثر كثرة زائدة عما يعهده الناس ، وهذه الكثرة تكون مقدمة للزلزلة الكبرى التى تتغير بها معالم الحياة .

(٨) أى أن المسافات البعيدة تقطع فى زمن قليل بواسطة سفن الفضــاء والطيارات والبواخر والقطر ، ونحو ذلك مما اخترعه الناس ، وفى هذا اشارة من أمر الغيب الذى أعلم الله به رسوله بما سيحدث فى مستقبل الزمان .

وهو القتل (١) ، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته ، وحتى يعرضه فيقول الذى يعرضه عليه لا أرب (٢) لى به ، وحتى يتطاول الناس فى البنيان (٣) ، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل ، فيقول : يا ليتنى مكانه (٤) ، وحتى تطلع الشمس من مغربها ، فاذا طلعت ، ورآها الناس أجمعون ، فذلك حين « **لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا** » (٥) ولتقومن الساعة ، وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما ، فلا يتبايعان ، ولا يطويان ، ولتقومن الساعة ، وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه (٦) ، ولتقومن الساعة وهو يليط (٧) حوضه ، فلا يسقى فيه ، ولتقومن الساعة ، وقد رفع أكلته (٨) الى فيه ، فلا يطعمها) .

أما العلامات الكبرى ، فنجملها فيما يلى :

طلوع الشمس من المغرب ، وخروج الدابة :

عند قرب الساعة يحدث تغيير فى نظام الكون ، وتظهر آيات غير مألوفة للبشر ، فتطلع الشمس من المغرب على خلاف ما نعهده الآن من طلوعها من المشرق ، وتخرج دابة من الأرض تكلم الناس .

---

(١) أى أن الفتن المذهبية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية تظهر بقوة ، فيتسبب عنها القتل الكثير ، كما حدث فى الحرب العالمية الثانية ، وكما ينتظر أن يحدث فيما اذاقامت حرب ذرية عامة ، وهذه احدى نبوآت الغيب .

(٢) لا أرب : لا حاجة لكثرة المال التى تكون آخر الزمان .

(٣) وقد تطاول الناس فى هذا الزمان حتى بنوا ناطحات السحاب كما هو معروف فى نيويورك بأمريكا وغيرها .

(٤) لما يرى من تقديم من يستحق التأخير وتأخير من يستحق التقديم ، وتجاهل أقدار أصحاب المواهب وكثرة التعرض للفتن .

(٥) سورة الأنعام : ١٥٨ .   (٦) اللقحة : ذات اللبن من النوق .

(٧) يليط : تضلح .

(٨) أكلته : المضغة من الطعام . والمعنى أن الساعة تأتى بغتة والناس لا يشعرون .

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(ان أول الآيات خروجا : طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة على الناس ضحى ، وأيتهما كانت قبل صاحبتها ؛ فالأخرى على أثرها قريبا)(١) .

وعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فاذا طلعت، ورآها الناس آمنوا أجمعون ، وذلك حين **«لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت فى ايمانها خيرا »** (٢) .

ويقول الله سبحانه :

« واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون » (٣) .

ففى هذه الآية اخبار عن خروج دابة تكلم الناس حينما يأتى أمر الله ، كمقدمة من مقدمات الساعة ، وحينما لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل ، أو كسبت فى ايمانها خيرا .

ولا ينبغى أن يبحث عما وراء ذلك من الغرائب التى قيلت فى وصف هذه الدابة من أن طولها ستون ذراعا بذراع آدم ، وأن لها وجه انسان ورأس ثور وعين خنزير وأذن فيل ، وأنه لا يدركها طالب ، ولا يفوتها هارب ، وأنها تحمل عصا موسى وخاتم سليمان ، فذلك لم يصح منه شىء .

قال الامام الرازى : (واعلم أنه لا دلالة فى الكتاب على شىء من هذه الأمور ، فان صح الخبر فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل والا لم يلتفت اليه) .

---

(١) رواه مسلم وأبو داوود .

(٢) رواه البخارى ومسلم وأبو داوود : أى لا ينفع الايمان نفسا كافرة لم تكن آمنت من قبل ، ولا تنفع التوبة من المعاصى نفسا مؤمنة لم تكن كسبت خيرا فى ايمانها .

(٣) سورة النمل : ٨٢ .

ان خروج الدابة غيب من الغيوب ، فيجب علينا الوقوف عندما أخبر به القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، ولم يأت فيهما سوى أن دابة ستخرج ، وتكلم الناس ، وذلك من أمارات الساعة •

وقد ذكر فى السورة نفسها ، أن موسى عليه السلام ألقى عصاه بأمر الله ، فاذا هى تهتز كأنها جان • وأن سليمان عرف لغة الطير ، وسمع النملة وهى تدعو جماعتها ، لتدخل مساكنها ، مخافة أن يحطمها سليمان هو وجنوده وهم لا يشعرون وأن سليمان تبسم ضاحكا من قولها •

وفى السورة أيضا أن الهدهد كلم سليمان بخبر سبأ ، وقال : **« انى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم • وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون • أن لا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض »**(١) •

والدابة التى ستخرج من الأرض ، وتكلم الناس سيكون كلامها لهم من هذا القبيل •

المهدى :

خلاصة القول فى الامام المهدى : أنه سيظهر فى آخر الزمان ، وأن اسمه محمد بن عبد الله ، أو أحمد بن عبد الله (٢) ، وأنه من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة(٣) ، وأنه يشبه الرسول صلى الله عليه وسلم فى الخلق ، ولا يشبهه فى الخلق (٤) ، وأنه أجلى الجبهة ، أقنى الأنف (٥) وأنه يملأ الأرض قسطا وعدلا ، كما ملئت ظلما وجورا ، وأنه يقيم شريعة الاسلام ، ويحيى ما اندثر من سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وأن الاسلام تعلو كلمته فى عهده يلقى

---

(١) سورة النمل : ٢٣ ــ ٢٥ • (٢) رواه أبو داوود والترمذى •

(٣) رواه أبو داوود والحاكم •

(٤) رواه أبو داوود من كلام الامام على •

(٥) أى منحسر الشعر عن مقدم الرأس ، وأن أنفه طويل مع حدب وسطه ودقة أرنبته •

بجرانه الى الأرض (١) . ويمكن له ، ويكثر الرخاء فى أيامه من وفرة العدل ، وكثرة ما يعطى من المـال ، فهو يحثو المـال حثوا ، لا يعده عدا (٢) ، وأنه يمكث سبع (٣) سنين ويأتى بعده الدجال ، ثم ينـزل عيسى ، فيتعاون عيسى مع المهدى على قتله ، ثم يتوفى المهدى ، ويصلى عليه المسلمون .

هذه هى خلاصة الروايات التى تحدثت عن المهدى . ورويت فى شأنه ، وهى فى جملتها لا تخرج عن كونها اخبارا عن ظهور رجل من المصلحين فى آخر الزمان يرفع لواء الحق ، ويعلى كلمة الله . ويمكن للاسلام ، ويكون طليعة للخير العام الذى يأتى بعده ، كما كان يوحنا قبل ولادة عيسى عليه الصلاة والسلام .

على أثر ذلك يخرج الدجال اليهودى . كمظهر من مظاهر الفتنة الكبرى ، ليقاوم هذه النهضة الاسلامية محاولا فتنة الناس عن دينهم بما أعطى من علم وبراعة وقوة فيبطل الله أمره بما يحدثه من آيات أكبر من فتنته ، بانزال عيسى عليـه الصلاة والسلام ليكون قوة للحق الذى يمثله المهدى حينئذ ، ويتعاون كل من عيسى والمهدى ومن ورائهما كتائب الاسلام على قتله ، واحباط أمره .

فاذا قتل الدجال انهزم اليهود الذين يقاتلون معه ، وعـددهم سبعون ألفا (٤) ثم يكشف الله أمرهم ، فلا يتوارى منهم يهودى وراء شىء الا أنطق الله هذا الشىء فقال :

يا عبد الله المسلم ، هذا يهودى فتعال اقتله . وبهذا يقضى على أكبر فتنة من الفتن التى تحدث فى الأرض . ثم يأخذ عيسى فى العمل على محو المسيحية التى ارتكبت كل الخماقات باسمه ، والتمكين لدين الحق دين الاسلام ، ثم قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (فيكون عيسى فى أمتى حكما عدلا ، واماما مقسطا . يدق الصليب (٥) . ويذبح الخنزير . ويضع الجزية (٦) . ويترك الصدقة (٧) ، فلا يسعى على شاة ولا بعير ،

---

(١) يقر أمره ويستقر ، رواه أبو داوود . (٢) رواه مسلم .
(٣) رواه أبو داوود . (٤) رواه ابن ماجه .
(٥) يكسره اعلانا بانهاء المسيحية كما انتهت على يديه اليهودية .
(٦) أى لا يقبل من أحد غير الاسلام . (٧) لا يقبلها لغنى الناس وقتئذ .

وترفع الشحناء والتباغض . وتنزع حمة كل ذى حمة (١) حتى يدخل الوليد يده فى الحية فلا تضره ، وتفر الوليدة الأسد فلا يضرها(٢) ويكون الذئب فى الغنم كأنه كلبها وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الاناء من الماء وتكون الكلمة واحدة ، فلا يعبد الا الله وتضع الحرب أوزارها ، وتسلب قريش ملكها ، وتكون الأرض كفاثور(٣) الفضة تنبت نباتها بعهد آدم) (٤) .

وبهذا يتحقق وعد الله من اظهار الاسلام واعلائه على الدين كله .

« هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وكفى بالله شهيداً » (٥) .

ثم يحدث بعد ذلك النقصان ولا يزال الناس يبتعدون عن الدين شيئا فشيئا حتى يرتدون عن دينهم ، فتقوم الساعة وهم على ما هم عليه من ردة وليس بعد الكمال الا الفناء والزوال !!

« انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس ، كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون » (٦) .

خروج المسيح الدجال (٧) :

من علامات الساعة وأماراتها الكبرى أن يخرج المسيح الدجال ، ويدعى الألوهية ، ويحاول أن يفتن الناس عن دينهم بما يحدثه من خوارق العادات ، وبما يظهر على يديه من عجائب ، فيفتن به بعض الناس ، ويثبت الله الذين آمنوا فلا يخدعون بأضاليله ، ثم ينجلى أمره ،

---

(١) ينزع السم من ذوات السموم .
(٢) تحاول أن تفعل به ما يهرب منه ويفر . (٣) اناء الفضة .
(٤) تنبت نباتها كما كان على عهد آدم فى نمائه وحسنه وبركته .
(٥) سورة الفتح : ٢٨ . (٦) سورة يونس : ٢٤ .
(٧) سمى بهذا الاسم لانه يمسح الأرض ويقطعها فى مدة زمنية ، ولانه أعور ممسوح العين .

ويقضى على فتنته ، ويقتل بأيدى المسلمين وقائدهم حينئذ عيسى عليه السلام .

وقد حذرت الرسل أممهم من فتنته وغوايته ، كما حذر منها خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم جميعا .

فعن عمر : (أن النبى صلى الله عليه وسلم استنصت(١) الناس يوم حجة الوداع ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم ذكر الدجال ، فأطنب فى ذكره ، وقال : مابعث الله من نبى الا أنذر أمته ، وانه يخرج فيكم ، فما خفى عليكم من شأنه ، فلا يخفى عليكم ان ربكم ليس بأعور ، وانه أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافئة) (٢) .

قال الشيخ رشيد رضا :

(ويدل القدر المشترك منها(٣) على أن النبى صلى الله عليه وسلم كشف له ، وتمثل له ظهور دجال فى آخر الزمان ، يظهر للناس خوارق كثيرة ، وغرائب يفتتن بها خلق كثيرة ، وأنه من اليهود ، وأن المسلمين يقاتلونه ، ويقاتلون اليهود فى هذه البلاد المقدسة ، وينتصرون عليهم ، وقد كشف له ذلك مجملا غير مفصل ، ولا يوحى به عن الله ، كما كشف له غير ذلك من الفتن فذكره ، فتناقله الرواة بالمعنى ، فأخطأ كثير منهم ، وتعمد الذين كانوا يبثون الاسرائيليات الدس فى رواياته .

ولا يبعد أن يقوم طلاب الملك من اليهود الصهيونيون بتدبير فتنة فى هـذا المعنى يستعينون عليها بخوارق العـلوم والفنون العصرية كالكهرباء والكيمياء وغير ذلك . والله أعلم) .

ويؤيد هذا الذى قاله الشيخ رشيد الأحاديث الآتية :

عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(لا تقومن الساعة حتى تقاتلوا اليهود ، حتى يقول الحجر وراءه اليهودى : يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله) (٤) .

وهذا مجاز عن عدم افادة الاختباء شيئا .

---

(١) استنصت : أى طلب سكوتهم . (٢) رواه البخارى ومسلم .
(٣) أى الأحاديث الواردة فى الدجال . (٤) رواه البخارى ومسلم .

وعن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(عمران بيت المقدس خراب يثرب ، وخراب يثرب خروج الملحمة ، وخـروج الملحمة فتح القسطنطينية ، وفتـح القسطنطينية خـروج الدجال) (١) .

وهـذا الفتح غير الفتح الأول ، ففى رواية الترمـذى « فتح القسطنطينية مع قيام الساعة » .

نزول عيسى عليه السلام :

يستخلص من مجموع الأحاديث أن عيسى عليه السلام ينزل فى آخر الزمان أثناء وجود الدجال ، ويكون نزوله هذا علامة من علامات الساعة الكبرى ، فيحكم بالقسط ، ويقضى بشريعة الاسلام ، ويحيى من شأنها ما تركه الناس ، ويقتل الدجال ، ثم يمكث ما شاء الله أن يمكث ، ثم يموت ، ويصلى عليه ، ويدفن ، ثم تهب ريح تقبض أرواح المؤمنين جميعا ، فلا يبقى بعد ذلك الا شرار الناس ، فلا يكون بعد الكمال الا الفناء والزوال .

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« والذى نفسى بيـده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا(٢)، فيكسر الصليب (٣) ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية (٤) ، ويفيض (٥) المـال ، حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها » ، ثم قال أبو هريرة رضى الله عنه ، اقرأوا

---

(١) رواه أبو داوود .

(٢) أى حاكما بشريعة الاسلام ، قائما بالعدل .

(٣) يكسر الصليب اظهارا لكذب النصارى وافترائهم عليه فى دعوى أنه قتل وصلب .

(٤) يسقطها عن أهل الكتاب ، ولا يقبل منهم الا الاسلام .

(٥) أى يكثر الخير بسبب العدل .

ان شئتم :« وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا » (١) .

أى ما من أحد من أهل الكتاب الا ليؤمنن بعيسى عليه السلام ، قبل موت عيسى حين ينزل الى الأرض ، قبل قيام الساعة .

وعن عروة بن مسعود الثقفى رضى الله عنه قال : سمعت عبد الله ابن عمرو يقول :

(قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يخرج الدجال فى أمتى ، فيمكث أربعين ، قال : لا أدرى أربعين يوما ، أو أربعين شهرا ، أو أربعين عاما ... فيبعث الله عيسى ابن مريم ، كأنه عروة بن مسعود ، فيطلبه ، فيهلكه ، ثم يمكث الناس سبع سنين ، ليس بين اثنين عداوة ، ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام ، فلا يبقى على وجه الأرض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير أو ايمان الا قبضته ، حتى لو أن أحدكم دخل كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه ، فيبقى شرار الناس فى خفة الطير وأحلام السباع (٢) ، لا يعرفون معروفا ، ولا ينكرون منكرا ، فيتمثل لهم الشيطان ، فيقول : ألا تستجيبون ؟ فيقولون : فما تأمرنا ؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم فى ذلك دار رزقهم ، حسن عيشهم ، ثم ينفخ فى الصور ، فيصعق الناس ، ثم ينزل الله مطرا كأنه الطل (٣) فتنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه(٤) أخرى فاذا هم قيام ينظرون ،

---

(١) رواه البخارى ومسلم — سورة النساء : ١٥٩ .

(٢) أحلام السباع : أى أنهم يسرعون الى الشر والظلم ، فيكونون فى المسارعة كالطير ، وفى الظلم كالسباع المفترسة .

(٣) كأنه الطل : أى المطر الخفيف .

(٤) ينفخ فيه : أى الصور ولا يعلم عنه أحد شيئا الا أنه قرن ينفخ فيه ، فتكون الساعة ، وتقوم القيامة ، ثم ينفخ فيه مرة أخرى فيكون البعث ، وما بين النفختين مدة زمنية غير معلومة بالضبط عن أبى هريرة رضى الله عنه . عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما بين النفختين أربعون قالوا : يا أبا هريرة أربعون يوما قال : أبيت(*) قالوا : أربعون شهرا قال : أبيت . قالوا : أربعون سنة . قال أبيت . ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل وليس من الانسان شىء الا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة .

(*) أبيت : لا أدرى — عجب الذنب : هو آخر عظم سلسلة الظهر لا يدركه البلى ، ومنه ينبت الجسم فى النشأة الآخرة

ثم يقال : يأيها الناس هلم الى ربكم « **وقفوهم انهم مسئولون** »(١)
ثم يقال : أخرجوا لبعث النار ، فيقال : من كم ؟ فيقال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون . قال : فذاك يوم يجعل الولدان شيبا ، وذلك يوم يكشف عن ساق) .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله علية وسلم قال :

(من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء) (٢) .

(١) سورة الصافات : ٢٤ .
(٢) رواه البخارى ومسلم .

اليوم الآخر

* الايمان باليوم الآخر ركن من أركان العقيدة
* لم يخلق الانسان عبثا
* مفهوم اليوم الآخر
* اهتمام القرآن به
* حكمة الاهتمام به
* بداية اليوم الآخر
* العلم الطبيعي واليوم الآخر
* متى هو ؟
* البعث
* أدلة البعث
* شبهة منكري البعث
* اختلاف الناس عند البعث
* الشفاعة

الايمان باليوم الآخر ركن من أركان الايمان ، وجزء من أجزاء العقيدة ، بل هو العنصر الهام الذى يلى الايمان بالله مباشرة .

لأن الايمان بالله يحقق المعرفة بالمصدر الأول الذى صدر عنه الكون ، والايمان باليوم الآخر يحقق المعرفة بالمصير الذى ينتهى اليه هذا الوجود .

وعلى ضوء المعرفة بالمصدر والمصير يمكن للانسان أن يحدد هدفه ، ويرسم غايته ، ويتخذ من الوسائل والذرائع ما يوصله الى الهدف ، ويبلغ به الغاية .

ومتى فقد الانسان هذه المعرفة فان حياته سوف تبقى حياة لا هدف لها ، ولا غاية منها .

وحينئذ يفقد الانسان سموه الروحى ، وفضائله العليا ، ويعيش كما تعيش الأنعام ، تسيرها غرائزها الطبيعية ، واستعداداتها الفطرية ، وهذا هو الانحطاط الروحى المدمر لشخصية الانسان .

لم يخلق الانسان عبثا :

والقرآن الكريم يلفت الأنظار الى أن الله لم يخلق الانسان من غير هدف عال ، ولا غاية سامية ، لأن ذلك يتنافى مع كماله الأقدس وحكمته العليا .

فالله لم يخلق الانسان بيده ، وينفخ فيه من روحه ، ويفضله على ملائكته ويسخر له ما فى السموات وما فى الأرض ، ويجعله سيد هذا الكوكب الأرضى دون غاية أو غرض .

فان ذلك عبث يتنزه الله عنه .

« أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون . فتعالى الله الملك الحق ، لا اله الا هو رب العرش الكريم »(١) .

---

(١) سورة المؤمنون : ١١٥ ، ١١٦ .

ان للانسان رسالة وهى الخلافة عن الله فى الأرض ، وقد كلف بالقيام بواجبات هذه الخلافة ، وهو مسئول عنها أمام الله •

وحسبان غير هذا عدول عن الحق الى الضلال •

« أيحسب الانسان أن يترك سدى • ألم يك نطفة من منى يمنى • ثم كان علقة فخلق فسوى • فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى • أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى » (١) •

مفهوم اليوم الآخر :

يبدأ اليوم الآخر بفناء عالمنا هذا ، فيموت كل من فيه من الأحياء ، وتتبدل الأرض والسموات •

ثم ينشىء الله النشأة الآخرة ، فيبعث الله الناس جميعا ، ويرد اليهم الحياة مرة أخرى •

وبعد البعث يحاسب الله كل فرد على ما عمل من خير أو شر •

فمن غلب خيره شره أدخله الله الجنة ، ومن غلب شره خيره أدخله الله النار •

اهتمام القرآن بتقرير الايمان بهذا اليوم :

والقرآن يهتم اهتماما بالغا بتقرير الايمان بهذا اليوم ، ويبدو هذا الاهتمام باليوم الآخر فيما يلى :

أولا : بربطه بالايمان بالله •

« ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر »(٢) •

« ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » (٣) •

ثانيا : يكثر القرآن من ذكره له ، فلا تكاد سورة تخلو من الحديث

---

(١) سورة القيامة : ٣٦ — ٤٠ • (٢) سورة البقرة : ١٧٧ •

(٣) سورة البقرة : ٦٢ •

عنه ، مع تقريبـــه الى الأذهان تارة بالحجة والبرهان ، وتارة بضرب الأمثـــال .

ثالثا : أن المتتبع لآيات القرآن يجد أنه وضع لهذا اليوم أسماء كثيرة ، وكل اسم منها يدل على معنى ما سيحدث من أهوال فى هذا اليـــوم .

فهو يوم البعث :

« وقال الذين أوتوا العلم والايمان لقد لبثتم فى كتاب الله الى يوم البعث ، فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون » (١) .

ويسمى يوم القيامة :

« ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة »(٢) .

ويسمى الساعة :

« اقتربت الساعة وانشق القمر » (٣) .

« ان زلزلة الساعة شىء عظيم » (٤) .

ويسمى الآخرة :

« بل تؤثرون الحياة الدنيا . والآخرة خير وأبقى » (٥) .

ويسمى يوم الدين :

« مالك يوم الدين » أى يوم الجزاء (٦) .

ويسمى يوم الحساب :

« انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب »(٧) .

---

(١) سورة الروم : ٥٦ .
(٢) سورة الزمر : ٦٠ .
(٣) سورة القمر : ١ .
(٤) سورة الحج : ١ .
(٥) سورة الأعلى : ١٦ ، ١٧ .
(٦) سورة الفاتحة : ٣ .
(٧) سورة غافر : ٢٧ .

ويسمى يوم الفتح :

« قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون »(١) .

ويسمى يوم التلاق :

« رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق . يوم هم بارزون » (٢) .

ويسمى يوم الجمع والتغابن

« يوم يجمعكم ليوم الجمع ، ذلك يوم التغابن » (٣) .

ويسمى يوم الخلود :

« ادخلوها بسلام ، ذلك يوم الخلود » (٤) .

ويسمى يوم الخروج :

« يوم يسمعون الصيحة بالحق ، ذلك يوم الخروج »(٥) .

ويسمى يوم الحسرة :

« وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الأمر ، وهم فى غفلة وهم لا يؤمنون » (٦) .

ويسمى يوم التناد :

« ويا قوم انى أخاف عليكم يوم التناد » (٧) .

---

(١) سورة السجدة : ٢٩ .   (٢) سورة غافر : ١٥ ، ١٦ .

(٣) التغابن : يوم يغبن فيه أهل الجنة أهل النار ، ويقال يوم الذهول الذى يحصل بين الناس من شدة الهول ، سورة التغابن : ٩ .

(٤) سورة ق : ٣٤ .   (٥) سورة ق : ٤٢ .

(٦) سورة مريم : ٣٩ .

(٧) التناد : يوم يتنادى فيه أهل الجنة والنار . سورة غافر : ٣٢ .

ويسمى الآزفة :

« أزفت الآزفة . ليس لها من دون الله كاشفة » (١) .

ويسمى الطامة :

« فاذا جاءت الطامة الكبرى . يوم يتذكر الانسان ما سعى» (٢) .

ويسمى الصاخة :

« فاذا جاءت الصاخة . يوم يفر المرء من أخيه . وأمه وأبيه . وصاحبته وبنيه . لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه » (٣) .

ويسمى الحاقة :

« الحاقة . ما الحاقة . وما أدراك ما الحاقة » (٤) .

ويسمى الغاشية :

« هل أتاك حديث الغاشية » (٥) .

ويسمى الواقعة :

« اذا وقعت الواقعة . ليس لوقعتها كاذبة . خافضة رافعة » (٦) .

حكمة الاهتمام به :

وانما اهتم القرآن هذا الاهتمام باليوم الآخر لعدة أسباب :

---

(١) الآزفة : القريبة يوم القيامة . سورة النجم : ٥٧ ، ٥٨ .

(٢) الطامة : الداهية ، لأنها تطم على كل شيء أى تعلوه وتغطيه ، أى أنها تعلو على سائر الدواهى . سورة النازعات : ٣٤ ، ٣٥ .

(٣) الصاخة : تصخ : أى تصم الآذان من شدتها ، سورة عبس : ٣٣ — ٣٦ .

(٤) الحاقة : سمى اليوم بذلك لأن فيه تظهر حقائق الأمور ، وهى مأخوذة من حق الشيء اذا ثبت ووجب ، لأن حصولها واجب . سورة الحاقة : ١ — ٣ .

(٥) الغاشية : الداهية التى يغشى هولها الناس . سورة الغاشية : ١ .

(٦) الواقعة : لأنها ستقع قطعا لا محالة . سورة الواقعة : ١ — ٣

أولا : أن المشركين من العرب كانوا ينكرونه أشد انكار .

« وقالوا : ما هى الا حياتنا الدنيـا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر » (١) .

ثانيا : أن أهل الكتاب وان كانوا يؤمنون باليوم الآخـر الا أن تصورهم له قد بلغ منتهى الفساد .

فالنصارى : مثلا يعتمدون فيه على وجود يسوع الفادى المخلص الذى يفدى الناس بنفسه ، ويخلصهم من عقوبة الخطايا .

وهذا يطابق ما يقوله الهنود فى كرشنه ، وبوذا ، سواء بسواء .

وعقيدة اليهود فى الله وفى اليوم الآخر لا تقل فى فسادها وضلالها عن عقيدة النصارى ، والهنود .

ثالثا : أن الايمان باليوم الآخر يجعل لحياتنا غاية سامية ، وهدفا أعلى ، وهـذه الغـاية هى فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، والتحلى بالفضائل ، والتخلى عن الرذائل الضارة بالابدان والأديان ، والأعراض والعقول ، والأموال . أى تحقيق معنى الخلافة .

ولابد من تقـوية الوازع النفسى الذى يرغب فى الخير ، ويصد عن الشر ، ولا يقوى الوازع الا بكثرة التذكير والتفنن فى التصوير ، وضرب الأمثال المتنوعة حتى تعمق جذوره ، ويقوى تأثيره ، ويحقق الغاية منه ، فيرجع المنكر عن انكاره ، ويصحح المخطىء خطأه ، ويجدد كل انسان هدفه الأعلى لا يضل الطريق ، أو تتعثر به الخطا .

بداية اليوم الآخر :

ويؤخذ من مجموع الآيات الكريمة أن اليوم الآخر يبدأ باحداث تغيير عام فى هذا الكون ، فتنشق السماء ، وتتناثر النجوم ، وتتصادم الكواكب ، وتتفتت الأرض ، ويخرب كل شىء ، ويدمر كل ما عرفه الناس فى هذا الوجود .

« يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ، وبرزوا لله الواحد القهار » (٢) .

---

(١) سورة الجاثية : ٢٤ .   (٢) سورة ابراهيم : ٤٨ .

العلم الطبيعى واليوم الآخر :

وهذا التخريب العام الشامل ليس بمحال ، أو بعيد الحصول ، فقد ثبت لدى علماء العلم الطبيعى أن هذا الكون سيأتى يوم ينتهى فيه كل شىء ، فكما أنه تطور من الزمن القديم الى ما انتهى اليه فى وضعه القائم ، فانه سيتطور تطورا حتميا الى الفناء والزوال .

فليس فيما قرره القرآن الكريم عن نهاية هذا العالم ما يتنافى مع أحدث نظريات العلم الطبيعى .

ومن أدل الدلائل على أن هذا من عند الله ، أنه لم يسبق أن تحدث أحد عن فناء هذا الكون بهذه الصورة ، كما لم تتحدث الأديان السابقة . ولا يمكن أن يكون من تفكير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهذه احدى معجزاته !!

متى هــو ؟

وقيام الساعة أو اليوم الآخر مما استأثر الله بعلمه . فلم يطلع عليه أحدا من خلقه لا نبيا مرسلا ، ولا ملكا مقربا .

« ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام »(١).

ولقد كان الناس يسألون عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويلحفون فى المسألة . فأمره الله أن يرد علمها اليه وحده .

« اليه يرد علم الساعة »(٢) .

وسجل هذا السؤال والاجابة عليه فقال :

« يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، قل انما علمها عند ربى ، لا يجليها(٣) لوقتها الا هو ، ثقلت(٤) فى السموات والأرض ، لا تأتيكم

---

(١) سورة لقمان : ٣٤ .

(٢) سورة فصلت : ٤٧ .

(٣) لا يجليها لوقتها : أى يظهر أمرها .

(٤) ثقلت : أى صعب علمها ، فلا يستطيع أهل السموات والأرض الوصول اليــه .

الا بغتة ، يسألونك كأنك حفى(١) عنها ، قل : انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون »(٢) •

عن ابن عمر ، رضى الله عنهما ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال :

(مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله :

« ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت»)(٣)

قال الألوسى فى تفسيره : وانما أخفى الله سبحانه أمر الساعة لاقتضاء الحكمة التشريعية ذلك ، فانه أدعى الى الطاعة ، وأزجر عن المعصية ، كما أن اخفاء الأجل الخاص للانسان كذلك •

ولو قيل : بأن الحكمة التكوينية تقتضى ذلك أيضا لم يبعد •

وظاهر الآيات أنه عليه الصلاة والسلام لم يعلم وقت قيامها •• نعم عليه الصلاة السلامقربها على الاجمال ، وأخبر صلى الله عليه وسلم به ، فقد أخرج الترمذى ، وصححه عن أنس مرفوعا : (بعثت أنا والساعة كهاتين ، وأشار بالسبابة والوسطى) •

وفى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما مرفوعا أيضا :

(وانما أجلكم فيمن مضى قبلكم من الأمم من صلاة العصر الى غروب الشمس) •

أما نهاية هذه الحياة فلم يأت فيها حديث صحيح يمكن التعويل عليــه •

قال ابن حزم : وأما نحن يعنى المسلمين ، فلا نقطع على علم عدد معروف عندنا ومن ادعى فى ذلك سبعة آلاف سنة ، أو أكثر ، أو أقل — فقد قال ما لم يأت قط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه لفظ تصح ، بل صح عنه صلى الله عليه وسلم خلافه ، بل نقطع على أن للدنيا أمدا لا يعلمه الا الله تعالى • قال الله سبحانه :

---

(١) حفى عنها : أى عالم بها •   (٢) سورة الأعراف : ١٨٧ •
(٣) سورة لقمان : ٣٤ •

« ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم »(١) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(ما أنتم فى الأمم قبلكم الا كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود ، أو الشعرة السوداء فى الثور الأبيض) .

وهذه نسبة من تدبرها ، وعرف مقدار عدد أهل الاسلام ونسبة ما بأيديهم من معمور الأرض . علم أن للدنيا أمدا لا يعلمه الا الله . وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام :

(بعثت أنا والساعة كهاتين ، وضم اصبعيه السبابة والوسطى) .

وقد جاء النص بأن الساعة لا يعلم متى تكون الا الله تعالى لا أحد سواه ، فصح أنه صلى الله عليه وسلم انما أراد شدة القرب لا فضل الوسطى عن السبابة ، اذ لو أراد ذلك لأخذت نسبة ما بين الاصبعين ونسب من طول الاصبع ، فكان يعلم بذلك متى تقوم الساعة . وهذا باطل ، وأيضا فكان تكون نسبته صلى الله عليه وسلم ايانا الى من قبلنا بأننا كالشعرة فى الثور كذبا .. ومعاذ الله من ذلك ، فصح أنه صلى الله عليه وسلم انما أراد شدة القرب ، وله صلى الله عليه وسلم منذ بعث أربعمائة عام ونيف وألف والله تعالى أعلم بما بقى من عمر الدنيا ، فاذا كان هذا العدد العظيم لا نسبة له عندما سلف لقلته ، وتفاهته بالاضافة الى ما مضى ، فهو الذى قال صلى الله عليه وسلم من أننا فيمن مضى كالشعرة فى الثور أو الرقمة فى ذراع الحمار .

البعث :

ويبدأ اليوم الآخر بالبعث : وهو اعادة الانسان روحا وجسدا ، كما كان فى الدنيا ، وهذه الاعادة تكون بعد العدم التام ، ولا يستطيع الانسان معرفة هذه النشأة الأخرى لأنها تختلف تمام الاختلاف عن النشأة الأولى .

« نحن قــدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين . على أن نبدل

---

(١) سورة الكهف : ٥١ .

أمثالكم وننشئكم فى مالا تعلمون • ولقد علمتم النشـــأة الأولى فلولا تذكرون »(١) •

أدلة البعث :

ولقد أورد القرآن الكريم أدلة كثيرة على البعث • مستدلا بالنشأة الأولى على النشأة الآخرة ، ومبينا أن الله قادر على كل شىء ، وعالم بكل شىء فلا تعجزه اعادة الأجسام لنفوذ قدرته ، ولا يضيع منها شىء لسعة علمه •

« وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ، قال من يحيى العظام وهى رميم • قل يحييها الذى أنشأها أول مرة ، وهو بكل خلق عليم »(٢) •

والانسان وتطوره فى الخلق ، وتحوله من حال الى حال ، والأرض وما تخرجه من نبات ، مظهر للعلم والقدرة •

« يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب(٣) ثم من نطفة ثم من علقة(٤) ثم من مضغة مخلقة(٥)وغير مخلقـــة (٦) لنبين لكم ، ونقر فى الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى أرذل العمــر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ، وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها المــاء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج • ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شىء قدير • وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور » (٧) •

واذا كان الله لم يعى بخلق السموات والأرض ، ولا يزال يخلق ، ويرزق ويحيى ، ويميت ، فهل يستبعد بعد هذا المشاهد المنظور — أن يعيد الخلق مرة أخرى !

---

(١) سورة الواقعة : ٦٠ — ٦٢ •   (٢) سورة يس : ٧٨ ، ٧٩ •

(٣) تراب : العناصر التى يتركب منها جسم الإنسان هى نفس العناصر التى تتركب منها تربة الأرض • وتتحول هذه العناصر من تربة الأرض الى جسم الانسان بواسطة الطعام الذى يتناوله مما خرج من الأرض •

(٤) العلقة : هى الدم المتجمد الغليظ •

(٥) المضغة : هى قطعة لحم بقدر ما يمضغ •

(٦) مخلقة وغير مخلقة ، أى منتظمة الشكل وغير منتظمة •

(٧) سورة الحج : ٥ — ٧ •

« أفعيينا بالخلق الأول ، بل هم في لبس من خلق جديد » (١) .

ان انكار البعث واعادة الحياة مرة أخرى بعد هذه الدلائل البينة فى الأنفس والآفاق لا معنى له •

شبهة منكرى البعث :

لقد استبعد طوائف من الناس هذه الحقيقة ، زاعمين أنها مخالفة لما عهدوه من السنن المألوفة ، ومستبعدين ذلك ، ومستعظمين أمره ، لأن عقولهم لا تكاد تصدق اعادة الحياة الى الأجسام بعد تفرقها ، وتحللها ، وبعد أن يتداخل بعضها فى بعض ، فان الانسان بعد أن يموت يتحول جسمه الى تراب ، ثم يتحول التراب الى نبات فيتغذى انسان آخر بذلك النبات ، ثم يموت •

هكذا الانسان يتحول كغيره ، وهكذا تتداخل الأجسام بعضها فى بعض ، فكيف يبعث الناس بعد هذا التداخل ؟ (٢) •

وهذه الشبهة قديمة ، ولا تزال تتردد فى صدر الكثير ، والقرآن ذكر هذه الشبهة وعالجها ، فقال :

«وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ، وما لهم بذلك من علم ، ان هم الا يظنون . واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين • قل : الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لاريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون »(٣) •

فهؤلاء الذين استنكروا البعث ، رد الله عليهم بأن استبعادهم لا معنى له ؟ لأنهم يجهلون عظمة الله ، وقدرته ، وعلمه وحكمته ، وأنهم لا يبصرون فى أنفسهم أدل الدلائل ، وأقوى الحجج على نفى ما ينكرونه

---

(١) أفعيينا: أى عجزنا ــ سورة ق : ١٥ •

(٢) يجيب علماء العقائد عن هذه الشبهة بأن للانسان أجزاء أصلية وأجزاء عرضية ، والأجزاء الأصلية تبقى كما هى • والعرضية هى التى تتحول !

(٣) سورة الجاثية : ٢٤ ــ ٢٦ •

من البعث ، فالله أحياهم أولا وأماتهم ثانيا ، ولا تزال القدرة صالحة لاحيائهم مرة ، وجمعهم مرة أخرى يوم القيامة ، فأى استبعاد فى هذا ؟!

« وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ، وله المثل الأعلى فى السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم » (١) .

اختلاف الناس عند البعث :

والناس يختلفون عند البعث اختلافا كبيرا حسب أعمالهم ، فالذين صلحت عقائدهم وأعمالهم ، وزكت نفوسهم ، يكونون أكمل أجسادا وأرواحا ، والذين خبثت أعمالهم ، وفسدت عقائدهم يكونون أنقص أجسادا وأرواحا .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال :

(يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف : صنف مشاة ، وصنف ركبان ، وصنف على وجوههم ، قيل : يا رسول الله كيف يمشون على وجوههم ؟ قال : ان الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم . أما انهم يتقون بوجوههم كل حدب وشوك)(٢) .

وفى الحديث يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم :

(يحشر المتكبرون والمتجبرون يوم القيامة فى صور الذر تطؤهم الناس ، لهوانهم على الله عز وجل) .

وروى مسلم عن جابر قال : سمعت رسول الله يقول : (يبعث كل عبد على ما مات عليه) أى ان من مات على خير بعث على حال سارة ، ومن مات على شر بعث على حال شنيعة .

ومع كون البعث بالأجساد والأرواح الا أن القوى الروحية تكون هى القادرة على التصرف فى الأجساد فتستطيع قطع المسافات البعيدة فى أقصر مدة ، والتخاطب بالكلام بين أهل الجنة والنار ، ويكون مثلهم فى ذلك مثل الملائكة والجن فى قدرتها على التشكل وظهورها فى أجساد

---

(١) سورة الروم : ٢٧ .

(٢) حدب : الحدب ما ارتفع عن الأرض . رواه الترمذى .

تأخذها من مادة الكون ، وقد ثبت ذلك ثبوتا علميا . كما تقدم فى بحث مسألة الروح .

الشـــفاعة :

المقصود بالشفاعة : سؤال الله الخير للناس فى الآخرة ، فهى نوع من أنواع الدعاء المستجاب .

ومنها الشفاعة العظمى ، ولا تكون الا لسيدنا محمد رسول الله ، صلوات الله وسلامه عليه ، فانه يسأل الله سبحانه أن يقضى بين الخلق ، ليســتريحوا من هول المــوقف ، فيستجيب الله له ، فيغبطه الأولون والآخرون ، ويظهر بذلك فضله على العالمين ، وهذا هو المقام المحمود الذى وعد به فى قول الله سبحانه :

« ومن الليـــل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثـــك ربك مقــاما محمودا »(١) .

وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(ان الشمس تدنو يوم القيامة ، حتى يبلغ العرق نصف الأذن ، فبينما هم كذلك اســتغاثوا بآدم ، فيقول : لست بصاحب ذلك ، ثم بموسى ، فيقول كذلك ، ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فيشفع ، ليقضى بين الخلق ، فيمشى ، حتى يأخذ بحلقة باب الجنة ، فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا يحمده أهل الجمع كلهم)(٢) .

وعن أبى بن كعب أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(اذا كان يوم القيامة كنت امام الأنبياء ، وخطيبهم ، وصاحب شفاعتهم من غير فخر)(٣) .

وما عدا هذه الشفاعة من الشفاعات(٤) فهى مشروطة .

---

(١) سورة الاسراء : ٧٩ .

(٢) رواه أبو داوود والحاكم .

(٣) رواه أبو داوود .

(٤) ستأتى شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم فى اخراج عصاة المؤمنين من النار .

بأن تكون باذن الله : **« من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه »(١)** .

وأن تكون لمن ارتضى الله أن يشفع له .

« ولا يشفعون الا لمن ارتضى »(٢) .

ولا يرتضى الله الشفاعة الا لمن يستحقون العفو على مقتضى العدل الالهى ، وتكون الشفاعة لاظهار كرامة الشافع ومنزلته عند ربه تنفيذا للارادة الالهية عقب دعائه وطلبه من الله ، وليس فيها ما يدعو الى الغرور أو التهاون فى ترك ما كلف الله به من ايمان تزكو به النفس ، وعمل صالح يصل بالانسان الى كماله المنشود .

وكان الوثنيون يعتمدون على أوثانهم ، ويعتقدون أنها ستشفع لهم عند الله .

« ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » (٣) .

فأيأسهم الله من الاعتماد على هؤلاء الشفعاء :

« كل نفس بما كسبت رهينة . الا أصحاب اليمين . فى جنات يتساءلون . عن المجرمين . ما سلككم فى سقر . قالوا لم نك من المصلين . ولم نك نطعم المسكين . وكنا نخوض مع الخائضين . وكنا نكذب بيوم الدين . حتى أتانا اليقين . فما تنفعهم شفاعة الشافعين »(٤) .

وقد اعتاد كثير من الناس الاعتماد على شفاعة الصلحاء ، واستساغوا كل لون من ألوان الانحراف ، والخروج عن طاعة الله ، ارتكانا على هذه العقيدة ، فقطع الله حجتهم ، وأنزل قوله :

« ليس بأمانيكم ولا أمانى أهل الكتاب ، من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا . ومن يعمل من الصالحات من

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٥ . (٢) سورة الأنبياء : ٢٨ .

(٣) سورة يونس : ١٨ . (٤) سورة المدثر : ٣٨ ـ ٤٨ .

ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا . ومن أحسن دينـــا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبـــع ملة ابراهيم حنيفا »(١) .

ان الدين الحق هو اسلام الوجه لله ، واحسان العمل ، وان روح الاسلام هى وصاية رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة رضى الله عنها :

(اعملى يا فاطمة فانى لا أغنى عنك من الله شيئا) .

والله يتنزه عن محاباة أحـــد من خلقه وهذه ســنته فى الأولين والآخـــرين :

« أم لم ينبأ بما فى صحف موسى . وابراهيم الذى وفى . ألا تزر وازرة وزر أخرى . وأن ليس للانسان الا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى »(٢) .

---

(١) سورة النساء : ١٢٣ — ١٢٥ .

(٢) سورة النجم : ٣٦ — ٤١ .

الحساب

* الحساب هو مقتضى العدل الالهى
* كيفية الحساب
* العلم وتسجيل الأعمال
* دقة الحساب
* الله هو الذى يتولى الحساب
* رحمة المؤمن فى الحساب
* الحوض
* الصراط

الحساب هو مقتضى العدل الالهى :

ان الله سبحانه متصف بصفات الكمال ، ومن صفاته الكمالية ، العدل ، والحكمه فهو عدل لا يظلم أحدا من خلقه ، وحكيم لا يضع الشىء فى غير موضعه •

ومن عدله وحكمته آلا يسوى بين البر والفاجر ، ولا بين المؤمن والكافر ، ولا بين المحسن والمسىء ، فان التسوية بينهما منتهى الظلم والسفه •

والله سبحانه قد أرسل رسله بالبينات ، وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، فاهتدى فريق الى الله وانحرف فريق عن هدايته ، فلم تكن له العقيدة الحقة ، ولا العبادة الصحيحة ، ولا العمل الصالح •

والذين اهتدوا كلفتهم الهداية جهادا شاقا ، وتضحيات مريرة ، ومغالبة للهوى ، ومحاربة للباطل ، ومكافحة للشرور والآثام • وطال جهادهم ، ودام كفاحهم حتى اللحظات الأخيرة من حياتهم •

فهل يستوى هؤلاء الأبرار مع التافهين الفارغين الفسقة ، الذين استحبوا العمى على الهدى ، وآثروا الغى على الرشاد ، وتعجلوا حظوظهم الدنيئة ، وشهواتهم الخسيسة ، وظلوا سادرين فى غيهم لا يصدهم عنه صاد ، ولا يأخذ بحجزاتهم أحد •

لقد قضى كل من الفريقين حياته ، هذا يجاهد فى سبيل الله ليعلى كلمته ، وليرفع راية الحق ، وليطهر الأرض من الشر والفساد ، وذاك يجاهد من أجل شهواته وغرائزه الدنيا ، سائرا فى ركب الشيطان ، مؤتمرا بأمر نفسه الأمارة بالسوء ، فهل من العدل والحكمة أن يكون مصير هؤلاء جميعا واحدا ، ان ذلك لا يجوز فى العقل السليم ، بله الله أعدل العادلين ، وأحكم الحاكمين •

ان الحكم بالتسوية بين الفريقين حكم جائر :

« أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا

وعملوا الصالحات ســواء محياهم ومماتهم ، ساء ما يحكمون . وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجــزى كل نفس بمــا كسبت وهم لا يظلمون »(١)

- ان التسوية بين مصير الصالحين وغيرهم تفكير السطحيين الذين يحسبون الحياة لهوا ولعبا .

« وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ، ذلك ظن الذين كفروا ، فويل للذين كفروا من النــار . أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار » (٢) .

ان الناس لا يعلمون هذه الحقيقة ، وقلما يتذكرونها .

« لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون . وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء ، قليلا ما تتذكرون . ان الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون »(٣) .

انه لا بد من يوم تتكشف فيه الحقائق ، وتظهر فيه مكنونات الضــمائر .

« ولله ما فى السمــوات وما فى الأرض ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى »(٤) .

وكان المشركون يمارون فى الساعة أشد المراء ، ويكذبون بهــا كأعظم ما يكون التكذيب ، ويحلفون بالأيمان المغلظة أن ذلك لن يكون ، فذكر الله تكذيبهم ، ورد عليهم : بأن ذلك مقتضى حكمته ، حتى يتميز الحق من الباطل ويتبين الصادق من الكاذب .

« وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت ، بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون . ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين » (٥) .

---

(١) سورة الجاثية : ٢١ ، ٢٢ . (٢) سورة ص : ٢٧ ، ٢٨ .
(٣) سورة غافر : ٥٧ ــ ٥٩ . (٤) سورة النجم : ٣١ .
(٥) سورة النحل : ٣٨ ، ٣٩ .

كيفية الحساب :

بعد أن يرد الله الحياة الى الناس من جديد يحشرهم اليه ، ويجمعهم لديه ، ليحاسب كل فرد منهم على ما عمل من خير أو شر ، فتشهد الأرض بما حدث عليها .

« اذا زلزلت الأرض (١) زلزالها . وأخرجت الأرض أثقالها (٢) . وقال الانسان مالها . يومئذ تحدث أخبارها . بأن ربك أوحى لها . يومئذ يصدر(٣) الناس أشتاتا ليروا أعمالهم . فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » (٤) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : (قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يومئذ تحدث أخبارها » .

فقال : أتدرون ما أخبارها ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فان أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها : أن تقول : عمل كذا ، وكذا ، يوم كذا وكذا . قال : فهذه أخبارها) (٥) .

وكما تتحدث الأرض عن أخبارها تشهد الألسنة ، والأيدى ، والأرجل ، والجلود .

وبهذا تتم حجة الله على العالمين .

« يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون . يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين » (٦) .

« ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون . وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا ، قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء وهو

---

(١) الزلزلة : هى الاضطراب الشديد .

(٢) أثقالها : الجثث المدفونة فيها .

(٣) يصدر الناس أشتاتا . يبعثون أفرادا متفرقين من الهول ليروا أعمالهم .

(٤) مثقال : قدر . سورة الزلزلة .

(٥) رواه أحمد والبخارى والترمذى وصححه .

(٦) سورة النور : ٢٤ ، ٢٥ .

خلقكم أول مرة واليه ترجعون • وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون • وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين » (١) •

« يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا ، أحصاه الله ونسوه ، والله على كل شىء شهيد • ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ، ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ، ان الله بكل شىء عليم » (٢) •

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال :

(يا أيها الناس انكم محشورون الى الله تعالى حفاة عراة غرلا) (٣)

« كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعدا علينا ، انا كنا فاعلين » (٤) •

ألا ان أول الخلائق يكسى يوم القيامة ابراهيم ، ألا وأنه سيجاء برجال من أمتى ، فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول : يارب أصحابى فيقال : انك لا تدرى ما أحدثوا بعدك • فأقول كما قال العبد الصالح :

« وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شىء شهيد • ان تعذبهم فانهم عبادك ، وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم » (٥) •

قال : فيقال لى : انهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم ، فأقول : سحقا سحقا)(٦) •

---

(١) سورة فصلت : ١٩ ـ ٢٣ •

(٢) سورة المجادلة : ٦ ، ٧ •

(٣) أى أن حشر الناس الى الله يوم القيامة يكون وهم حفاة عراة غير مختونين كما كان خلقهم من بطون أمهاتهم •

(٤) سورة الأنبياء : ١٠٤ •

(٥) العبد الصالح هو سيدنا عيسى عليه السلام ـ المائدة : ١١٧ ، ١١٨ •

(٦) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى •

وعن أبي برزة الأسلمي رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(لا تزول قدما عبد حتى يسأل : عن عمره فيم أفناه ؟ وعن علمه فيم فعل فيه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟ وعن جسمه فيم أبلاه)(١) •

كيفية احصاء الأعمال وعرضها :

واحصاء الأعمال وتسجيلها يكون بواسطة الملائكة الموكلين بها كما تقدم فى بحث الملائكة •

« وان عليكم لحافظين • كراما كاتبين • يعلمون ما تفعلون »(٢) — « ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » (٣) •

فاذا كان يوم الحساب جيء بالكتب التى دونت فيها الأعمال لتعرض على أصحابها •

« وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا • إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا »(٤) •

« ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها ، ووجدوا ما عملوا حاضرا ، ولا يظلم ربك أحدا »(٥) •

وهذه الكتب التى توزع على أصحابها ، منهم من يأخذ كتابه بيمينه ويكون بشرى من البشريات السارة ، ومنهم من يأخــذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره ويكون ذلك علامة على سوء الحساب •

« يأيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه • فأما من أوتى كتابه بيمينه • فسوف يحاسب حسابا يسيرا • وينقلب الى أهله مسرورا •

---

(١) رواه الترمذى وقال : الحديث حسن صحيح •

(٢) سورة الانفطار : ١٠ — ١٢ • (٣) سورة ق : ٨

(٤) سورة الاسراء : ١٣ ، ١٤ • (٥) سورة الكهف : ٤٩ •

وأما من أوتى كتابه وراء ظهره • فسوف يدعوا ثبورا • ويصلى سعيرا • انه كان فى أهله مسرورا • انه ظن أن لن يحور ، بلى ان ربه كان به بصـــيرا »(١) •

العلم وتسجيل الأعمال :

وتسجيل الأعمال من الأمور التى قد ثبتت ثبوتا علميا فما من صوت من الأصوات ولا عمل من الأعمال ، ولا حركة من الحركات ، الا وهى مسجلة فى سجل الكون ، ومدونة فى كتاب الوجود ، فليس منها شىء ضائع ، ولا يمكن لشىء منها أن يزول ، وصدق الله العظيم اذ يقول :

« وعنـــده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ، ويعلم ما فى البـــر والبحر ، وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين »(٢) •

دقة الحساب :

وتبلغ الدقة فى الحساب منتهى ما يمكن أن يتصور ، حتى يأخذ كل واحد جزاء ما عمل من خير أو شر • سواء أكان ذلك عملا مارسه بالفعل ، أو عملا نواه ، وأصر عليه ، فتقام لذلك موازين القسط ، حتى يتحقق العدل الالهى على أكمل صوره •

« ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين » (٣) •

ثم تكون عاقبة كل حسب رجحان الميزان بالعمل الصـــالح ، أو نقصانه •

---

(١) الانشقاق : ٦ — ١٥ ، كادح : ساع الى لقاء ربك بالموت فملاقى جزاء كدحك ، أى عملك — ثبورا : هلاكا ليستريح — يصلى سعيرا : يدخل نارا مستعرة • سرورا : أى غارقا فى سروره بالشهوات حتى نسى ما كلفه به الله — لن يحور : لن يرجع الى الحساب يوم القيامة •

(٢) سورة الأنعام : ٥٩ •   (٣) سورة الأنبياء : ٤٧ •

« فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون . ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون » (١) .

الله هو الذى يتولى الحساب :

والله سبحانه هو الذى يحاسب الناس جميعا بنفسه بدون واسطة .

عن عدى بن حاتم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(ما منكم من أحد الا سيكلمه ربه يوم القيامة ، ليس بينه وبينه ترجمان ، فينظر أيمن منه ، فلا يرى الا ما قدم من عمله ، وينظر أشأم منه ، فلا يرى الا ما قدم ، وينظر بين يديه ، فلا يرى الا النار تلقاء وجهه ، فاتقوا النار ولو بشق تمرة) (٢) .

وقد حدث الامام على كرم الله وجهه بهذا الحديث ، فقال له أحد الرجال : يا أمير المؤمنين كيف يحاسب الله الناس كلهم فى وقت واحد ؟! فقال : كما يرزقهم فى آن واحد يسألهم فى آن واحد .

رحمة الله بالمؤمن عند الحساب :

والمؤمن لا يناقش الحساب رحمة به وشفقة عليه لأن من نوقش الحساب عذب قيل لابن عمر : كيف سمعت رسول الله يقول فى النجوى (٣) ؟ قال : سمعته يقول :

(يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه (٤) ، فيقول : أعلمت كذا وكذا ؟ فيقول : نعم ، ويقول : أعملت كذا وكذا ؟ فيقول : نعم ، فيقرره (٥) ، ثم يقول : انى سترت عليك فى الدنيا ، وأنا أغفرها لك اليوم ، ثم يعطى صحيفة حسناته ، وأما الكفار فينادى على رؤوس الأشهاد : هؤلاء الذين كذبوا على ربهم . ألا لعنة الله على الظالمين) (٦)

---

(١) سورة المؤمنون : ١٠٢ ، ١٠٣ .
(٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى .
(٣) المراد هنا مناجاة الله لعبده المؤمن فى الآخرة .
(٤) ستره . (٥) أى يقرره بذنوبه .
(٦) رواه البخارى ومسلم .

عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(ليس أحد يحاسب يوم القيامة الا هلك ، فقلت : يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى :

« فأما من أوتى كتابه بيمينه • فسوف يحاسب حسابا يسيراً » (١)

فقال : انما ذلك العرض ، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة الا عذب) •

الحــوض :

ان لكل نبى حوضا يشرب هو وأمته منه بعد الموقف ، وقبل دخول الجنــة •

ولنبينا حوض كذلك ، ماؤه أبيض من اللبن ، وأحلى من العسل ، وأطيب من المسك ، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا •

فعن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(أنا فرطكم على الحوض ، من مر على شرب ، ومن شرب لا يظمأ أبدا ، ليردن على أقوام أعرفهم ويعرفوننى ، ثم يحال بينى وبينهم ، فأقول انهم منى(٢) فيقال : لا تدرى ما أحدثوا بعدك ، فأقول : سحقا سحقا لمن غير بعدى) (٣) •

الصراط :

روى مسلم والترمذى : (أن عائشة تلت هذه الآية **« يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات »**(٤) •• الخ قالت : يا رسول الله أين يكون الناس ؟ قال : على الصراط) •

---

(١) الانشقاق : ٧ ، ٨ • (٢) أى من أمتى •
(٣) أى بعد المن ارتد عن دينه • والحديث رواه البخارى ومسلم •
(٤) سورة ابراهيم : ٤٨ •

وهو طريق يوضع على ظهر جهنم ، يمر عليه الأولون والآخرون بعد انصرافهم من الموقف ، فأهل الجنة يمرون عليه ، وهم متجهون اليها ، وأهل النار يسقطون فيها •

« وان منكم الا واردها ، كان على ربك حتمـا مقضيا • ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا » (١) •

وفى حديث الامام مسلم أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(يضرب الصراط بين ظهرى جهنـم ، فأكون أنا وأمتى أول من يجيز ، ولا يتكلم يومئذ الا الرسل ، ودعوة الرسل يومئذ : اللهم سلم • وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها الا الله عز وجل تخطف الناس بأعمالهم) •

(١) سورة مريم : ٧١ ، ٧٢ •

الجنة والنار

* النـــــار
* أهوال الجحيم
* نسبة نار الدنيا الى الآخرة
* أهون الناس عذابا
* المؤمن لا يخلد فى النار
* الشفاعة للعصاة
* التخاطب بين أهل الجنة وأهل النار
* آخر من يدخل الجنة وآخر من يخرج من النار
* الجنـــــة
* أهلهـــــا
* نعيمهـــــا
* أعلى نعيم الجنة
* الخـــــلود

اذا كان الله سبحانه يكافىء الأبرار بالنعيم ، فانه يجازى الفجار بالجحيم ، عقابا لهم على ما اقترفوا من كبائر الاثم والفواحش .

والجحيم هذه هى دار العذاب :

وتسمى الهاوية :

والهاوية : هى المكان المنخفض كثيرا الذى لا يرجع من يسقط فيه :

« وأما من خفت موازينه ، فأمه هاوية ، وما أدراك ما هيه . نار حامية »(١) .

وتسمى السعير :

« وأعتدنا لهم عذاب السعير »(٢) .

وتسمى لظى :

« كلا انها لظى . نزاعة للشوى . تدعوا من أدبر وتولى . وجمع فأوعى »(٣) .

أى أنها شديدة نزع جلدة الرأس ، وتجذب اليها من أعطى ظهره للحق ، وتولى منصرفا عن الطاعة ، وجمع المال ، ووضعه فى وعاء ، لشدة حرصه عليه ، وافتتانه بالدنيا .

وتسمى سقر :

« سأصليه سقر . وما أدراك ما سقر . لا تبقى ولا تذر . لواحة للبشر . عليها تسعة عشر »(٤) .

أى أنها لا تبقى على شىء ما يطرح فيها بل تحرقه ، ولا تتركه يخرج منها ، وأنها تسود الجسم وتشوهه .

---

(١) سورة القارعة : ٨ ــ ١١ .　　(٢) سورة الملك : ٥ .
(٣) سورة المعارج : ١٥ ــ ١٨ .　　(٤) سورة المدثر : ٢٦ ــ ٣٠ .

وتسمي الحطمة :

« لينبــذن فى الحطمــة • وما أدراك ما الحطمــة (١) • نار الله الموقدة(٢) • التى تطلع على الأفئدة • انها عليهم مؤصدة(٣) • فى عمد ممددة »(٤) •

أهوال الجحيم :

وقــد وصف الله الجحيم وصفا تشيب منه النواصى ، وتنخلع منه القلوب ، كى يرتدع الغاوون عن غيهم ، فذكر أن وقودها النــاس والحجارة •

« يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون »(٥) •

وأنها لا تشبع مما يلقى فيها ، بل تطلب المزيد دائما ، حتى لا يبقى فيها مكان خال •

« يوم نقول لجهنم هل امتلأت ، وتقول هل من مزيد »(٦) •

قال مجاهد : ليس هناك قول ، وانما جرى الكلام على سبيل تمثيل حال جهنم بأنها امتلأت حتى لم يبق فيها مكان خال •

وأن طعامهم الزقوم : وهى شجرة من أخبث أنواع الشجر المر المنتن الرائحة •

« أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم • انا جعلناها فتنة(٧) للظالمين •

---

(١) الحطمة : كثير التحطيم والتكسير لما يلقى فيها — سورة الهمزة : ٤ — ٩ •

(٢) الموقدة الملتهبة التهابا شديدا •

(٣) مؤصدة : أى مغلقة •

(٤) فى عمد ممددة : أى مغلقة بعمد طويلة فلا يخرج منها من يدخل فيها •

(٥) سورة التحريم : ٦ •   (٦) سورة ق : ٣٠ •

(٧) أى محنة للظالمين بارغامهم على الأكل منها •

انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم • طلعها كأنه رؤوس الشياطين • فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون • ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم »(١)

« انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها ، وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه ، بئس الشراب وساءت مرتفقا »(٢) •

وثيابهم من نار !

« هـــذان خصمان اختصموا فى ربهم ، فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم • يصهر به ما فى بطونهم والجلود • ولهم مقامع من حديد • كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق »(٣) •

وقد جاء فى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال :

(ان الحميم ليصب على رؤوسهم ، فينفذ الحميم ، حتى يخلص الى جوفه ، فيسلت ما فى جوفه ، حتى يمرق من قدميه • وهو الصهر ثم يعاد كما كان)(٤) •

وجهنم تحيط بالمعذبين من كل جانب ، فهى فراش وغطاء :

«ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخيـــاط ، وكذلك نجزى المجـــرمين • لهم من جهنم مهاد ومن فوقهـــم غواش ، وكذلك نجزى الظالمين »(٥) •

« لهم من فوقهم ظلل من النـــار ومن تحتهم ظلل ، ذلك يخـــوف الله به عباده ، يا عباد فاتقون » (٦) •

---

(١) سورة الصافات : ٦٢ ــ ٦٧ •

(٢) سورة الكهف : ٢٩ •

(٣) سورة الحج : ١٩ ــ ٢٢ •

(٤) رواه الترمذى وقال : حسن صحيح •

(٥) سورة الأعراف : ٤١ •

(٦) سورة الزمر : ١٦ •

وأهل جهنم لا يموتون ، فيستريحون ، ولا يحيون الحياة الهنيئة !

« ويتجنبها الأشقى • الذى يصلى النار الكبرى • ثم لا يموت فيها ولا يحيى » (١) •

وأهل النار محجوبون عن الله :

« كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون »(٢) وهذا هو أشد أنواع العـذاب •

وفى الآية الكريمة يقول الله تعالى :

« ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ، ان الله كان عزيزا حكيما » (٣)•

ففى هذه الآية — أن النار كلما أكلت جلودهم بدلهم الله جلودا غيرها ، والسبب فى ذلك أن أعصاب الألم هى الطبقة الجلدية ، أما الأنسجة والعضلات والأعضاء الداخلية ، فالاحساس فيها ضعيف ، ولذلك يعلم الطبيب أن الحـرق البسيط الذى لا يتجاوز الجلد يحدث ألمـا شديدا ، بخلاف الحرق الشديد الذى يتجاوز الجلد الى الأنسجة ، لأنه مع شدته وخطره لا يحدث ألمـا كثيرا •

فالله تعالى يقول لنا : ان النار كلما أكلت الجلد الذى فيه الأعصاب يجدده كى يستمر الألم بلا انقطاع ، ويذوقوا العذاب الأليم ، وهنا تظهر حكمة الله قبل أن يعرفها الانسان **« وكان الله عزيزا حكيما »**(٤) •

ومن شدة الهول ، وقسوة العذاب يود المجرم أن يفدى نفسه بكل حبيب لديه وعزيز عليه ، ولكن لا ينفع فداء ، ولا يقبل رجاء •

« يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه • وصاحبته وأخيه • وفصيلته التى تؤويه • ومن فى الأرض جميعا ثم ينجيه • كلا »(٥) •

---

(١) سورة الأعلى : ١١ — ١٣ • (٢) سورة المطففين : ١٥ •

(٣) سورة النساء : ٥٦ •

(٤) أنظر كتاب الطب والاسلام للدكتور عبد العزيز اسماعيل — سورة النساء : ١٦٥ • (٥) سورة المعارج : ١١ — ١٥ •

نسبة نار الدنيا الى نار الآخرة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(ناركم هذه التى توقدون جزء من سبعين جزءا من حر جهنم ، قالوا : والله ان كانت لكافية يا رسول الله . قال : فانها فضلت (١) بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها) (٢) .

أهون الناس عذابا :

عن النعمان بن بشير رضى الله عنه : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(أهون الناس عذابا من له نعلان ، وشراكان من نار ، يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل ، مايرى أن أحدا أشد منه عذابا ، وانه لأهونهم عـذابا)(٣) .

المؤمن لا يخلد فى النار :

جاء فى السنة الصحيحة أن المؤمن لا يخلد فى النار .

فان كان قد ارتكب بعض الكبائر ولم تكفر بحد ، أو توبة نصوح ، أو مصيبة أو مرض ، أو شىء من المكفرات ، فهو محاسب على عمله ، والله يوازن بين أعماله الصالحة وبين جميع معاصيه التى لم يتب منها ، فان رجحت حسناته فهو فى الجنة ، وكذلك اذا تساوت حسناته وسيئاته :

« ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا ، وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين » (٤) .

وان رجحت سيئاته فانه يدخل النار ، فيعذب فيها بقدر ما ارتكب من اثم ، ثم يخرج منها بعد أن يتطهر ، وبعد أن يوفيه الله جزاءه بمقتضى عدله وحكمته .

---

(١) فضلت : زادت .
(٢) رواه البخارى ومسلم والترمذى .
(٣) رواه البخارى ومسلم والترمذى .
(٤) سورة الأنبياء : ٤٧ .

فعن أبى سعيد الخدرى ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(يدخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ثم يقول الله تعالى :

أخرجوا من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من ايمان • فيخرجون منها قد اسودوا ، فيلقون فى نهر الحياة ، فينبتون كما تنبت الحبة فى جانب السيل (١) ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية) (٢) •

وعن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(يخرج من النار ، من قال : لا اله الا الله ، وفى قلبه وزن شعيرة من خير ، ويخرج من النار ، من قال : لا اله الا الله ، وفى قلبه وزن برة من خير ، ويخرج من النار ، من قال : لا اله الا الله ، وفى قلبه وزن ذرة من خير) (٣) •

الشفاعة للعاصى :

ثم يشفع الرسول بعد أن يأذن الله له ، وبعد انتهاء مدة العذاب فى خروج العاصى من النار ، فقد ثبت فى الأحاديث الصحيحة أن النبى صلى الله عليه وسلم ، يشفع لأهل الكبائر بعد دخولهم النار ، فيقبل الله شفاعته فيهم ، ويخرجهم منها •

وتكون الشفاعة اظهارا لكرامة الشافع عند الله ، واظهار فضله صلى الله عليه وسلم ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(لكل نبى دعوة مستجابة يدعو بها • وأريد أن أختبىء دعوتى شفاعة لأمتى فى الآخرة) رواه البخارى ومسلم وزاد مسلم : (فهى نائلة ان شاء الله تعالى من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئا) •

وعن عمران بن حصين رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

---

(١) أى أنهم يخرجون بعد ما يغمسون فى نهر الحياة وأجسامهم نضرة فرحين بعودة الحياة •
(٢) رواه البخارى ومسلم والنسائى •
(٣) رواه البخارى ومسلم والترمذى •

(يخرج قوم من النار بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنة يسمون الجهنميين)(١) .

التخاطب بين أهل الجنة وأهل النار :

وبعـــد أن يستقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار فى النار يدور بينهم حوار ومناقشة ، فيذكر كل واحد ما كان منه من عمل فى الدنيا ، وما ناله من جزاء فى الآخرة .

ولا يقال كيف يتم التخاطب بين الفريقين مع البعد بين الجنة والنار ، ومع التفاوت الكبير بينهما ، فان ذلك شأن من شئون الآخرة التى لا اطلاع لنا عليها ، ولا علم لنا بها ، والله سبحانه سيطور خلق الانسان ويجعله على صورة أخرى غير الصورة المعهودة ، ويعطيه حواس أخرى أقوى من حواسه التى أعطاها اياه فى الدنيا وقد استحدث أخيرا ما يقرب هذا من أمثال أجهزة التلفزيون ، فالناس مع بعد بعضهم عن بعض يتمكنون بواسطتها من المشاهدة والسماع .

« نحن قـــدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين . على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فى ما لا تعلمون »(٢) .

وفى القرآن الكريم اخبار عما يدور بين أهل الجنة والنار من خطاب مع وجود سور فاصل بينهما ، فهو من جهة أهل الجنة فيه الرحمة ، ومن جهة أهل النار فيه العذاب . فنؤمن بذلك ونكل علم حقيقته الى علام الغيوب .

يقول الله تعالى :

« يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهـــار خالدين فيها ، ذلك هو الفوز العظيم . يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا

---

(١) رواه البخارى وأبو داوود والترمذى وابن ماجه وسموا بهذا الاسـم ليذكروا ما كانوا فيه من عذاب ، وما أدركوه من نعيم فيزدادوا فرحا وسرورا .
(٢) سورة الواقعة : ٦٠ ، ٦١ .

نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب • ينادونهم ألم نكن معكم قالوا : بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور • فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا ، مأواكم النار ، هى مولاكم وبئس المصير» (١)

وفى مشهد آخر يعرض القرآن لونا من ألوان الخطاب بين أهل الجنة وأهل النار :

« ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ قالوا : نعم ، فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين • الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون » (٢) •

ثم بعد ذلك يقول القرآن الكريم :

« ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ، قالوا : ان الله حرمهما على الكافرين • الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا ، فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون » (٣) •

آخر من يدخل الجنة ، آخرمن يخرج من النار :

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(آخر من يدخل الجنة رجل ، فهو يمشى مرة ويكبو مرة ، وتسفعه(٤) النار مرة ، فاذا جاوزها التفت اليها ، فقال : تبارك الله الذى نجانى منك ، لقد أعطانى الله تعالى شيئا ما أعطاه أحدا من الأولين والآخرين ؛ فترفع له شجرة فيقول : يارب أدننى من هذه الشجرة لأستظل بها وأشرب من مائها •فيقول الله : ياابن آدم لعلى ان أعطيتكها تسألنى غيرها؟

(١) سورة الحديد : ١٢ ــ ١٥ • (٢) سورة الأعراف : ٤٤ ، ٤٥ •
(٣) سورة الأعراف : ٥٠ ، ٥١ •
(٤) تسفعه النار : أى تلفحه لفحا يغير بشرته •

فيقول : يارب لا أسألك غيرها • ويعاهده ألا يسأله غيرها ، وربه يعذره لانه يرى ما لا صبر له عليه ، فيدنيه منها فيستظل بظلها ، ويشرب من مائها ، ثم ترفع له شجرة هى أحسن من الأولى ، فيقول : يارب أدننى من هذه الشجرة لاستظل بظلها واشرب من مائها،لا أسألك غيرها،فيقول يابن آدم ألم تعاهدنى ألا تسألنى غيرها؟ لعلى ان أدنيتك منها تسألنى غيرها، فيعاهده ألا يسأله غيرها ، وربه يعذره لأنه يرى مالا صبر له عليه ، فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هى أحسن من الأوليين • فيقول : يارب أدننى من هذه لأستظل بظلها ، وأشرب من مائها لا أسألك غيرها • فيقول : يابن آدم ألم تعاهدنى ألا تسألنى غيرها ؟ قال : بلى يارب لا أسألك غيرها • وربه يعذره ، لأنه رأى مالا صبر له عليه ، فيدنيه منها •

فاذا أدنى منها سمع أصوات أهل الجنة ، فيقول : أى يارب ادخلنى الجنة ،فيقول : يابن آدم مايصرينى(١) منك ، أيرضيك أن أعطيك قدر الدنيا ومثلها معها ؟ فيقول : يارب أتستهزىء بى ، وأنت رب العالمين ، فضحك ابن مسعود فقال : ألا تسألونى مم ضحكت ؟ فقيل مم تضحك ؟ فقال : من ضحك رب العالمين حين قال : أتستهزىء بى وأنت رب العالمين ، هكذا ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل : مم تضحك ؟ فقال : فيقول : انى لا أستهزىء بك ، ولكنى على ما أشاء قادر) • أخرجه مسلم •

الجنــــة :

الجنة فى الأصل : البستان من النخل أو الشجر •

وهى مأخوذة من جن اذا ستر ، وسميت بذلك لأن نخيلها الباسقات وأشجارها المورقة تلتف أغصانها بعضها ببعض ، فتكون كالظلة تستر ما تحتهـا •

والمقصود بالجنة هنا الدار التى أعدها الله للمتقين جزاء لهم على ايمانهم الصادق وعملهم الصالح :

---

(١) ما يصرينى منك : أى ما الذى يرضيك ويقطع مسألتك

وقد أطلق عليها القرآن عدة أسماء فهى : جنة المأوى ، وجنة عدن (اقامة وخلود) ، ودار الخلود والفردوس ، ودار السلام ، ودار المقامة ، وجنات النعيم ، والمقام الأمين .

وجاء فى القرآن الكريم أن عرضها السموات والأرض .

وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم . سئل عن مكان النار اذا كانت الجنة عرضها السموات والأرض ؟ فأجاب بقوله صلى الله عليه وسلم :

(سبحان الله ، فأين الليل اذا جاء النهار) .

أهلها :

والجنة لا يدخلها الا من قام بجلائل الأعمال ، واتصف بكرائم الصفات :

« ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون ، وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم . التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله ، وبشر المؤمنين »(١) .

نعيمها :

وصف الله الجنة بأن نعيمها دائم ، وسرورها لا ينفد ، وكل ما فيها بغير حساب .

فأنهارها كثيرة ثرة : ففيها أنهار من ماء غير آسن (٢) ، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى .

وهذه الأنهار تجرى من تحت القصور ، وفيها الفواكه ، ولحوم الطيور .

---

(١) سورة التوبة : ١١١ ، ١١٢ . (٢) آسن : متغير الطعم والرائحة .

وكلما رزق أهلها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها يماثل بعضه بعضا فى الحسن والجودة .

« وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها ، ولهم فيها أزواج مطهرة ، وهم فيها خالدون »(١) .

وأن الرزق الذى يقدم لهم من الطعام والشراب يطوف به خدم من الولدان ، اذا رأيتهم حسبتهم لفرط جمالهم لؤلؤا منثورا ، وهؤلاء الولدان يحملون صحافا وأوانى من ذهب وأكواب ، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين .

ولباسهم فيها حرير من سندس واستبرق . وحليتهم الذهب ومساكنهم طيبة .

وهى غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار .

وأصحاب الجنة هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك يتكئون ، وهؤلاء الزوجات ينشئهن الله انشاء عربا أترابا ، كما ينشىء معهم الحور العين ، كأنهن بيض مكنون وهن مطهرات من عيون نساء الدنيا ، فلا حيض ، ولا نفاس ، ولا دمامة خلق ، ولا سوء خلق .

وأهل الجنة نزع من صدورهم الغل اخوانا على سرر متقابلين ، لا يمسهم فيها نصب ، وما هم منها بمخرجين .

والجنة لا يسمع فيها اللغو ، ولا التأثيم ، وانما يسمع فيها تقديس الله ، واجلاله . وسلام الله على المؤمنين ، وسلام بعضهم على بعض .

« والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار » (٢) .

وقد جاء فى الحديث الذى رواه البخارى ومسلم والترمذى ، أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال :

---

(١) سورة البقرة : ٢٥ .

(٢) سورة الرعد : ٢٣ ـ ٢٤ .

(ان أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب درى فى السماء اضــاءة ، لا يبولون ولا يتغوطون ، ولا يتفلون ولا يتمخطون . أمشاطهم الذهب ورشحهم(١) المسك ، ومجامرهم (٢) الألوة(٣) أزواجهم الحور العين ، على خلق رجل واحد ، على صورة أبيهم آدم ، ستون ذراعا فى السماء) .

وعن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم لأصحابه : (ألا مشمر للجنة ؟ فان الجنة لا خطر لها ، هى ورب الكعبة نور يتلألأ ، وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وفاكهة كثيرة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام أبدا ، فى حبرة(٤) ونضرة (٥) ، فى دور عالية سليمة بهية) . قالوا : نحن المشمرون لها يا رسول الله . قال : قولوا : ان شاء الله ، ثم ذكر الجهاد وحض عليــه(٦) .

نعيم الجنة فوق ما يتصوره العقل :

وهذا النعيم المذكور جاء على مثال ما هو معروف فى هذا العــالم الأرضى ، وان كان أرقى منه نوعا وشكلا وطعما ، وحقيقته فوق مايتصور البشر .

روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنهما : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

يقول الله : (أعددت لعبادى الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . اقرأوا ان شئتم : **« فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين »** (٧) .

فنعيم الآخرة لا يشبهه شيء من نعيم الدنيا .

فهو وان شابهه فى الاسم فهو مختلف عنه فى الصفة .

---

(١) الرشح : العرق . (٢) المجامر : مواضع البخور .
(٣) الألوة : العود .
(٤) الحبرة : النعمة وسعة العيش .
(٥) نضرة البهجة والحسن . (٦) رواه ابن ماجه .
(٧) سورة السجدة : ١٧ — وقرة العين كناية عن السرور .

قال ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير قول الله سبحانه :

« وأتوا به متشابهـا ، ولهم فيها أزواج مطهـرة ، وهم فيهـا خالدون »(١) .

لا يشبه شىء مما فى الجنة ما فى الدنيا الا فى الأسماء .

أعلى نعيم الجنة :

وأعلى نعيم أهل الجنة هو رؤية الله عز وجل ، ومناجاته ، والفوز برضـاه :

« وجوه يومئذ ناضرة . الى ربها ناظرة »(٢) .

« ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون . هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون . لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون . سلام قولا من رب رحيم »(٣) .

« ورضوان من الله أكبر »(٤) .

« للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله ، والله بصير بالعباد »(٥) .

وعن صهيب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

(اذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعـالى : تريدون شيئا أزيدكم ؟

يقولون : ألم تبيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة ؟ ألم تنجنا من النار ؟ قال : فيكشف(٦) الحجاب ، فما أعطوا شيئا أحب اليهم من النظر الى ربهم . ثم تلا : **«للذين أحسنوا الحسنى وزيادة »**(٧) .

---

(١) سورة البقرة : ٢٥ .
(٢) سورة القيامة : ٢٢ ، ٢٣ .
(٣) سورة يس : ٥٥ ـ ٥٨ .
(٤) سورة التوبة : ٧٢ .
(٥) سورة آل عمران : ١٥ .
(٦) فيكشف الحجاب عن أهل الجنة .
(٧) الحسنى : الجنة . والزيادة : هى الرؤية . والحديث رواه مسلم وغيره ـ سورة يونس : ٢٦ .

عن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال :

(نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القمر ليلة البدر فقال : انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر ، لا تضامون(١) فى رؤيته • فان استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس • وقبل غروبها ، فافعلوا ، ثم قرأ « **وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب** »(٢) •

وأما رؤية الله فى الدنيا • فلم تقع لأحد قط • وقد سأل موسى عليه السلام ربه قال :

« **رب أرنى أنظر اليك ، قال : لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا ، فلما أفاق قال : سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين** »(٣) •

وذهب ابن عباس رضى الله عنهما — وكثير من أهل العلم الى أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه ليلة أسرى به •

قال ابن عباس رضى الله عنهما — فى قوله تعالى :

« **وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس** »(٤) •

قال : (هى رؤيا عين أريها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به) • رواه البخارى •

وكان الحسن يحلف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه •

وأنكرت السيدة عائشة رضى الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه •

فعن مسروق قال : قلت لعائشة رضى الله عنها :

(ياأمتاه • هل رأى محمد ربه ؟ قالت : لقد قف(٥) شعرى مما قلت أين أنت من ثلاث :

---

(١) تضامون : تشكون • رواه البخارى ومسلم وأبو داوود والترمذى •
(٢) سورة ق : ٣٩ •   (٣) سورة الأعراف : ١٤٣ •
(٤) سورة الاسراء : ٦٠ •
(٥) قف : أى قام شعر رأسى وشعر بدنى من الفزع •

من حدثكهن فقد كذب :

من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب ، ثم قرأت :

« لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار »(١) ٠

ومن حدثك أنه يعلم ما فى غد فقد كذب ، ثم قرأت :

« وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا »(٢) ٠

ومن حدثك أنه كتم شيئا من الوحى فقد كذب ، ثم قرأت :

« يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك »(٣) ٠

ولكنه رأى جبريل فى صورته مرتين)(٤) ٠

الخـــلود :

والجنة خالدة لا تفنى ، وكذلك النار ، وأهل كل منهما مخلدون ، لا يدركهم الموت ولا يلحقهم الفناء ٠

« ان فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ، ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ٠ وما نؤخره الا لأجل معدود ٠ يوم يأت لا تكلم نفس الا باذنه ٠ فمنهم شقى وسعيد ٠

فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق ، خالدين فيها ما دامت السموات والأرض الا ما شاء ربك ، ان ربك فعال لمـا يريد . وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ »(٥) ٠

وسر خلود أهل الجنة فى الجنة ، وأهل النار فى النار أن كلا من الفريقين كان مصرا على ما هو عليه ، فأهل الجنة كانوا مريدين الايمان والطاعة مهما طالت بهم الحياة ، وامتد بهم العمر ، وأهل النار كانوا

(١) سورة الأنعام : ١٠٣ ٠
(٢) سورة لقمان : ٣٤ ٠
(٣) سورة المـائدة : ٦٧ ٠
(٤) رواه البخارى ومسلم والترمذى ٠
(٥) سورة هود : ١٠٣ ــ ١٠٨ ٠

مصرين على الكفر والعصيان ، ولو عاشوا ملايين السنين ، فكان الجزاء للفريقين على الارادة والنية وبمقتضى هـذه الارادة والتصميم كان الخلود اذ أن الايمان والكفر وما يستتبعانه من أعمال قد تمكن من النفس تمكنا لا يزول .

ولقد صور القرآن التمكن فذكر أن الكفار لو رجعوا الى الدنيا بعد معاينتهم العذاب لعادوا الى ما كانوا عليه من الكفر وسوء العمل :

« ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين . بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ، ولو ردوا لعادوا لمـا نهوا عنه وانهم لكاذبون »(١) .

والأصل فى كون الجزاء على الارادة والنية قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه :

(انما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى) .

---

(١) سورة الأنعام : ٢٧ ، ٢٨ .

خاتمـــــــة(١)

وبعد ، فان سلوك الانسان وتصرفاته في الحياة مظهر من مظاهر عقيـــدته .

فاذا صلحت العقيدة صلح السلوك واستقام ، واذا فسدت فسد واعوج ، ومن ثم كانت عقيدة التوحيد والايمان ضرورة لا يستغنى عنها الانسان ليستكمل شخصيته ويحقق انسانيته .

ولقد كانت الدعوة الى هذه العقيدة أول شئ قام به رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، لتكون حجر الزاوية فى بناء الأمة المسلمة . كما كانت أول شئ قام به رسل الله جميعا ، ذلك أن رسوخ هذه العقيدة فى النفس الانسانية يسمو بها عن المـــاديات الوضيعة ، ويوجهها دائما وجهة الخير والنبل ، والنزاهة والشرف .

واذا سيطرت هذه العقيدة ، أثمرت الفضائل الإنسانية العليا من الشجاعة والكرم ، والسماحة ، والطمأنينة ، والايثار ، والتضحية .

والتمكين لهذه العقيدة هو الذى يهذب الحياة ، ويرقيها ، ويصل بها الى المدنية الحقة ، ويبلغها ما تنشده من الخير والتقدم ، وما تستهدفه من الحق والعدل فينعم الفرد ، وتسعد الجماعة ، وتحيا الحياة الطيبة .

« من عمـل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حيـــاة طيبة »(٢) .

وفى ظلال العقيدة تتوافر عناصر الارتقاء المـــادى والروحى ، ويجد الانسان من عناية الله وولايته وكرامته ما يبلغه ذروة الكمال الذي أراده الله له .

« الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور »(٣) .

« وان الله لهاد الذين آمنوا الى صراط مستقيم »(٤) .

---

(١) ملخص مما كتبناه فى كتاب اسلامنا .

(٢) سورة النحل : ٩٧ . (٣) سورة البقرة : ٢٥٧ .

(٤) سورة الحج : ٥٤ .

والعقيدة مثلها مثل الشجرة الطيبة التى لا ينقطع ثمرها ، فهى تؤتى أكلها كل حين : فى صيف أو شتاء ، ليل أو نهار ، والمؤمن كذلك لا يزال يرفع له عمل صالح فى كل وقت وحين . ولهذا كثر فى القرآن الكريم اقتران الايمان بالعمل الصالح ، لأنه ثمرة من ثماره ، وأثر من آثاره . وما أصدق قول الله سبحانه :

« ألم تر كيف ضرب الله مثــلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء . تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون »(١) .

ولقد كان لعقيدة الايمان فى تربية المؤمنين الأولين الأثر الكبير ، فهى التى زكت النفوس ، وطهرتها من الحسد والحقد ، والكبر والعجب ، والفسق والفحش ، والظــلم والجور ، والقســوة والغلظة ، والأثرة والأنانية .

وهى التى خلصتهم من درن التربية الفاسدة ووضر البيئة الرديئة ، وشر الوراثات الدنيئة .

وهى التى أعلت هممهم ، فطلبوا معالى الأمور ، ووطنوا أنفسهم على امامة البشر ، وقيادة الأمم وتحريرها من الخرافات ، واستبداد الملوك ، وتطهير الأرض من الكفر والفساد .

وهى التى مكنت لهم من الفتح والظفر ، والعلم والعمل ، واقامه الحضارة التى شع نورها ، وعم خيرها مشارق الأرض ومغاربها ، فى سنين تعد على الأصابع .

قال الدكتور غوستاف لبون فى كتابه (تطور الأمم) :

(ان ملكة الفنون لا يتم تكوينها لأمة من الأمم الناهضة الا فى ثلاثة أجيال :

أولها : جيل التقليد .

ثانيها : جيل الخضرمة .

---

(١) سورة ابراهيم : ٢٤ ، ٢٥ .

ثالثها : جيل الاستقلال والاختصاص •

الا العرب وحدهم ، فقد استحكمت لهم ملكة الفنون فى الجيل الأول الذى بدأوا فيه بمزاولتها) •

وما أصدق ما قاله النابغة الجعدى :

بلغنا السماء مجـدنا وسناؤنا   وانا لنرجو فوق ذلك مظهـرا

فقال له النبى صلى الله عليه وسلم :

(ما المظهر يا أبا ليلى ؟

قال : الجنة •

قال : ان شاء الله) !

محتويات الكتاب

الموضـوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

كتب فى التاريخ الاسلامى

تطلب من « دار الكتب الحديثة ت : ٩١٦١٠٧ »

- معا على الطريق محمد والمسيح للاستاذ خالد محمد خالد
- الوصايا العشر للاستاذ خالد محمد خالد
- رجال حول الرسول للاستاذ خالد محمد خالد
- الاسلام فى عصر العلم للدكتور محمد أحمد الغمراوى
- بداية المجتهد ونهاية المقتصد للامام ابن رشد
- أحكام القرآن للامام عماد الدين الطبرى المعروف بالكيا الهراس تحقيق ـ موسى محمد على ، دكتور عزت على عطية ـ مدرس الحديث بكلية أصول الدين جامعة الأزهر
- لطائف المنن لابن عطاء الله السكندرى تحقيق ـ الدكتور عبد الحليم محمود
- الروض الأنف للسهيلى مع شرح السيرة النبوية للامام ابن هشام تحقيق ـ عبد الرحمن الوكيل سبعة أجزاء
- ذم الهوى للامام ابن الجوزى تحقيق ـ الدكتور مصطفى عبد الواحد مراجعة الشيخ محمد الغزالى *
- الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة ٥ أجزاء للامام ابن حجر العسقلانى تحقيق الشيخ محمد سيد جاد الحق *
- أعلام الموقعين عن كلام رب العالمين للامام ابن قيم الجوزية تحقيق ـ عبد الرحمن الوكيل ٤ أجزاء *
- شيخ الاسلام عبد الله الأنصارى الهروى للدكتور سعيد الأفغانى *
- قلائد الجمان فى قبائل عرب الزمان للقلقشندى حققه الأستاذ ابراهيم الابيارى *
- المغنى فى الضعفاء للامام الذهبى ـ حققه الدكتور نور الدين العتر الأستاذ بجامعة سوريا *
- الوفاء بأحوال المصطفى للامام ابن الجوزى ـ حققه الدكتور مصطفى عبد الواحد جزأين *

— الاجتهاد ومدى حاجتنا اليه فى هذا العصر ـ رسالة دكتوراه للدكتور سيد موسى توانا الأفغانستانى كلية الشريعة والقانون ـ جامعة الأزهر *

— النهاية أو الفتن والملاحم ـ للامام ابن كثير ـ حققه الدكتور طه محمد الزينى جزأين *

— البدعة تحديدها وموقف الاسلام منها للدكتور عزت على عطية ـ مدرس الحديث بكلية أصول الدين جامعة الأزهر *

— الكاشف فى معرفة من له رواية بالكتب الست للامام الذهبى حققه ـ الدكتور عزت عيد عطية وموسى محمد على مدرسى الحديث بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر *

— الخصائص الكبرى ـ أو كفاية الطالب اللبيب فى خصائص الحبيب ـ للامام السيوطى ـ تحقيق الدكتور محمد خليل هراس ٣ أجزاء *

— مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم لمؤلفه طاش كبرى زاده حققه الدكتور عبد الوهاب أبو النور وكامل بكرى ٣ أجزاء وفهرس *

— شرح رياض الصالحين للامام النووى شرحه وحققه الدكتور الحسينى عبد المجيد هاشم جزأين *

— معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار للامام الذهبى ـ حققه محمد سيد جاد الحق *

— التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبى ٢ جزء *

— الشريعة الاسلامية للدكتور محمد حسين الذهبى *

— التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية لابن الأثير الجزرى ـ حققه الدكتور عبد القادر أحمد طليمات *

مطبعة
دار التراث العربى
١٣ حارة سعد الله ـ الدرب الأحمر
ت ٩٣٦١٤٥


SERAGELDIN
IS01071



